نوال المنى

في إثبات
عصمة أمهات وأزواج الأنبياء
من الزنى

بقلم
الشيخ محمد نسيب الرفاعي
المتوفى سنة ١٤١٣هـ

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

نوال المنى

في إثبات

عصمة أمهات وأزواج الأنبياء

من الزنى

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة غلاف مخطوطة هذا الكتاب بخط مؤلفها الشيخ نسيب الرفاعي

المقدمة

القول بإمكانية ذنب لبعض الأنبياء أول بدعة تدخل صفوف السلفيين

المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً »

أما بعد : فإن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١)

أيها المسلم الكريم ، يا أخي الحبيب في الله :

لقد ظهر - في الآونة الأخيرة - في صفوف بعض السلفيين الذين أخذوا على عواتقهم احياء سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أمر عظيم الأهمية ، كبير الخطر ، عميق الأثر ، وإنه لحدث أول يقع في صفوفهم ، بل وبدعة سيئة منكرة !!! شوهت جمال الدعوة الطيبة ، التي أوقف أنفسهم على حمل لوائها العديد الأكثر من ربع قرن .

وإن الشيطان - لعبادته - صفق لها في أعينهم ، وحسّنها في نظرهم من جانب ... ثم سرّ لها وزيّنها في قلوبهم من جانب آخر ، على أنها لعبة الحرب ، نعوذ بالله من

---

(١) أي صاحب الضلالة في النار لذنوب أحدثها وابتدعها مخالفة للسنة وتمشياً مع خطوات الشيطان

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة هذا الكتاب بخط مؤلفها الشيخ نسيب الرفاعي

نساء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والذين قالوا بالتالي يرتدع ذلك
منه أم ولله رسول الله صلى الله عليه وسلم..!!!؟
«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا منه لدنك رحمة
إنك أنت الوهاب»
وهناك مقاطعات كثيرة في الله تحصل في زمننا الحاضر وهي
كذلك أنى فطراً منه المفارقة التي حصلت مع الذين يقولون
ما يقولونه والعياذ بالله تعالى منه الخذلان وسوء المنقلب في الآخرة

* * *

أذكر أن الأخ الحبيب في الله الشيخ عبدالعزيز باز رئيس الجامعة
الإسلامية في المدينة المنورة حدثني منذ سنوات أنه خالف
الشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر فيما ذهب إليه
منه القول (بإن المعلومة غير مقدور) ولما لم يقتنع الشيخ حامد رحمه الله
بما دلاه الشيخ عبدالعزيز باز منه الحجج المخالفة لقول الشيخ حامد
أعلن الشيخ عبدالعزيز في ملأ من الحضور مفارقته للشيخ حامد...
وظل الشيخ عبدالعزيز مفارقاً للشيخ حامد حتى توفاه الله رحمه الله وغفر له.

* * *

وأنى لأذكر أن الأخ الكبير الشيخ ناصر الألباني فارق بعض إخوانه
لأسباب شخصية بحتة ... فلماذا يرى نفسه محقاً في مفارقة إخوانه
لأسباب شخصية ... ولا يراني محقاً في مفارقته لصهر وسد ومنه
لأسباب يعلم الله أنها مفارقة في الله وغضباً له وغضباً لرسوله صلى
الله عليه وآله الشيخ الألباني يعلم ذلك تماماً ولا ينكره ...
فأين منه يقيه بالله وعلى نفسه ... ؟؟!!!

* * *

صورة آخر صفحة من مخطوطة هذا الكتاب بخط مؤلفها الشيخ نسب الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾.

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

أيها المسلم الكريم، يا أخي الحبيب في الله:

لقد ظهر ـ في الآونة الأخيرة ـ في صفوف بعض المسلمين الذين أخذوا على عواتقهم إحياء سنة رسول الله ﷺ، أمر عظيم الأهمية، كبير الخطر، عميق الأثر، وإنه أول حدثٍ يدخل صفوفهم، بل وبدعة سيئة منكرة!!! شوهت جمال الدعوة الطيبة، التي أوقفوا أنفسهم على حمل لوائها الهادي أكثر من ربع قرن.

وان الشيطان ـ كعادته ـ صغرها في أعينهم، وحقّر شأنها في نظرهم من جانب..

(١) أي صاحب الضلالة في النار لأنه هو الذي أحدثها وابتدعها مضاهياً للسنة وتمشياً مع خطوات الشيطان.

ثم سوَّلها وزينها في قلوبهم من جانب آخر، على أنها هي الحق، نعوذ بالله من الخذلان، وسوء العاقبة، ومن همز الشيطان ونفخه ونفثه.

إنها وأيم الله، لثغرة نافذة، في صفٍ كاد أن ييأس الشيطان من النفوذ إليه... لولا أنه ـ لعنه الله ـ وُفّق إلى مطيّةٍ استطوع ظهرها.. فوجدهُ هيناً ليناً، فقفز إليه وركبه... فجرت هذه المطية الطيّعة مسرعةً به إلى أن دخل الصف، فصال وجال...؟!!! فلا حول ولا قوة إلا بالله.

الشيطان... قبل أن يعصى الله كانَ من أعبد العابدين، فلما أصابه الغرور والتكبّر.. ولم يسجدْ لآدم.. فكان سبباً للطرد واللعنة إلى يوم الدين وكذلك مطيته...!!؟ كانت إلى أمد قريب من ركوبها، من أشد الدعاة قوةً ومراساً في الدعوة... ولكن الغرور الذي يعتري الإنسان ابتلاءً واختباراً كان مزلقاً ـ والعياذ بالله ـ للوقوع في البدعة المنكرة الضالة المضلة...

ولا أدري ما ستجر هذه البدعة وراءها من البدع...!؟

وخُلُقُ الغرور ـ وقانا الله منه ـ آفةٌ فتاكة مهلكة... تأكل العلم والعمل.. وإنه لسبيل من السبل.. المجانفة للصراط المستقيم.. فمن اتبع السبل، تفرقت به عن سبيل الله القويم، وصراطه المستقيم ﴿**وان هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ هذه البدعة... هي احدى وساوس الشيطان وإيحاءاته: «بإمكانية وقوع أمهات وزوجات الأنبياء في الزنى» وحاشاهن رضي الله عنهم من ذلك.. أجل ـ إنها البدعة النكراء، والقولة الشنعاء، التي صغّر الشيطان خطرها في أعين البعض... وحقّر شأنها في نظرهم... بل سولها وحسّنها في قلوبهم لما يأمل ـ لعنه الله ـ من ورائها.. إلى إدخال بدع عديدة مميتة لكثير من السنة الهادية المهدية، حتى تحل البدعُ محلَّ السُنَن، كما حصل ذلك في الأمم السابقة... وكما حصل أيضاً.. في هذه الأمة المحمدية الكريمة، من دخول البدع الخبيثة الماكرة، التي سوَّلها الشيطان لهم، فظنوها القربات الى الله تعالى!! ولم يعلموا أنها من مكر الشيطان وخدعاته، وكم تكررت هذه الخدع..!! حتى صارت السنن في نظرهم بدعاً، والبدعُ سنناً، وتم للشيطان ما أراد من قوله: ﴿**لأقعدن لهم صراطك**

المستقيم﴾ ولكن صفعه ردّه تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ ولقد عانى المصلحون الذين سبقونا... أكثر بكثير مما نعاني نحن في هذه الأيام، من معالجة أهل الأهواء والشعوذات، والبدع والخرافات من أجل إحياء السنّة...

ولعل صفحاتنا هذه... هي إحدى هذه المعالجات، ولكن مع الاسف كانت هذه المعالجات في نفس الصف الذي أخذ على عاتقه إحياء السنن!!!؟ فبدلاً من أن يعالِجَ أصبح يُعالَجُ... لماذا؟!!... لأن البدعة التي كان يحاربها ويحارب أهلها... قد دخل بعضُها صفَّه. فأصبح بدهياً أن تسرع إلى تطهير بيتك، قبل تطهير بيت غيرك.

فإذا لم يسرع المخلصون، لسد هذه الثغرة..! وقمع هذه البدعة..!؟ وخنقها في مهدها.. فقد لا يعلم أحدٌ إلا الله تعالى، مدى ما سيرمي الشيطان من سهام بِدَعِه الـمُسَتْقبلة..!!؟ هذه البدع.. التي لا يبعد أن تتناول أقدس المقدسات، في صفوف أهل الحق والخير والهدى، ما دام إبليس لعنه الله قد نجح في الحصول على مطيّة طيّعةٍ، هينةٍ لينة... يركبها متى شاء... وكلما أراد ان يحدث حدثاً، في تلك الصفوف... ويتدرّج هكذا شيئاً فشيئاً حتى يرد بهم مهاوي الضلال، السحيقة العميقة الرهيبة المخيفة...

فإزاء هذا الخطر الداهم... لا بدَّ لي من الوقوف دونه، وأنا الذي أرى لزاماً عليّ، أن أكون أول الواقفين دون أي خطر يجوس خلال دعوة الحق، التي شرفني الله بأول صيحة.. صحتها صادعاً بها بالحق، والسير بسفينتها في خضم زاخر... مليء بأساطيل الباطل!! ولكن الله نصرها، لأنها سفينة الحق، وأيّدها لأنها وحدها هي قارب النجاة... فدوّى صوت الحق، وجلجل في عرضها الطامي، فأخرس صغير الباطل... ومشت السفينة الهادية تمخر العباب، وما زالت تمشي... حتى تصل إلى الغاية، أو يهلك أهلها صرعى في سبيل الحق، وشهداء من أجل دعوة الحق.

أجل... لا بد من الوقوف دون أي خطر يداهم طريق هذه السفنية الحبيبة، وان أخطر الخطر... هو الخطر الأول... فإذا دفع بقوة وعزم، تلاشى الى غير رجعة، حتى ييأس الشيطان اللعين من محاولاته... ما دام أهل الحق ساهرين ويقظين.

وإن دفاعي عن السنّة أمام خطرها الأول... سيكون أقوى ما استطيعه من الدفاع... حتى يبلغ الحق مَحِلَّه، ويهزم الباطلَ وأهله.

وما دفاعي ـ ان شاء الله ـ إلّا بيان واضح، وحجج دامغة، وأدلة بالغة من الكتاب والسنة، مبرهناً على أن بيوت الأنبياء والمرسلين، أجل وأعلى وأرفع وأقدس، من أن تنالها الشبه... أو ترقى إليها الظنون السيئة، ويثبت ثبوتاً قاطعاً، بأن أمهات وزوجات الأنبياء معصومات من الزنى، تبعاً لعصمة أبنائهن وأزواجهن الأنبياء، والمرسلين، عصمة من الله تعالى، خصَّهن بها دون نساء العالمين إلى يوم الدين.

إنني لأشعر بهذا الواجب، شعوراً قوّياً دافعاً بي إلى كتابة هذه الصفحات، وكلِّي أمل... أن يظهر الحق على الباطل فإذا هو زهوق. فينعم كلنا بالأخذ بالحق الذي استبان نورُه، ونسلك جميعاً منصورين بالحق الذي ظهر، وخفقت راياته، ولن يكون مقهوراً أو مكسوراً إلّا الباطل وحده، وتقبر الفتنة في مهدها إلى الأبد وإلى أبد الأبد.

وإلا فسيجرأ مَنْ بعدنا مِنَ الأجيال القادمة، على القول بما هو أدهى وأمرّ، فتكون أوزار الأجيال، أعباءً ثقالاً... نحملها نحن على أعناقنا يوم القيامة، دون أن ينقص من أوزارهم شيء.

«... ومن سنَّ سنَّةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة دون أن ينقص من أوزارهم شيء».

وإنني لأدعو إخواني المسلمين الواعين، إلى تفهم الحجة، وسلوك المحجة، التي لا يزيغ عنها إلا هالك. وإلى تجنيب أنفسهم، والأجيال التي بعدهم، أوزاراً وأحمالاً من غضب الله وسخطه، كما أدعوهم إلى الجد والسعي إلى مرضاته تعالى فيكون لنا أجر قمع البدعة، واحياء السنة، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة إنه سميع مجيب.

ولما كان القرآن الكريم، والسّنة المطهرة، عدَّتنا في تحرير هذه الصفحات... فسنسْتقي منهما، كل دليل على صحة ما نذهب إليه. إذ فيهما الأدلة الحية الناطقة على صحة ما نقوله... على أن القرآن والسنة لم يستقصيا حياة كل أمّ من أمهات الأنبياء، ولا كل زوجة من زوجاتهم بل ذكرا مثلاً من عصمة أمهاتهم: مريم بنت عمران أمّ المسيح

عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام التي بّرأها الله تعالى مما أفك به اليهود عليها. ومثلاً آخر من عصمة زوجاتهم من الفاحشة، عائشة الصديقة زوج رسول الله محمد ﷺ مما أفك به أهل الأفك، وسارة زوج إبراهيم عليه الصلاة والسلام لـمّا عصمها الله من الجبار الذي حاول اغتصابها. لأن اثبات عصمة واحدة من أمهات أو زوجات الأنبياء من الفاحشة. . . هو إثبات لعصمة سائر امهاتهم وزوجاتهم. لأن حقوق الأنبياء واحدة من هذه الناحية، لا تختلف أبداً، فما يجب في حق واحدٍ منهم يجب كذلك في حق الجميع وما يستحيل في حق واحد منهم يستحيل كذلك في حق الجميع.

وكما أننا لا نفرق بين أحدٍ من رسله، كذلك لا نفرق بين أحد من أمهاتهم وزوجاتهم فيما نحن بصدده.

ولنبدأ أولاً، بإثبات عصمة أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الفاحشة من عصمة إحداهن وهي: السيدة مريم بنت عمران أم عبدالله ورسوله المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام كما ثبت من سيرتها الطاهرة المطهرة في الكتاب والسنّة.

ثم نتبعها بإثبات عصمة زوجات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الفاحشة من عصمة عائشة أم المؤمنين وسارة زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما تبين ذلك من سيرتيهما الطاهرتين الـمُطهَّرتين من الكتاب والسنة.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إثبات عصمة السيدة مريم بنت عمران أم عبدالله ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام من الآيات القرآنية

من آل عمران:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذْ قالت امْرأةُ عِمْرانَ رَبِّ انـيِّ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطني مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مني إنك أنت السَّميـعُ العليمُ (٣٥) فلـمَّا وَضعَتْهـا قَالَتْ رَبِّ إني وضعتُها أنثى والله أعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذكرُ كالأنثى، وإني سَمَّيتُها مَرْيمَ وإني أُعيذها بكَ وَذرّيتها من الشيطانِ الرجيم (٣٦) فَتَقَبلها ربها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نَباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دَخَل عليْها زكريا المحرابَ وَجَدَ عندها رِزْقاً قال يا مريم أنَّى لَكِ هذا قالتْ هو مِنْ عندِ الله إن الله يَرزُقُ من يشاءُ بِغَيْرِ حسَابٍ (٣٧)﴾.

﴿وَإذْ قَالَتِ الملائكَةُ يا مريمُ إنَّ الله اصطَفَاكِ وَطهَّرَكَ واصْطَفَاكِ على نِسَاءِ العَالمين (٤٢)﴾.

من النساء:

﴿... وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهم عَلى مَرْيَمَ بُهتاناً عَظيمًا (١٥٦)﴾.

من المائدة:

﴿مَا المسيحُ بنُ مَرْيَمَ إلاَّ رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صدّيقةٌ (٧٥)﴾.

من مريم:

﴿واذكُرْ في الكتاب مَرْيم إذ انْتَبَذَتْ من أَهْلِهَا مَكانا شرقيّاً (١٦) فَاتخذتْ من دُونهم حِجاباً فأرسلنا إليها رُوحَنَا فتمثَّل لها بشراً سَوِيّاً (١٧) قالت إني أعوذ بالرحمن مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقياً (١٨) قال انَّما انا رسُولُ ربِّك لأهبَ لَكِ غُلاماً زَكيّاً (١٩) قالت أنىّ يكونُ

لي غلامٌ وَلـمْ يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيّـاً (٢٠) قال كذلك قال ربُّك هو علـيَّ هَيّنٌ ولنجعلهُ آية للنَّاس ورَحمةً مِنَّا وكانَ أمْراً مَقْضياً (٢١)﴾.

من التحريم:

﴿ومَرْيمَ ابنة عِمْران التي أحْصَنَتْ فَرْجَها فَنفخنا فِيه مِنْ رُوحنا وَصَدَّقتْ بكلماتِ رَبّها وكُتُبِه وكَانتْ مِنَ القانِتين (١٢)﴾.

فأما قوله تعالى: ﴿اذ قالت امرأة عمران رَبِّ إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦)﴾ فقد ذكر الله تعالى قصة ولادة مريم، متسلسلاً بها منذ أن حملت بها أمها التي كانت ترغب ان يرزقها الله ولداً ذكراً، وتنذره لله تعالى خادماً لبيت المقدس فقالت: ﴿اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم﴾ وما كانت لتعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى.. فدعت الله تعالى أن يتقبل نذرها خالصاً لوجهه الكريم ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى﴾ أي خلافاً لما كانت تتوقع من أن تلد ذكراً ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ في القوة والجلد والعبادة، وخدمة المسجد الاقصى ﴿وإني سميتها مريم﴾ ﴿وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ أي دعت الله تعالى أن يحفظها من الشيطان ومن همزاته ونفخاته ونفثاته، فتقبَّل الله دعاء أم مريم بأن يعيذهـا ونسلهـا، من كيد الشيطان وما يتسلط به على الخلق. ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي استجاب الله قبول مريم خادمة للمسجد الأقصى، وقبل من أمها هذا النذر بقبول حسن، كما تعهد مريم بالحفظ من الشيطان، فحال بينه وبينها، لأن الله تعالى هو الذي تولى بنفسه إنباتها نباتاً حسناً ومن أنبتها الله نباتاً حسناً هل يستطيع الشيطان ان يقربها؟ ﴿وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا﴾ اي وجعلها في حجر نبيٍّ، وهو زوج اختها زكريا عليه الصلاة والسلام ليكون واسطة للإنبات الحسن، فتقتبس مريم منه العلم الجم والعمل الصالح، والعبادة الحقة. وهكذا كانت في حفظ من الله وعلم، وعبادة وإعانة عليها حتى كانت من أجلد الناس عبادة في المسجد ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ اي المسجد ﴿وجد عندها رزقاً﴾ أي فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة

الشتاء في الصيف. وفيه دلالة على كرامات الأولياء ﴿**قال يا مريم أنى لك هذا**﴾ أي من أين لك هذا؟!!! أي متعجباً ﴿**قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾.

وهكذا كان يأتي رزق مريم من الله تعالى كرامة لها وخاصيّةً بها، مما جعل زكريا يتعجب!!! ولو كان الأمر عادياً، لما كان اي داع للتعجب... فإن امرأةً يأتيها رزقها من عند الله في غير أوان هذا الرزق، هي امرأة ليست عادية، بل هي مخصوصة بعناية آلهية، ولا عجب من ذلك، فالذي تقبّلها قبولاً حسنا، وأنبتها نباتاً حسناً، هو الذي يرزقها رغداً بغير حِساب، تقدست اسماؤه وجلت صفاته، لا إله غيره، ولا رب سواه.

هذه مريم البتول يتعهد الله تربيتها ونشأتها على أتم ما يحب لها ويرضى، ويهيئها سبحانه لأجلٍّ منزلة وأعلى مقام، بين نساء العالمين، ويُعِدُّها لتنزُّلِ الملائكة عليها وليخبرها بالمقام الأعظم بين النساء، وباصطفائها عليهن وتطهيرها وعصمتها:

﴿**وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**﴾ أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها، وطهرها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين. ثم أخبر تعالى عن الملائكة، أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدَّره عليها، مما فيه محنةٌ لها، ورفعةٌ في الدارين، بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولداً من غير أب، فقال تعالى: ﴿**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾ أي كوني منهم.

هذه صفحة وقورة جليلة، مشرقة بالطهر والعصمة، وضيئة بالتقى والنقاء، تتلألأ سناءً وضياء، فتنير الطريق للنساء بعدها، وتشقّ لهن سبل الأسوة الحسنة والقدوة الطاهرة. هذه مريم يعدها الله لتحمل بالمعجزة الباهرة والآية النادرة ﴿**واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا * قالت إني اعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول الله ربك لأهب لك غلاما زكيّاً * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً، قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضيّاً**﴾.

مقضياً﴾.

وهكذا تجتاز هذه الطاهرة البتول، أعظم محنة، وأكبر ابتلاء، وأشد اختبار، ويَلغُ اليهودُ في سيرتها الطيبة الطاهرة، ويتهمونها بالزنى، وهي البريئة المبرأة... ومَنْ برأها..؟ برأها العليم الخبير، المطلع على السرائر، برأها ببراءة ما عهدها الناس في زمانهم.. هذا وليدها الذي ما اجتاز بعدُ سويعاته الأولى ينطقه الله الذي يُنطق كلَّ شيء إن شاء: ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب والحكمة وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيّاً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام عليّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعثُ حيّاً * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون***﴾.

ومن أنطق هذا الولد الجديد!!!؟ وهل من كان في المهد ينطق..!!؟ أجل ينطق... اذا أنقطه الحكيم العليم الخبير، ولقد وصف الله ما اتُّهمتْ به السيدة مريم بأنه الكذبُ والبهتان: ﴿**وقولهم على مريم بهتاناً عظيمًا**﴾ أجل.. يسميه الله بهتاناً عظيمًا لأنها عليها السلام معصومة منه، كيف لا وقد طهرها واصطفاها على نساء العالمين، وإنه هو الذي أنبتها نباتاً حسناً، ثم وانها لِمن آل عمران الذين فضلهم على العالمين... فمن كانت هذه سيرتها.. هل يمكن أن تزني...؟ حاشا وكلاّ، فإنها الطاهرة البتول، أمُّ المسيح عبدالله ورسوله على ابنها وعليها أفضل الصلاة وأزكى السلام. ﴿**ما المسيحُ ابنُ مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمُّه صدِّيقةٌ**﴾ والصديقون هم الذين لهم عند الله المقام العظيم، الذي يلي مقام الأنبياء والمرسلين، ومريم عليها السلام منهم، حتى ان من العلماء من غالى فيها، وقال بنبوتها!!! واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**واصطفاك...**﴾ وإننا وإن كنا لا نوافقهم على هذا.. **إنما نعطيها ما أعطاها** الله من مقام الصديقين ولا نقول إلا ما قال الله فيها، لأن مقام النبوة إنما هو خاص بمن يختارهم الله من الرجال لقوله تعالى: ﴿**وما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم**﴾ ولولا هذه الآية لقلنا بما قال علماء الظاهرية فيها عليها السلام والمحبة والرضوان.

إن سيرتها الطيبة الطاهرة النقية التقية، جعلها مثلاً كاملاً يقتدى به ويحتذى، لا سيما وقد برأها الله من البهتان وطهرها منه، وما ذلك إلا لأنها ستكون وعاءً للنبوة

الكريمة، والمعجزة العظمى، فحملت من كلمة «كُنْ» بذلك النبي الطيب المبارك عبدالله ورسوله المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، أجل هذه أم النبي وهذا شأنها من الطهر والعفاف والعصمة من الفاحشة، وإن السيدة مريم أكمل النساء، وهي المصطفاة عليهم، وأفضلهن، وإن أمهات الأنبياء وإن كنَّ لا يبلغن فضلها في كل شيء... إنما يوازنَّها تماماً في الطهارة والعفة والعصمة من **الزنى**. .حتى ولو كنَّ مشركاتٍ... إذ يمكن ان تكون أم النبي مشركةً ويكون مصيرها النار!!! ولكن لا يمكن أبداً ان تكون زانية. لأن الزنى ليس مقتصراً أثره ولا خطره عليها فحسب إنما يتعدى ذلك الى ابنها ويتلوث به، والنبي معصوم من ذلك، فإذا كان ثابتاً عندنا عصمة الأنبياء والرسل من ان يكونوا أبناء زوانٍ وبغايا... لزم ان تكون أمهاتهم غير زوان ولا بغايا، ولما كان الأنبياء معصومين من ذلك، لزم ان يكنَّ امهاتهم معصومات من ذلك بالضرورة، إذ لا يتصور في العقل ان يكون النبي معصوماً من التحدر من الزنى ثم يمكن ان تكون أمُّه غير **معصومة** من ذلك... لأن ذلك لازم وملزوم.

وهكذا فقد ثبتت ثبوتاً قطعياً، عصمة أمهاتِ الأنبياء من الفاحشة، والعكس مستحيل عليهم وعليهن ﴿**ومَرْيَمَ ابنةُ عِمرَانَ التي أحصنت فرجَها فَنَفَخْنَا فِيهِ من رُوحِنَا**﴾.

إن الله ضرب مثلاً لعصمة أمهات الأنبياء، بمريم بنت عمران عليها السلام والرضوان، فليأت المنكرون بمثل واحدٍ على تَدَنِّيهنَّ إلى المستوى القائم في أذهانهم المريضة الدنسة... وحاشا أمهات الأنبياء من ذلك، فإن وعاء الطاهر لا يكون إلا طاهراً. ومستحيل أن يحوي الوعاء الخبيث محتوىً طيباً، فالحمد لله الذي طهرهم وطهرنّ جميعاً. وكفى بالله مُطَهِّراً وعاصمًا لهن، ومن ظن بأن الله يمكن أن يُقَدِّرَ على أمهات أنبيائه الزنى.. فقد ظنَّ الظنَّ السوء بربِّه.. نعوذ به تعالى من الخزي والخذلان، وسوء الخاتمة والمنقلب. والله الموفق.

إثبات عصمة أمهات الأنبياء من الفاحشة من السنة المطهرة

روى البيهقي في دلائل النبوة عن رسول الله ﷺ:

١ ـ «ما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرهما؛ فأُخْرِجْتُ من بين أبويَّ فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لَدُن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً».

٢ ـ «ولدت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح **الجاهلية** شيء» رواه ابن عدي، والطيالسي، عن علي رضي الله عنه.

٣ ـ «لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلّا وكنت في خيرهما» رواه أبونعيم.

٤ ـ «ما ولدني من نكاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلّا نكاح الإسلام» يعني الموافق للطريقة الإسلامية. رواه البيهقي مرفوعاً.

٥ ـ «لم يلتقِ أبوايَ على سفاح»[1] رواه ابن سعد عن ابن عباس مرفوعاً.

قلت: إن من قراءة الأحاديث المتقدمة، وَتَفهُّم أحكامها، وما يُستَدَلُّ منها يرى القارىء الكريم، أن رسول الله ﷺ، يخبر عن نفسه أنه خير الناس وما افترق الناس فرقتين، إلا جعله الله في خيرهما، وأنه عليه الصلاة والسلام خرج من أبوين طاهرين، ولم يصبه شيء، من عهر الجاهلية قط، وولد من نكاح شرعي، لا من سفاح من لدن آدم إلى أبيه عبدالله، ومن حواء إلى أمه آمنة، لذا فهو خير الناس نسباً وخيرهم آباءً وأمهات، وقد عصمهم الله من السفاح، ولم يصبهم شيء من العهر الذي قد يصيب غيرهم.

---

(١) ان من مجموعه هذه الأحاديث، تأخذ فكرة صحيحة عن عدم تلوث نسب الأنبياء عامة بالزنى.

فقوله ﷺ: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي**» يدل دلة واضحة أن جميع الأنبياء هذا شأنهم أيضاً من وجوه:

١ ـ إن ما يجب لنبي واحد من الحقوق يجب للجميع، وما يستحيل على نبي واحد، كذلك يستحيل على الجميع، لأنهم متساوون فيما يجب لهم، وما يستحيل عليهم، لا بالفضل.

٢ ـ ما دام رسول الله ﷺ، قد بَرَّأ آباءه وأجداده حتى آدم، وكذلك برأ أمهاته وجداته إلى حواء، من أن يكون أحدهم، قد قارف الزنى، فلا شك أن في عداد آبائه وأجداده إلى آدم، يدخل جميع الأنبياء، لأنهم كلهم من آدم.

٣ ـ وقوله ﷺ: «**ولم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة، مصفىً مهذباً، لا تتشعب شعبتان، إلّا وكنت في خيرهما**» يتضح أن في هذا التنقل من صلب الى صلب، ومن رحم إلى رحم، مرَّ على أصلاب الأنبياء الذين تقدموه من آدم إليه. إذاً فالأنبياء كذلك نَقَلَهُم الله من الأصلاب الطيبة، إلى الأرحام الطاهرة، لأنهم أجداده ايضاً، وحكمهم حكمه.

وقد يكون من أجداده من ليس نبياً، بل وقد يكون شخصاً مشركاً.. !! فهذا لا دخل له في الموضوع... لأن الطهارة المبحوث عنها.. هي طهارة النسب لا طهارة الملة والدين. فالرسول عليه الصلاة والسلام الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق، حدّث عن أبويه أنهما مشركان، وأنهما في النار، فهذا لا يمسه ﷺ بشيء[1]... وكذلك إبراهيم عليه السلام أبوه مشرك في النار، فلا يمس إبراهيم في شيء.. وقد يوجد في الأنبياء أيضاً من أبواه مشركان فلا يمس ذلك منهم شيئاً.

أما إذا كان أبواه قد زنيا به... فهذا مما يُعِيقُ دعوته، ويشينه، ويؤثر في سمعته، إن كان شخصاً عادياً، أو نبياً مرسلاً، لأن الزنى متفق على ترفع الناس عنه، ولا يقترفه

---

(١) لم يصح في دخول والدي النبي ﷺ النار حديث، وما ورد في مسلم فهو شاذ ومخالف لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾، وأبواه من أهل الفترة بلا شك ولا ريب، انظر ما كتبه الامام السيوطي عن هذا الموضوع في كتابه «الحاوي في الفتاوي»، المحقق.

إلا الخبيثون من الناس، ويترفع عنه الطيبون، ولذلك طهر الله أنبياءه ورسله من هذه الأرجاس والأدناس، وجعلهم طاهرين مُطَهَّـرِين منها، هم وآباؤهم وأمهاتهم من لدن آدم إلى أبويهم الأدنين.

وعلى هذا يتقرر أن أمهات الأنبياء عامة، مؤمنات كُنَّ أو مشركات، هنَّ معصومات من الزنى، لأنهن كن وعاءً لأطهر الناس والمخلوقات عامة، ولا يعقل العكس.

وهذا ما لا يختلف فيه أحد من المسلمين الأولين والآخرين، إلَّا الذين طلعوا علينا في الآونة الأخيرة، بهذه البدعة المنكرة التي قالوا فيها: بإمكانية زنى أمهات وزوجات الأنبياء، والتي ما سبقهم إليها أحد، والعياذ بالله تعالى. هدانا الله وإياهم، الى طريق الله القويم، وصراطه المستقيم.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب﴾.

وانّ أمهات الأنبياء طاهرات ومعصومات من الزنى، في جميع أحوالهن، فلا يقال أن أم النبي قد لا تزنى حال حملها بالنبي... إنما قد تزني بأخيه مثلاً... فقد قالوا: لا يشترط بالأم أن تلد نبياً دائمًا، فقد تحمل بنبي... وتحمل بغير نبي... فإذا حملت بغير نبي فقد تزني به... لأن ذلك ممكن... نعوذ بالله من هذا الكلام الخبيث!!!

هكذا... يستولي الشيطان على من لم يتدرع بالكتاب والسنة، ويطلق هواه، دونما أي ضابط، فتزل قدمه، ويغوى لبه، ويطغى قلبه، ويشرد عقله والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب.

إنه ﷺ قال: «**لم يلتق أبواي قط على سفاح، ولم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الطيبة، إلى الأرحام الطاهرة، مُصَفًّىً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما**».

ثم انني أريد أن أسأل أولئك الذين افترضوا زنى أم النبي بغير النبي، أي مثلاً بأخيه... هل يكون هذا الرحم طاهراً...؟ ألا يمس النبي عَارُ أمِّه التي زنت ولو بأخيه... وهـل ترضون يا أيها القائلون لأمهاتكم.. أو لأخواتكم، أو **لعماتكم** أو خالاتكم...؟ قالوا هذه عواطف وليست أدلة شرعية.

قلت: هذه العواطف هي نفسها أدلة شرعية، لأن رسول الله ﷺ كان يستعمل

أمثالها. . . ألم يقل ﷺ للشاب الذي جاء يستأذنه بأن يزنى فقال له ـ أو كما قال ـ «**أتحب أن يزنى بأمك. .؟ أو بأختك، أو بعمتك، أو خالتك؟ قال: لا. .**» الحديث.

فما قولكم بهذه الأدلة العاطفية. . .!!؟ أأخطأ رسول الله لما استعملها. .؟ قليلاً من الخوف من الله، قليلاً من الخشية يا قوم. .!!؟

كيف يمكن لأم النبي أن تزني. .؟ إن كان به أو بأخيه. . وهل تدري الأم متى يكون حملها نبياً. . . ومتى لا يكون. . .!!!؟ حتى لا تزني بأخيه غير النبي. . . ما هذا الهراء. . .؟ والله لولا بقية أمل. . . لقلت: بل ما هذا الكفر. . .؟

أهكـذا تظنـون بربكم. . . أنه يُقَدِّرُ ذلك ويرضى به. .؟!! تعاليت وتقدست وتنزهت يا رب عما يقول الظالمون ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إننا نشهد أن أنبياءك ورسلك، هم المصطفون المختارون من أعلى الأرومات، المعصومون من أن يكونوا زناة، أو أبناء زناة وزانيات، أو أزواج زانيات. اللهم ارزقنا حبهم واتباعهم، وأنقذنا بشفاعتهم وأحينا وأمتنا على ملتهم، وارض عنا يا رب العالمين.

أدلتي القرآنية على عصمة أزواج الأنبياء من الزنى

١ ـ قوله تعالى: ﴿الزَّاني لا يَنكِحُ إلا زَانيةً أو مُشْركةً والزَّانيةُ لا يَنكحها إلا زانٍ أو مُشرِكٌ وحُرِّم ذلك عَلَى الـمُؤْمِنينَ﴾ ٣ ـالنور.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لولا إذ سَمعتُمُوه ظَنَّ الـمُؤمنونَ والـمَؤمنات بأنفسُهِم خَيراً وقالوا هَذا إفكٌ مُبين﴾ ١٣ ـ النور.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إذ تلقونه بأَلْسِنتكمُ وتَقُولونَ بأفواهكُم ما ليس لكم به عِلمٌ وَتَحْسبونَه هَيِّناً وهو عند الله عَظِيمٌ﴾ ١٥ ـ النور.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سَمِعتُموه قُلْتم ما يكون لنا أن نتكلمَ بهذا سُبْحَانَك هذا بهتان عظيم﴾ ١٦ ـ النور.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون الـمُحصناتِ الغَافِلات المؤمنات لُعِنُوا في الدنيا والآخرة ولهم عَذَابٌ عَظِيم﴾ ٢٣ ـ النور.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿الخبيثاتُ للخَبيثين والـخَبيثُون للخبيثات، والطَّيباتُ للطّيبين والطَّيبون للطَّيِّبَاتَ أولئك مُبَرَّءون مـمَّا يقولون لهم مغفرةٌ ورزقٌ كَرِيم﴾ ٢٦ ـ النور.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿الـنَّبي أولى بالـمُؤمنين من أَنْفُسهم وأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ٦ ـ الأحزاب.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿يا نِساءَ النبي لستُنَّ كأحدٍ من النساء إن اتَّقيتُنَّ فلا تخضعن بالقَوْل فيطمعُ الذي في قَلْبِه مَرَضٌ وقُلْنَ قَولا مَعْرُوفاً﴾ ٣٢ ـ الأحزاب.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿. . . إنَّما يُرِيدُ الله ليذهب عَنْكُمُ الرِّجسَ، أَهلَ البَيتِ وَيُطهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ ٣٣ ـ الأحزاب.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿واذكرن مَا يُتلى في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ ٣٤ ـ الأحزاب.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والـمُسْلِمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقَانِتات والصَّـادقـين والصَّـادقات والصَّابرينَ والصَّابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصَّائمين والصَّائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أَعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيمًا﴾ ٣٥ ـ الأحزاب.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ما كَانَ لَكُم ان تُؤْذُوا رسولَ الله ولا تَنْكِحُوا أَزْوَاجَه من بعده أَبَداً إنَّ ذَلِكُم كَانَ عِند الله عَظِيمًا﴾ ٥٣ ـ الأحزاب.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين يُؤذون الله ورَسُوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً (٥٧) والَّذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتَسَبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثما مُبينا﴾ ٥٨ ـ الأحزاب.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿الزَّاني لا يَنْكَحُ إلَّا زانيةً أوْ مشركةً والزَّانيةُ لا يَنْكحها إلَّا زانٍ أو مشركٌ وَحُرّمَ ذلك على المؤمنين (٣)﴾ النور.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمر رضـي الله عنهما: أن رجلاً من المؤمنين، استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح، وتشترط له أن تنفق عليه قال: فاستأذن رسول الله ﷺ، أو ذكر له أمرها، قال فقرأ عليه رسول الله ﷺ: ﴿الزَّاني لا يَنْكَحُ إلَّا زانيةً أوْ مشركةً والزَّانيةُ لا يَنْكحها إلَّا زانٍ أو مشركٌ وَحُرّمَ ذلك على المؤمنين (٣)﴾.

هذه آية من سورة النور أخبر فيها الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين عامة، أنه لا يجوز للمؤمن أن يتزوج بزانية أو مشركة ولا للمؤمنة أن يتزوجها زانٍ أو مشركٌ وإنك لترى يا أخي القارىء المسلم الكريم كيف قرن الله سبحانه الزنى بالشرك في هذه الآية الكريمة. وهذا ابن القيم رحمه الله تعالى يوضح لك سرَّ قرن الشرك بالزنى في هذه الآية وذلك في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» فقال رحمه الله:

«نجـاسة الزنى واللواطة، أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد الصلب، وتضعف توحيده جداً؛ ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة اكثرهما شركاً،

فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر. . .

وكلما كان أعظم إخلاصاً، كان منها أبعد كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام ﴿**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**﴾ فإنَّ عشقَ الصُّوَرِ المحرمة نوعُ تعبدٍ، بل هو من أعلى أنواع التعبد ولا سيما اذا استولى على القلب وتمكن منه، صار تيمًا، والتتيم التعبد؛ فيصير العاشق عابداً لمعشوقه، وكثيراً ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابه، على حب الله وذكره والسعي في مرضاته، بل كثيراً ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقاً بمعشوقه من الصور كما هو مشاهد فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عزو وجل، يقدم رضاه وحبه على رضا الله وحبه. ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنب سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى، فيصير آثر عنده من ربه حبا وخضوعا وذلاً وسمعا وطاعة.

ولهذا كان العشق والشرك متلازمين. وانما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط وعن امرأة العزيز ـ وكانت إذ ذاك مشركة ـ فكلما قوى شرك العبد بُلـيَ بعشق الصور. وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه، والزنا واللواطة كمال لذته إنما يكون مع العشق، ولا يخلو صاحبهما منه وليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، . ولهما خاصية في تبعيد القلب من الله فإنهما من أعظم الخبائث فإذا انصبغ القلب بهما، بعد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثا ازداد من الله بعداً، ولهذا قال المسيح فيما رواه الإمام أحمد في «كتاب الزهد»: «لا يكون البطالون من الحكماء ولا يلج الزناة ملكوت السماء». ولما كان هذه حال الزنى كان قريباً للشرك في كتاب الله تعالى فقال الله عز من قائل: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحَرّم ذلك على المؤمنين**﴾ وهذه الآية محكمة لم ينسخها شيء، وليس المراد من النكاح إلا الزواج، فالمتزوج إما ان يلتزم حكم الله وشرعه الذي شرعه على لسان رسوله ﷺ أو لا يلتزمه فإن لم يلتزمه فهو مشرك لا يرضى بنكاحه إلا من هو مشرك مثله، وان التزمه وخالفه، ونكح ما حرم عليه لم يصح النكاح فيكون زانياً؛ فظهر معنى قوله تعالى: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة**﴾ وتبين غاية البيان.

وكذلك حكم المرأة. . . وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصريحه فهو موجب الفطرة ومقتضى العقل، فان الله سبحانه حرم على عبده ان يكون قرناناً ديوثاً زوج بغي فان الله تعالى فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه، ولهذا إذا بالغوا في سب الرجل قالوا (زوج قحبة) فحرم الله على المسلم ان يكون كذلك. فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية والله الموفق».

انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى باختصار بسيط.

وقال القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره «محاسن التأويل» ص (٤٤٤٤) سورة النور في تفسيره هذه الآية: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة. . .﴾

«. . . فإن من نكح زانيةً فقد رضي لنفسه بالقيادة والدياثة».

وقال في الصفحة ذاتها: والمقصود أن الآية تدل على أن الزاني لا يتزوج إلا زانية او مشركة وان ذلك حرام على المؤمنين.

وقال أيضاً: «. . . فمن نكح زانية فهو زان اي تزوجها، ومن نكحت زانياً فهي زانية، أي تزوجته».

ويقول ابن تيمية ص ١١٧ج ٣٢ من فتاواه طبع الرياض:

«. . . وكل امرأة اشترك في وطئها رجلان فهي زانية، فإن الفروج لا تحتمل الاشتراك، بل لا تكون الزوجة إلا محصنةً.

ولهذا لـمَّا كان المتزوج زانية زانياً، وكان مذموماً عند الناس وهو مذموم، أعظم مما يذم الذي يزني بنساء الناس، ولهذا يقول في الشتمة: سبَّه بالزاي والقاف أي قال: يا زوج قحبة، فهذا أعظم ما يتشاتم به الناس. . . لما قد استقر عند المسلمين من قبح ذلك ـ فكيف يكون مباحا. . .؟ **ولهذا كان قذف المرأة طعناً في زوجها**، فلو كان يجوز له التزوج ببغي لم يكن ذلك طعناً في الزوج، ولهذا قال من قال من السلف: «ما بغت امرأة نبي قط» فالله تعالى أباح للأنبياء، أن يتزوجوا كافرة، ولم يبح تزوج البغي، لأن هذه تفسد مقصود الزواج، بخلاف الكافرة. ولهذا أباح الله للرجل، أن يلاعن مكان أربعة شهداء، اذ زنت امرأته، وأسقط عنه الحد بلعانه، لما في ذلك من الضرر عليه،

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة ديوث» والذي يتزوج ببغي هو ديوث، وهذا ما فطر الله على ذمه وعيبه بذلك جميع عباده المؤمنين بل وغير المسملين من أهل الكتاب وغيرهم، كلهم يذم من أن تكون امرأته بغياً ويشتم بذلك ويعيَّر به، فكيف ينسب إلى شرع الإسلام إباحة ذلك، وهذا لا يجوز أن يأتي به نبي من الأبنياء». انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله.

تقدم من أقوال العلماء الأعلام، ما يشفي الغليل، ويثبت أن زوجة النبي لا يصلح ولا يجوز قطعاً ان تكون زانية، وهذا ما لا تألفه الطبائع البشرية العادية، فكيف بالأنبياء والمرسلين وأزواجهم الطاهرات، اللاتي طهرهن الله وأعدهن وتعهدهن بالحفظ والعصمة.. حتى يكنَّ أهلاً للانبياء وكفأً لهم، لأن الطاهر المعصوم لا تليق به الا الطاهرة المعصومة من هذه الدنايا والأرجاس، وعظيم عند الله أن يدع زوجة صفيّه وخليله نبيه ورسوله، يفجر بها وغدٌ من الأوغاد ويكون رسوله خالي الذهن مما تأتي به زوجته، وهل يجوز أن يمكر الرب بنبيه ورسوله فيدع الفجور يتسرب إلى بيته الكريم..؟! حاشا ربنا عن هذا... وتنزه وتقدس.

قالوا: نعم.. النبي لا يمكن أن يكون زوجاً لزانية بعلمه، ولكنه قد لا يعلم بزناها...

قلت: نحن لا نجيز أبداً، أن تكون زوجة النبي زانية... فإذا انتهى الأمر من أساسه فإنه يكون ذلك، بعلمه.. أو بدون علمه!! أما قولكم: قد يقع ذلك بدون علمه! فنقول: هذا يمكن أن يقال في حق الأشخاص العاديين.. لأنهم لا يعلمون إلا اذا اطلعوا بأنفسهم، واذا لم يطلعوا بأنفسهم أو الوساطة، فلا يعلمون ما يجري بالغيب... فقد لا يعلم الرجل ما تفعل زوجته من الفاحشة أبداً وهو يظن أو يعتقد أنها طاهرة نقيةٌ... ولكن هل هكذا الأنبياء...؟!

أقول لا.. إذ لا يقال في النبي هذا القول.. لأنه معصوم من هذه الدنايا أن تلحق به وزنى زوجته هو من أحط الدنايا... وإذا سلمنا جدلاً بان النبي قد لا يعلم من ذاته ما تفعل زوجته من الفاحشة.. فان الله تعالى عندما تهم زوجته بالفاحشة يخبره

بما تهم. . . أو انكم تعتقدون بان الله تعالى يمكر بنبيه ويدع زوجته أن تلوث بيته الطاهر ولا يخبره بذلك. . . ؟

على أنكم بقولكم هذا. . تكونون قد برأتم رسول الله - على زعمكم - من العلم بالفاحشة بحق زوجته. . ! ولكنكم من جانب آخر اتهمتم ربَّ النبي بأنه رضي لنبيه الطاهر وبيته الكريم ان يتلوث بالفاحشة، ويدخل اليه الرجس، في الوقت الذي طهر الله آل بيت النبوة تطهيراً، وهكذا فقد هربتم من ذنب قبيح ووقعتم يا ويحكم في ذنب أقبح منه وأرجس وأنجس.

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وقوله تعالى: **﴿وحُرِّم ذلك على المؤمنين﴾** يعني الزواج بالزانيات فقد حرمه الله تعالى تحريمًا شرعياً على المؤمنين لأنَّ الزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك. فإذا كان ذلك حراماً شرعاً على المؤمنين أفلا يكون حراماً على الأنبياء والمرسلين شرعاً وقدراً من باب أولى. . . ؟

أو كيف يتصور مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر وقوع ذلك من الأنبياء. . . ؟! فإذا كان ذلك مستحيل الوقوع منهم، إذا فلا يتزوج النبي إلا طاهرة مطهرةً، لا يمكن قط وقوع الزنى منها، لأنه إذا أمكن ذلك منه كان هو زانياً والنبيُّ معصوم من ذلك قطعاً. . . إذاً لزم ان تكون امرأتهُ مستحيل عليها الوقوع بالزنى، وهذا المستحيل قَدَرٌ قدَّرهُ الله عليها، وان ذلك معناه انها معصومة بعصمة الله تعالى من الوقوع بالفاحشة، ولست أنا اول من يقول بعصمة نساء الأنبياء والمرسلين من الزنى. . فقد سبقني كثير من العلماء والمفسرين بذلك وهذه نتيجة واقعية وحتميّة يحتمها شرفُ هذه البيوت الكريمة التي أبى الله تعالى أن يدنسها بما يشين أنبياءه ويعيق دعواتهم التي أرسلهم بها إلى الناس فالله الذي علم من يختار من عباده أنبياء ورسلاً علم من يختار لهم أزواجاً يتكافأن مع شرف تلك البيوت الطاهرة المطهرة المبرأة المعصومة.

ولـمّا نكح النبيون نساءهم عُلم مَن هذه الآية **﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾** أنهنَّ لم يكنَّ في الماضي، أي قبل ان ينكحوهن زانيات ابداً، فلو كُنَّ زانيات. . . لما نكحهن إلا زناة مثلهن،

ولكن لما نكحهنَّ أنبياء ومرسلون، وهؤلاء معصومون من الزنى... علم أن نساءهم ما كن زانياتٍ من قبل أبداً، بل هنَّ طاهراتٌ مطهرات ولا يمكن ان يقعن بالزنى من قبل... لأن الله تعالى وتقدس علم بأنهن سيكنَّ أزواج أنبيائه ورسله فأعدّهن لذلك وحفظنَّ وعصمهن من الزنى، وربط على قلوبهن من إمكانية وقوعهن بمثل هذه القاذورات وعلى سبيل المثال نقول وبالله المستعان وحده:

إن خديجة الكبرى رضي الله عنها كانت قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ أيمًا من زوجين أي تزوجها في الجاهلية رجل ثم مات ثم تزوجها رجل آخر ثم مات، ثم تزوجها رسول الله ﷺ، وصفية التي كانت يهودية فأسلمت رضي الله عنها ثم تزوجها رسول الله ﷺ بعد خيبر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة وسائر زوجات رسول الله ﷺ ما عدا عائشة رضي الله عنها، كُنَّ كذلك متزوجات قبل ان يتزوجهن رسول الله ﷺ وما كنَّ يدرين انهن سيكنَّ زوجات له ﷺ وكذلك هو ﷺ ما كان يدري أنهن سيكنَّ زوجات له ﷺ ولكن الله تعالى كان يعلم وهو العليم الخبير أنهن سيكن زوجات له عليه الصلاة والسلام فأعدهنَّ منذ أن خلقهنَّ لذلك... فعصمهن من الفاحشة قبل زواجه بهن ﷺ، وفي أثناء زواجه بهن وبعد زواجه بهن أي بعد موته ﷺ وجعلهن معصوماتٍ ومحفوظاتٍ ومبرأتٍ ومطهراتٍ من أن يقعن في الزنى حتى وأنهن حرمهنَّ سبحانه وتعالى على غيره ﷺ بعد وفاته وجعلهن أمهاتٍ للمؤمنين لا يمكن لأحد ان ينكحهن بعده، فهل مثل هؤلاء يمكن ان يزنين...!!!؟ فإذا كان لا يمكن لأحد ان يتزوجهن بعد الرسول ﷺ وكذلك فانه تعالى عصمهن من ذلك فكيف يمكن ان يزنين..؟!!! وإذا كان الزواج الشرعي الحلال لا يمكن ان يقع منهن بعد رسول الله ﷺ فهل يمكن أن يقع منهن الزنى الذي هو من أفحش الفواحش ومن أرذل الأخلاق وأشينها وألحقها عاراً بصاحبها في الحياة وبعد الممات..!!؟

والله إنني لما أحاول وأدافع عنهن من امكانية الوقوع في الفاحشة... اتحرج أن اضيف اليهن كلمة «زنى» وأنا في حلبة الدفاع عنهن وتبرئتهن من امكانية ذلك ولولا الاضطرار لما ذكرت هذه الكلمة الخبيثة.. ولا ردَّدتها ولو في مناسبة الدفاع والتبرئة... فإنني لأعجب والله كيف لا يتحرّجُون ـ هداهم الله ـ من نسبة إمكانية وقوع ذلك منهن

حتى ان أحـدهم لما سئل: هل يمكن ان يكون الرسول زوج زانية..؟ قال: نعم ممكن..!!؟ والعياذ بالله من الخذلان وسوء المنقلب حتى ان السائل اعاد السؤال بلفظ اقوى لعل المسؤول يهتز وتأخذه الخشية من الله فلا يتورط بمثل هذا الجواب.. نعم سألتـه أنـا.. هل يمكن ان يكـون الرسول زوج قحبة..؟ قال بكل بساطة وهدوء أعصاب!! نعم يمكن ان يكون الرسول كذلك!!! وما المانع من ذلك..؟ عندها لم أتمالك نفسي.. فثرت عليه ثورة ما ثرتها على احد من قبله قط وقلت له: **قم يا عدو الله واخرج من داري!! وطردته شر طردة غضباً لله ولرسوله ورسله جميعاً**. ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له... ولن تجد له ولياً مرشداً..

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين (١٣)**﴾ النور.

قال ابن كثير: «هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضـي الله عنها، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء، وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه**﴾ أي ذلك الكلام السوء الذي رُمِيَت به أم المؤمنين رضـي الله عنها ﴿**ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً**﴾ أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والاحرى، وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضـي الله عنهما كما قال محمد بن عمر الواقدي: عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة والله خير منكِ، فلما نزل القرآن، وذكر أهل الإفك قال الله عز وجل: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين**﴾ يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال... ويقال إنما قالها أُبَـيُّ بن كعب.

﴿**ظن المؤمنون...**﴾ أي هلاَّ ظنوا الخير فإن أم المؤمنين أهله وأولى به ﴿**وقالوا**﴾ أي بألسنتهم ﴿**هذا إفك مبين**﴾ أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضـي الله عنها».

قال القرطبي: «قال ابن زيد: **ظن المؤمنون أن المؤمن لا يفجر بأمه** قال المهدوي:

لولا بمعنى هلاَّ دليل: أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فيهم، **فذلك في عائشة وصفوان أبعد**...».

قال الرازي في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿**ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**﴾: «كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول القاذف أن يكذبوه، ويشتغلوا باحسان الظن، ولا يسرعوا إلى التهمة فيمن عرفوا فيه الطهارة. وههنا سؤالات:

(**السؤال الأول**): هلاّ قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم.. فلم عدل عن الخطاب الى الغيبة، وعن المضمر إلى الظاهر...؟

الجواب: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وفي التصريح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يظن بالمسلمين إلاَّ خيراً، لأن دينه يحكم بكون المصعية منشأ للضرر، وعقله يهديه إلى وجوب الاحتراز عن الضرر وهذا يوجب حصول الظن باحترازه عن المعصية، فإذا وجد هذا المقتضي للاحتراز، ولم يوجد في مقابلته راجح يساويه في القوة، وجب إحسان الظن وحرّم الاقدام على الطعن.

(**السؤال الثاني**): ما المراد من قوله تعالى: ﴿**بأنفسهم**﴾ الجواب فيه وجهان:

الأول: المراد أن يَظنُ بعضهم ببعض خيراً ونظيره قوله: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ وقوله: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ وقوله: ﴿**إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم**﴾ ومعناه: ان تظنوا خيراً بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم. رُوِيَ ان أبا أيوب الأنصاري زضي الله عنه قال لأم أيوب: أما ترين ما يقال...؟ فقالت: لو كنتَ بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوءً قال: لا، قالت: ولو كنتُ بدل عائشة ما خنتُ رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك.

وقال ابن زيد: ذلك معاتبة للمؤمنين، إذ المؤمن لا يفجر بأمه ولا الأم بابنها، وعائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين.

والثاني: أنه جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور، فإذا جرى

على أحدهم مكروه، فكأنه جرى على جميعهم.

(السؤال الثالث): ما معنى قوله ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾ وهل يحل لمن يسمع ما لا يعرفه أن يقول ذلك...؟

الجواب: من وجهين:

الأول: كذلك يجب ان يقول.. لكنه يخبر بذلك عن قول القاذف الذي تدنيسته إلى أمارة ولا عن حقيقة الشيء الذي لا يعلمه.

الثاني: ان ذلك واجب في امر عائشة لأن كونها زوجة الرسول ﷺ المعصوم عن جميع المنفرات كالدليل القاطع في كون ذلك كذباً».

قال الشوكاني في تفسيره:

﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً**﴾ لولا هذه: هي التحضيضية، تأكيد للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم، أي كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الأفك ان يقيسوا ذلك على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فيهم، فهو في أم المؤمنين أبعد. قال الحسن: معنى بأنفسهم: بأهل دينهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة... فأوجب الله تعالى على المسلمين، إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً، ويذكره بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا عليه ويكذبوه» اهـ.

وقوله تعالى: ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾..

قال الرازي في تفسيره سورة النور ج٤/ ص ٦٤٤ ـ ٦٤٥/ بولاق عند قوله تعالى: ﴿**ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم**﴾:

واجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة؛ وإنما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً، لأن المعروف من حالة عائشة خلاف ذلك، لوجوه:

الأول: ان كونها زوجة للرسول ﷺ المعصوم، يمنع من ذلك؛ لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم.. ويستعطفوهم.. فوجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم،

وكون الانسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم المنفرات.

فإن قيل: كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة...؟! وأيضاً.. فلو لم يجز ذلك لكان الرسول اعرف الناس بامتناعه، ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه، ولما سأل عائشة عن كيفية الواقعة...؟

قلنا: الجواب عن الأول: ان الكفر ليس من المنفرات، أما كونها فاجرة فمن المنفرات.

والجواب عن الثاني: أنه عليه السلام، كثيراً ما كان يضيق قلبه من اقوال الكفار، مع علمه بفساد تلك الأقوال... قال تعالى ﴿**ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**﴾ فكان هذا... من هذا الباب.

والثاني: أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة انما هو الصدق والبعد عن مقدمات الفجور. ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن.

والثالث: ان القاذفين، كانوا من المنافقين واتباعهم.. وقد عرف ان كلام العدو المفتري من الهذيان، فلمجموع هذه القرائن.. كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي».

قلت: **لقد** بالغ الله سبحانه في معاتبة المؤمنين الذين لم يردّوا فوراً حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها، لما يعلمون من سيرتها الطاهرة النقية. اذ كان الواجب عليهم ان يقيسوا ذلك على أنفسهم فإن استبعدوه عنها، كان في أم المؤمنين أبعد... وحضهم على أن يكون موقفهم من ذلك، موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته أم أيوب رضي الله عنهما. فإنهما لما سمعا حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالا فوراً: «هذا إفك مبين» أي بَرَّآ عائشة من الإفك، قبل ان يبرأها الله، إذ قاسا الأمر على نفسيهما، فوجداهما أرفع شأنا من الانحدار إلى هذا المستوى الخبيث... فاستنتجا من ذلك، أن عائشة وصفوان، أحق بهذا التنزيه منهما ولذلك قالت أم أيوب لأبي أيوب، ان عائشة خير مني وصفوان خير منك. وادركا رضي الله عنهما: أن مثل عائشة ومكانتها من رسول الله ﷺ، لا يمكن قطعاً ان تقارف هذه الجريمة الشنعاء التي لا تليق بامرأة

عادية فكيف بزوجة اشرف الأنبياء والرسل، وحبيبة حبيب رب العالمين.

وقد حض الله سبحانه المؤمنين، لو كان موقفهم جميعاً موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته تماماً... فعاتبهم سبحانه وتعالى في هذه الآية قائلاً:

﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ أي هلاَّ قال المؤمنون والمؤمنات إذ سمعوا حديث الإفك كما قال أبوأيوب وزوجته اللذان ظنا بنفسيهما خيراً، أي أنهم يترفعان عن هذا الخبث، وعائشة أولى بهذا الترفع، فهلاَّ قارن المؤمنون والمؤمنات أنفسهم بعائشة، فإن وجدوا انفسهم بعيدة عن مثل هذا الفجور... فعائشة ام المؤمنين وزوجة أشرف الخلق ابعد في حقها من ان تدنو من مقدمات هذا الفجور، فضلاً عن الوقوع فيه.. فهلاَّ قالوا: **﴿هذا إفك مبين﴾** أي كذب بل وأشد أنواع الكذب... وذلك قبل أن يبرأها الله تعالى، فإذا برأها المسلمون مما قيل بحقها، قبل أن يبرأها الله من فوق سبع سمواته، يكون ايمانهم بنقاء سيرتها، وشرف منزلتها أشد مما لو برؤوها بعد تبرئتها من قبل الله تعالى، إذ ليس للمؤمن أن يتردد في تبرئتها، بعد ان برأها الله تعالى.

ولهذا... عاتب الله المؤمنين: ووَدَّ لو كان موقفهم كموقف أبي أيوب وزوجته رضي الله عنهما فحض الله لهم على أن يكونوا كذلك.. لدليلٌ على أن عائشة، كانت عند الله معصومة من هذه الدنايا، لأنه سبحانه رغب إليهم أن يكون ظنهم بها، موافقاً للعلم بها قبل أن يطلعوا عليه، لأن مكانها من رسول الله ﷺ، ومنزلتها منه عند الله تعالى، ليس كمكان ومنزلة سواها من النساء... فلا يمكن قطعا ان تقترف الفاحشة، فهي أرفع من أن تدنو منها الظنون الخبيثة، والشكوك الدنسة، لأن ذلك يمس رسول الله ﷺ ويؤذيه بل هو أذى لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولو أن الإفك.. جرت به الألسنة بحق غير عائشة، للزم الصمت، وإحسان الظن... حتى تثبت وتتضح الحقيقة.. أما عائشة ام المؤمنين فلا يجوز في حقها قول أو أخذ أو رد، فقد حض الله المسلمين أن يكذبوا فوراً ما اتهمت به وما ذلك إلاَّ لأن الله تعالى أجل وأعلى من ان يمكّن زوجة نبيه أن تفجر..! وتنزه الله عن أن يجعل لرسوله

وخليله واكرم الخلق عليه، امرأة خبيثة بغياً... فرسول الله اكرم على ربه، وأعز عليه تعالى من ان يجعل تحته امرأة بغيا، وان الصديقة حبيبة رسول الله رضي الله عنها، لهي اكرم على ربها من ان يبتليها بالفاحشة، وهي تحت رسول الله ﷺ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن، فقد ظن بربه الظن السوء لأنه جعل الخبيثة للطيب، والطيب للخبيثة، وهذا خلاف ما قال تعالى: في كتابه العزيز: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ ولما كان الرسول طيباً لزم ألاَّ تكون تحته إلاّ طيبة مثله، لأنه سبحانه هو الحكيم العليم، أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم كيف يختار لرسوله ما يليق به من زوجة تتكافأ شرفاً وسيرة مع شرف وسيرة بيته الطاهر.

وهكذا فان عائشة أم المؤمنين وسائر نساء نبينا والأنبياء عامة... لا يجوز على أي حال، ان يتكلم احد بحقهن بما لا يتفق والمنزلة العليا التى احلهن الله بها والكرامة العظمى التي فضلهن بها على سائر نساء العالمين. وان عصمتهن من الفاحشة هي جزء لا يتجزأ من عصمة الأنبياء منها، وهي من صميم عصمتهم من الدنايا التي لا تليق بمقامهم الجليل، وإلاَّ.. لكانت عصمة الأنبياء منقوصة، أو منقوضة.

وأقول... واكرر ما أقول... بأنني لا اعني العصمة الكلية التامة التي هي للأنبياء عليهم افضل الصلاة والسلام... فهذه... لا يشاركهم فيها احد من البشر، إنما هي العصمة من الفاحشة... اذ لا يتصور البتة أن يكون النبي معصوماً من ان يكون زوج زانية... ثم يمكن ان تكون زوجته زانية، فهذا تناقض ومن المستحيل الجمع بين النقيضين!!

قال أبوالسعود رحمه الله تعالى في تفسيره: «وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين، وخيرة الأولين والآخرين، تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة».

وإن حكم سائر نساء الأنبياء حكم عائشة تماما، لأنهن يستوين وعائشة من هذا القبيل... واما الفضل... فان الله يؤتي فضله من يشاء من عباده «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأفواهكم ما ليس لكم بِهِ علمٌ وَتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيمٌ﴾ ٢٤/١٥.

قال ابن كثير في تفسيره: [﴿إذ تلقونه بألستكم﴾قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي يرويه بعضكم عن بعض ـ اي من التلقي ـ وقرأ آخرون: ﴿إذ تَلِقُونَه بألسنتكم﴾ وفي صحيح البخاري عن عائشة انه كانت تقرأها كذلك. وتقول: من ولق اللسان، يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه تقول العرب: وَلِقَ فلان في السير إذا استمر فيه، والقراءة الأولى اشهر وعليها الجمهور، ولكن الثانية مروية عن عائشة ام المؤمنين. روى ابن أبي حاتم عن عائشة أنها كانت تقرأ: ﴿إذ تَلِقُونه﴾ وتقول، هي ولق القول، قال ابن أبي مليكة: هي أعلم به من غيرها.

وقوله تعالى ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ أي تقولون ما لا تعلمون. ثم قال تعالي ﴿وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ أي تقولون ما تقولون في شأن عائشة أم المؤمنين... وتسحبونه يسيراً سهلاً، لو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء والمرسلين؟ فعظيم عند الله ان يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل... فإن الله تعالى يغار لهذا.. وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك... حاشا وكلاّ، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا... في سيدة نساء الأنبياء،وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا والآخرة.

ولهذا قال تعالى: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ وفي الصحيحين «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ، يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً»].

قلت: إن هذه الآية الكريمة التي نزلت في جملة ما نزل من الآيات في تبرئة عائشة رضي الله عنها يلفت الله فيها انظار المؤمنين الى ان تداول الأفك على الألسنة بوجه عام لا يجوز في حق سائر المؤمنين وإن كان سبب النزول بشأن عائشة. فإذا كان لا يجوز تداوله على الألسنة في حق اي كان من المؤمنين فعدم الجواز في حق عائشة رضي الله عنها من باب اولى فهو ولا شك قول بلا علم فإنه وكل قول بلا علم بحق أي

كان لا يصح ولا يجوز مطلقا، ويجازى عليه بِحَسَبِه. . .

على أن هذا «التلقي. . .» بالألسنة نوع من أنواع الكذب المشدد في تحريمه لأنه ليس كذباً عادياً فحسب انما هو تجاوز الى الكذب الذي يسيء الى الأفراد والجماعات بل والى اعلى ذروة من شرف بيوتاتهم الكريمة الطاهرة هذه البيوت التي تتقاصر كل شبهة من الدنو إليها، لأن بيوت الأنبياء صانهن الله تعالى عن الدنايا الرجسة الدنسة لتبقى في اعين الناس كريمة مصانة عن مثل هذه الخبائث التي تترفع عنها عادة وبالفطرة طبائع الناس، فكيف باشرفها واعلاها واكرمها على الله واحبها إليه تعالى؟ فالقول بلا علم بحقها ليس بالهين بل هو عند الله عظيم، لأنه مخالف للقدر الذي قدره عليها، وهو صونها وعصمتها، ولما كان امر الزنى شديد الخبث ولا يليق ببيوت الأنبياء والمرسلين المعصومين كان عدم تقديره على هذا البيوت امراً معلوماً من الدين بالضرورة لذلك حرم الله امكان حصوله ودخوله الى تلك البيوت، وجعلها مصانة منه شرعاً وقدراً وهنا يقف المفسر الجليل الشيخ عماد الدين اسماعيل بن كثير موقفاً عظيما في الدفاع عن شرف أعظم بيوت الأنبياء منزلة، واكرمها على الله قاطبة ألا وهو بيت محمد رسول الله ﷺ فيقول رحمه الله:

«. . . ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبيّ الأميّ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيّه ورسوله ما قيل فإن الله تعالى يغار لهذا. . وهو سبحانه وتعالى لا يقدّر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلّا، ولما لم يكن ذلك. . . فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى: ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم**﴾». أجل. . . إنه لعظيم عند الله تعالى، ولن يوقعه في بيت أحدٍ من انبيائه ولا أن يدع أقوال المنافقين تصدُقُ فيما تولَّوْا كِبْرَه وإشاعته بحق هذه البيوت الكريمة الطاهرة التي طهرها من هذه الأرجاس تطهيراً.

فالتبرئة من إمكانية وقوع نساء الأنبياء في الفاحشة، موافقة لقدر الله تعالى بحقهن. . . والقول بالإمكانية. . جراءةٌ على الله ورسوله، ونكران للقدر الذي أجراه الله بعصمتهن. . . وقول على الله بغير علم وكما أنَّ اتهامهنّ بالإفك أمر

عظيم. كذلك فالقول بالإمكانية أمر عظيم عند الله، لأن من قال بالامكانية فتح باب الاتهام اما القول بالعصمة فهو اغلاق لباب الاتهام غلقاً نهائياً، فلا يجرأ احد انْ يفكر بالدنو من هذا الباب فضلاً عن فتحه والولوج منه إلى الأمر العظيم.

وليس قولنا بعصمة نساء الأنبياء قولاً يستند إلى الهوى... بل إلى الدلائل القرآنية والسنيّة واقوال الصحابة والأئمة والمفسرين والى المنطق السليم المستند الى تلك الدلائل البينة والحجج الدامغة، ونكرر أيضاً بأننا نعني بالعصمة عصمتهن من الفاحشة فقط... وإننا نتقصد هذا التكرار لقطع الطريق على الذين يقولون أننا نقول بالعصمة التامة وهم يعلمون أننا لا نقول إلّا بعصمتهن رضوان الله عليهن من الفحشاء، ولكن قاتل الله الغرض الذي يهوى بصاحبه إلى دركاتٍ ما نودُّ أن يهوى إليها أحد من الناس فضلاً عن المؤمنين الداعين الى الحق والخير والهدى... !!؟؟

٤ ـ قوله تعالى: ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ ١٦ ـ النور.

قال ابن كثير: «هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير، اي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيراً، وان لا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيالاً، فلا ينبغي أن يُتكلم به، ولذا قال تعالى: ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا**﴾ أي ما ينبغي لنا ان نتفوّه بهذا الكلام ولا تذكره لأحد ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ أي سبحان الله ان يقال هذا الكلام على زوجة رسوله، وحليلة خليله».

وقال الزمخشري: «أي ما ينبغي ولا يصح لنا، ونحوه: «ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق» و﴿**سبحانك**﴾ للتعجب من عظم الأمر (فإن قلت) ما معنى التعجب من كلمة التسبيح (قلتُ) الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجَّب منه، أو لتنزيه الله تعالى ان تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة. (فإن قلت): كيف جاز ان تكون امرأة النبي

كافرة، كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة؟ (قلت): لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم، ولم يكن الكفر عندهم مما ينفروا منه، وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات»[1].

وقال الخازن: «﴿هذا بهتان عظيم﴾ أي كذب عظيم يُبهت ويُحيرُ من عظمه».

وقال الشوكاني: «﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ البهتان: هو ان يقال في الإنسان ما ليس فيه، أي هذا كذب عظيم، لكونه قيل في أم المؤمنين رضي الله عنها، وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها».

وقال النسفي في تفسيره: «﴿سبحانك﴾ للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه. أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز ان تكون امرأة النبي كَافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم، فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم، واما الكشخنة فمن أعظم المنفرات». (وكأنه تبنى قول الزمخشري).

وقال الرازي في تفسيره: «أما قوله تعالى: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ ففيه سؤالان الأول: كيف يليق ﴿سبحانك﴾ بهذا الموضع؟

الجواب: من وجوه:

الأول: المراد منه التعجب من عظم الأمر وانما استعمل في معنى التعجب لأنه يُسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثُر حتى استعمل في كلُ متعجبٍ منه.

الثاني: المراد تنزيه الله تعالى عن ان تكون زوجة نبيه فاجرة.

الثالث: انه منزه عن أن يرضى بظلم هؤلاء الفرقة المفترين.

الرابع: انه منزه عن ان لا يعاقب هؤلاء القذفة الظلمة.

---

(١) الكشخنة: الدياثة.

السؤال الثاني: لـمَ أوجب عليهم أن يقولوا: ﴿**هذا بهتان عظيم**﴾ مع أنهم عالمين بكونه كذباً قطعاً..؟ الجواب من وجهين:

الأول: إنهم كانوا متمكنين من العلم بكونه بهتاناً لأن زوجة الرسول لا يجوز ان تكون فاجرة.

الثاني: أنهم لما جزموا به مع أنهم كانوا ظانين له بالقلب، كان إخبارهم عن ذلك الجزم كذباً، ونظيره قوله تعالى: ﴿**والله يشهد ان المنافقين لكاذبون**﴾».

وقال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد ج ٢ ص ٢٨٢:

«وتأمل في تسبيحهم لله وتنزيههم له في ذلك المقام: من المعرفة به، وتنزيهه عما لا يليق به، أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثةً بغياً، فمن ظن به سبحانه هذا الظن، فقد ظن به ظن السوء، وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله، أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى: ٢٦/٢٤ ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ فقطعوا قطعاً لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم، وفرية ظاهرة».

قلت: إن هذه الآية الكريمة: ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ هي أيضاً من جملة الآيات التي أنزلها الله من فوق سبع سمواته ليبرىء بها السيدة عائشة الطاهرة البريئة المبرأة مما جناه وافتراه المنافقون عليها من الأفك. وقد حذّرهم الله تعالى من إشاعة الفاحشة بينهم وشدد على المؤمنين في ذلك، لئلاّ يظلموا من اتهموهم.. ويظلموا كذلك أنفسهم ويُردوها ناراً وقودها الناس والحجارة.

فحسمًا للباب نهى الله عباده المؤمنين عن ذلك... وأمرهم وحضّهم إذا سمعوا بالفاحشة على أحد من المؤمنين أن يقولوا: ﴿**ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ ويشتد النهي والتحذير إذا كان ذلك موجهاً إلى بيت طاهر كريم يعترفون من صميمهم أنه أطهرُ البيوت وأزكاها وانقاها. ولا شك ان بيوت الأنبياء الذين اختارهم لتبليغ رسالاته تكون أولى واحرى من سائر بيوت

المؤمنين. . وكيف إذا كان هذا البيت الموجه إليه الإفك هو أطهر بيوت الأنبياء والمرسلين عامة؟!!

لا شك ولا ريب ان مثل هذه الشائعة. . . لـمّا تحوم حول بيت أشرف الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه، وفي حق أحب نسائيه إليه، لا يترك الله تعالى تبرئتها إلى أحد من خلقه كائناً من كان. . . بل يتولّى هو جل جلاله بذاته تبرئتها لتكـون لهذه التـبرئـة مكانتها وقدسيتها لأنها صادرة عن رب الأرباب، وخلاّق السموات والأرض، وعلاّم غيوب العالمين، وأصدق القائلين، جل جلاله، وتعالت صفاته، وتقدست أسماؤه، لا إله إلا هو العليم الخبير.

إزاء هذا التولي من قبل الله تعالى لتبرئة زوجة رسوله، وحليلة خليله، وحبيبة حبيبه، وقف المؤمنون المسلمون يستمعون للآيات تترى من فوق سبع سموات في تبرئة هذه السيدة الجليلة البريئة الفاضلة يتلوها رسول الله وخليله وصفيُّه وخيرتُه من خلقه من فوق منبره، ونفسه الكريمة تطفح بالحمد والشكر للذي يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والمؤمنون الذين هامت قلوبهم لنبإ الإفك المريع وقفوا أيضاً متوجهين إلى الله تعالى بالحمد والشكر، أن برأ هذه السيدة الكريمة حبيبة حبيب الله وأدخل الفرح على قلب نبيهم الذي بقي شهراً كاملاً مستسلمًا لقضاء الله في هذه الحبيبة التي قال عنها: أنها افترى عليها المنافقون غير الحق، ولا يعلم عنها إلّا خيراً، إلى أن حقق الله فيها ظنّه فبرأها. وأعظم بشهادة يشهدها العليم الحكيم من فوق السبع الطباق ببراءتها، وطهارة ذيلها من كل رجس أو دنس.

كل هذا. . . لم يدع مجالاً للشك في نفوس أصحاب رسول الله أن هذه التي تولى الله بنفسه تبرئتها ليست كالنساء. . . فمن النساء من اتهم فجلد أو رجم ومنهن من لم يثبت عليهن الجرم، ومنهن من لم يشعر بهن أحد وترك أمرهنَّ إلى الله، ومنهن. . . ومنهن. . . ولكن هذه السيدة الفاضلة نزل عذرها من السماء، وتولى الله تبرأتها دون الخلق أجمعين، ولم يبرىء أحداً سواها من العالمين إنها لمنزلة

انفـردت بها الصديقة الأمينة، زوجة الصادق الأمين؛ **فهذا يوسف برّأه شاهده** الرضيع، وهذا موسى برأه الحجر، وهذه مريم برأها وليدها، اما عائشة فكان شاهدها ومبرئها هو الله تعالى، فاكرم وأعظم وأنعم به من شاهد ومبرىءٍ جَلّ جلاله وتقدست اسماؤه.

وليس ذاك إلّا لأنها زوجة نبيّهِ وخليلهِ وصفيّه، زوجة أشرفِ الأنبياء وخيرة المرسلين، والرحمةُ المهداةُ للعالمين.

فإذا نظر الصحابة إليها نظرة الإكبار والإعجاب، والكمال، والطهر والعصمة إنما من أجل هذا المحل الذي أحلّها الله به من العناية والرعاية.

وهـذا المحل لا تستوي فيه وحدها فإن كل نساء النبي ﷺ كذلك لأنهن يشتركن معها في مقام الزوجية من اكرم الخلق. وإن كانت هي فضلاهن منزلة ومقاماً من رسول الله ﷺ.

وكذلك أيضاً نساء الأنبياء من لدن آدم إلى محمد عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أزكى الصلوات واعطر التحيات. فإن كل واحدة منهن لو رُميت بما رميت به عائشة لكانت التبرئة من رب البرية تنزل عليها كما نزلت على عائشة لمقامهن من الأنبياء، مقام عائشة من محمد رسول الله ﷺ. ولكن محمداً أعظمهم وعائشة فضلاهن، وهي السبب لمعرفة منزلة نساء الأنبياء فإذا فهم هذا جميعاً... فهم درجة العتاب الذي عاتب به المؤمنين الذين كان عليهم ان يقولوا عندما سمعوا حديث الافك عن عائشة: ﴿**ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾.

أجل انه البهتان العظيم... ولكن ما كانوا ليدروا أثره البالغ لولا أن تولى الله تبرئة عائشة بذاته، وما كانوا ليعلموا أن شأن عائشة من المنزلة حتى وما كانت لتدري عائشة نفسها من المنزلة عند الله أن ينزل بشأنها قرآن يحمله جبريل إلى محمـد صلوات الله وسـلامه عليه... ويحمل بين أسطره النورانية براءة عائشة الطهور. لماذا كل ذلك..؟! لأنها زوجة المعصوم... زوجة الذي برأه الله من

الدنايا فلا يليق به إلاّ زوجة تتكافأ طيباً ونقاء وطهراً. فهي اذا معصومة بعصمته من هذه الخبائث التي لا تليق إلا بالخبيثات والخبيثين أما الطيبون والطيبات فلا يليق بهم إلا قول الله تعالى: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾.

فإذا قال جماعة من الصحابة: «ما فجرت امرأة نبي قط» وإذا قال المفسرون بعدم إمكانية زنى نساء الأنبياء وأمهاتهم وعصمتهن وبرائتهن وطهارتهن فما ذا إلاّ لأن نساء الأنبياء لسن كأحد من النساء سواهن، ويمكن ان ينحدرن إلى مستوى ما ينحدر إليه النساء العاديات لأنهن زوجات المعصومين الطاهرين المطهرين من الأدناس والأرجاس، ومعصومات من ذلك تبعاً لعصمتهم فأمره تعالى: ﴿**ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ انما هو حضٌ منه تعالى على التبرئة الفورية كقول يوسف عليه السلام ﴿**معاذ الله**﴾ قالها فور قولها ﴿**هيت لك**﴾ وكذلك يجب علينا نحن معاشر المسلمين أن نقول عن كل ما يمس بهذا البيت المقدس: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ ونسدل الستار فوراً بالعصمة اللائقة بهذا البيت الكريم فما يكون لنا ان نتكلم بهذا.. لا ان نقول كما يقول الجاهلون: ممكن ان يقع الفحش في البيت المعظم قدس اقداس الطهارة، وموئل العفة والعصمة، والوقارة والحشمة.

إن الخوض في مثل هذا الكلام القذر ليس من سدل استرة العصمة التي سدلها الله على أزواج انبيائه ورسله، انما هو والعياذ بالله، أول مراحل هتك الأستار؛ وإنها لهي البدعة الأولى من نوعها يدخلها الشيطان في صفوف الذين مَنَّ الله عليهم بالقائه على كواهلهم مهمة قمع البدعة!! في صفوف أنصار السنَّة الذين تبنَّوْا إحياء كل سنة أميتت من بعد رسول الله ﷺ، ليكون لهم أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة دون أن ينقص من أجورهم شيء.

أجل... إنها البدعة الشيطانية الأولى، في تلويث هذه الأستار الكريمة، ذات الحرمة والهيبة والعصمة، يلقيها إبليس اللعين، في الصفوف المؤمنة التي كان يهابها.. ولكن ويا للأسف عرف كيف ينتقي مركباً له منهم يوصله إلى صميم الصفوف... وقد كان على من تولى حمل الشيطان على كاهليه.. وهو يحسب أنه يحسن صنعاً...!!!

أن ينتبه جيداً، إلى أي هاوية سحيقة يرمي السنّة وأهلها! أجل... كان على من تولّى كبر هذه البدعة الجانية.. أن يذكر الله.. ويخشى عقابه. فبدلاً من أن يعين الشيطان على إدخالها في الصفوف المؤمنة، ان يقول فوراً: **﴿ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾** لأن الشيء الذي يمكن ان يؤدي إلى الشر، ولو بعد حين.. تجب محاربته فوراً، كما يحارب الشر نفسه، عند وقوعه، بل أشد وأشد وأشد... لأن سدَّ طريق الشر.. هو إبعاد للشر، وقطع لدابره، ومن أساسه وأروقته، ولو رجعنا إلى قبل آية من هذه الآية الكريمة، لرأينا حكم الله تعالى: **﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** وانكم تستحلون قولكم بإمكانية زنى نساء الأنبياء... فما يدريكم ان يكون هذا القول تمهيداً ـ ولو بعد حين ـ للقول من الأجيال القادمة بان الفاحشة قد وقعت ـ والعياذ بالله ـ في بيوت الأنبياء، وفي نسائهم فلولا قولكم بالامكانية.. لا يقول من سيأتي بعدكم بوقوع الفعل نفسه. فيكون عملكم هذا... مماثلاً تماماً للذين بادوا من قوم نوح... الذين جعلوا لصالحهم الصور والتماثيل للذكرى فقط.. ولم يفكروا ولا ثانية من الزمن.. ان يعبدوهم، ولكن الأجيال التي تلتهم.. عبدوهم، وتوسلوا بهم، ثم استنالوهم واستعانوا بهم من دون الله تعالى!!! فمن المسؤول عن عبادة الأبناء لهذه التماثيل... واتخاذها أربابا من دون الله...!

لا شك إنكم معنا في اعطاء الجواب: إنهم الآباء ولا شك وهم المسؤولون عن عبادة تلك الصور، وان لم يكونوا قد عبودها، فقد كانوا سبباً في عبادتها من قبل ابنائهم، وهم الذين مهدوا لعبادتها، وان لم يكونوا قد تقصدوا ذلك... «ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة دون ان ينقص من أوزارهم شيء» صدق رسول الله ﷺ، فلا تكونوا يا أنصار السنة أنصاراً للبدعة وانتم تعلمون.

٥ ـ قال الله تعالى: **﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مُبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾** ٢٧ ـ النور.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ج ٥ ص ٧٨) الطبعة البيروتية:

«قال ابن عباس: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ـ قال ـ ونزلت في عائشة وأهل الإفك، وهكذا روي عن مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وغيرهم. . . واختاره ابن جرير ووجهه بان الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة من كلام هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿**اولئك مبرأون مما يقولون**﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان: ﴿**لهم مغفرة**﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ﴿**ورزق كريم**﴾ أي عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. قال ابن كثير:

«وهذا أيضاً، يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم. أي ما كان يجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ، إلّا وهي طيبةً، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً ولهذا قال: ﴿**أولئك مبرأون مما يقولون**﴾».

قال الزمخشري في الكشاف ج٣ ص ٦٨:

«قوله تعالى: ﴿**الخبيثات**﴾ من القول، تقال أو تعد: «للخبيثين» من الرجال والنساء «والخبيثون» منهم يتعرضون «للخبيثات» من القول، وكذلك الطيبات والطيبون «أولئك» إشارة الى الطيبين، وإنهم مبرأون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام، وهو كلام جاء مجرى المثل لعائشة، وما رُميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب، ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت، وإنهم مبرأون مما يقول أهل الإفك».

وإن يراد بالخبيثات والطيبات، النساء، أي الخبائث يتزوجن الخباث، والخباثُ الخبائث، وكذلك أهل الطيب. وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله: ﴿**وأعتدنا لها رزقاً كريمًا**﴾ وعن عائشة:

لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة، ١ ـ لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني ٢ ـ ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ٣ ـ ولقد توفي وإن رأسه لفي حجري ٤ ـ ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي ٥ ـ وإن الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه ٦ ـ وإني لابنة خليفته وصديقه ٧ ـ ولقد نزل عذري من السماء ٨ ـ ولقد خلقت طيبة عند طيب ٩ ـ ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريمًا».

قال الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري في ملاحظته على الزمخشري: قوله تعالى: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات**﴾ الآية.. (قال): تحتمل الآية أمرين:

أحدهما: أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين، والمراد الإفك، ومن أفاض فيه. وعكسه في الطيبات والطيبين.

الثاني: ان يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال. (قال أحمد):

ان كان الأمر على التأويل الثاني فهذه الآية تفصيل لما أجمله قوله تعالى: ﴿**الزانية لا ينكحها إلا زانٍ**﴾ وقد بيّنا أنها مشتملة على هذه الأقسام الأربعة تصريحاً وتضميناً، فجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع، وقد اشتملت على فائدة أخرى، وهي الاستشهاد على براءة أم المؤمنين بأنها زوجة أطيب الطيبين فلا بد وان تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به، وهذا التأويل الثاني هو الظاهرة فإن بعد الآية: ﴿**لهم مغفرة ورزق كريم**﴾ وبهذا وعد أزواجه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها زرقاً كريمًا**﴾ والله أعلم، عاد كلامه قال: ونقل عن عائشة انها اعطيت تسعاً ما اعطيتهن امرأة فذكرت منهن: أنها خلقت طيبة عند طيب). قال أحمد: وهذا ايضاً يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وان المراد بذلك إظهار براءة عائشة بأنها زوج أطيب الطيبين فيلزم ان تكون طيبة، وفاء بقوله: ﴿**الطيبون للطيبات**﴾ والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير سورة النور ص ٣٦:

«الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات» فأخبر تعالى: أن النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، فلا يكون خبيثة لطيب، فإن ذلك خلاف الحصر، فلا تنكح الزانية الخبيثة إلاَّ زانيا خبيثاً، وأخبر أن الطيبين للطيبات. فلا يكون الطيب لامرأة خبيثة، فإن ذلك خلاف الحصر. إذ قد ذكر ان جميع الخبيثات للخبيثين، فلا تبقى خبيثة لطيب ولا طيب لخبيثة، فجاء الحصر من الجانبين موافقاً لقوله تعالى: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**﴾ ولهذا قال من قال من السلف «ما بغت امرأة نبي قط» فإن هذه السورة نزل صدرها بسبب أهل الإفك وما قالوه في عائشة، ولهذا لما قيل فيها ما قيل، وصارت شبهة، استشار النبي ﷺ من استشاره في طلاقها قبل ان تنزل براءتها إذ لا يصلح له أن تكون امرأة غير طيبة، وقد روي أنه «لا يدخل الجنة ديوث» والديوث الذي يقر السوء في أهله، ولهذا كانت الغيرة على الزنى، مما يحبها الله وأمر بها، حتى قال النبي ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغيُر مني».

وقال رحمه الله في فتاواه طبع الرياض ص ١٤٥ المجلد ٣٢:

«ثم المسلمون متفقون على ذم الدياثة، ومن تزوج بغياً كان ديوثاً بالاتفاق وفي الحديث: «لا يدخل الجنة بخيل ولا كذاب ولا ديوث» قال تعالى: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ أي الرجال الطيبون للنساء الطيبات والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات وكذلك في النساء، فإذا كانت المرأة خبيثة كان قرينها خبيثاً واذا كان قرينها خبيثاً كانت خبيثة، وبهذا... عظم القول فيمن قذف عائشة ونحوها من أمهات المؤمنين، ولولا ما على الزوج في ذلك من العيب ما حصل هذا التغليظ... ولهذا قال السلف: «ما بغت امرأة نبي قط» ولو كان تزوج البغي جائزا، لوجب تنزيه الأنبياء عما يباح، كيف وفي نساء الأنبياء من هي كافرة، كما في أزواج المؤمنات من هو كافر. كما قال تعالى: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين**﴾.

وأما البغايا فليس في الأنبياء ولا الصالحين من تزوج بغياً لأن البغايا تفسد فراشه، ولهذا أبيح للمسلم ان يتزوج الكتابية اليهودية والنصرانية، إذا كان محصناً غير مسافح ولا متخذن خدن.

فعلم أن تزوج الكافرة قد يجوز، وتجوّز البغي لا يجوز، لأن ضرر دينها لا يتعد إليه، أم ضرر بغاها، فيتعدى إليه، والله أعلم».

وقال أبو السعود في تفسيره نقلاً عن «محاسن التأويل» للقاسمي ج١٢/ ص ٤٤٦٧:

(وحيث كان رسول الله ﷺ، أطيب الطيبين، وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة).

وقال الرازي في تفسيره ج٤/ ص ٦٥٧ - ٦٥٨:

«وان حملناها على الزواني فالمعنى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وبالعكس على معنى قوله تعالى: ﴿لا ينكح الا زانية﴾ والطيبات من النساء للطيبين من الرجال. والمعنى أن مثل ذلك الرمي الواقع من المنافقين، لا يليق إلا بالخبيثات والخبيثين، لا بالطيبات والطيبين كالرسول ﷺ وأزواجه فإن قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف بالزانية.

(الجواب): ما تقدم في قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ وقوله ﴿أولئك مبرأون﴾ يعني الطيبات والطيبين مما يقوله أصحاب الإفك، سوى قول من حمله على الكلمات فكأنه قال: الطيبون مبرأون مما يقوله الخبيثون. ومتى حمل أولئك على هذا الوجه، كان لفظه كمعناه في أنه جمع، وفي حمله على عائشة وصفوان، وهما أثنان فكيف يعبر عنهما بلفظ الجمع فجوابه من وجهين:

الأول: ان ذلك الرمي قد تعلق بالنبي ﷺ، وبعائشة وصفوان فبرأ الله تعالى كلَّ واحد منهم من التهمة.

الثاني: ان المراد به كل أزواج النبي ﷺ فكأنه تعالى برأهن من هذا الإفك لكي لا يقدح فيهن أحد، كما أقدموا على عائشة، ونزه رسول الله ﷺ بذلك، عن أمثال هذا

الأمر، وهذا أبين كأنه تعالى بيّن: ان الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ولا أحد أطيب ولا أطهر من الرسول، فأزواجه إذن لا يجوز أن يكنَّ إلّا طيبات ثم بين تعالى أن لهم مغفرة، يعني براءة من الله ورسوله، ورزق كريم في الآخرة» اهـ.

وقال القاشاني: «إن ارتكاب مثل هذه الفواحش، لا يكون إلّا بمتابعة الشيطان ومطاوعته وصاحبه يكون من جنوده وأتباعه. فيكون أخس منه وأذل، محروماً من فضل الله الذي هو نور هدايته، محجوباً من رحمته التي هي إفاضة كمال وسعادة، ملعوناً في الدنيا والآخرة، ممقوتاً من الله والملائكة، تشهد عليه جوارحه، بتبدل صورها، وتشوه منظرها، خبيث الذات والنفس، متورطاً في الرجس فإن مثل هذه الخبائث لا تصدر إلّا من الخبيثين كما قال تعالى: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ وأما الطيبون المنزهون عن الرذائل، فانما تصدر عنهم الطيبات والفضائل اهـ.

قلت: وبالله التوفيق:

يتضح مما تقدم من تفسير المفسرين لهذه الآية الكريمة: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ أنها تحتمل معنيين متقاربين، بل كل واحد منهما يتمم الآخر.

أما التفسير الأول: فكما روى ابن عباس: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال، للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول واختاره ابن جرير.

ووجهه: بان الكلام القبح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبه أهل النفاق الى عائشة من كلام... هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم. ولهذا قال تعالى: ﴿**اولئك مبرأون مما يقولون**﴾.

أما التفسير الثاني: أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. وهذا التفسير يرجع إلى التفسير الأول باللازم وهنا يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: «ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي

طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة، لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً، ولهذا قال تعالى: ﴿**اولئك مبرأون مما يقولون**﴾».

قلت: وبالله المستعان:

وهكذا فقد تبين ان كلا التفسيرين موافقين لحال أزواج النبي الكريم ﷺ، وسائر أزواج الأنبياء، فإنهم عليهم الصلاة والسلام أطيب الطيبين وإن نساءهم المؤمنات أطيب الطيبات، ولو لم يكنَّ كذلك لما صلحن لهم لا شرعاً ولا قدراً، كما أنهن لا يصلح لهن إلاَّ القول الطيب لانهن طيباتٌ أصلاً.

ومما لا شك فيه ولا ريب، أن تبرئة الله تعالى لعائشة الصديقة رضي الله عنها، ليست تبرئة لحادثة معينة، وقعت في حينها فحسب... بل هي تبرئة عامة لحادثة وقعت... ولما يستقبل من حياتها الطاهرة ومن حياة سائر زوجاته ﷺ، وزوجات الأنبياء عليهم افضل الصلاة والسلام فالتطهير انما كان تطهيراً عاماً من حواء الى زوجات محمد ﷺ الذي ختمت به النبوة فكما أنه ختمت به عليه الصلاة والسلام النبوات، كذلك فقد ختمت بزوجاته رضي الله عنهن وارضاهن نوعية أزواج الأنبياء، فلم تعد امرأة ما بعدهن لها ما لنساء الأنبياء من الحرمة والصيانة والنقاء والعصمة من الفاحشة، هذه الصفات التي توفرت فيهن شرعاً وقدرا كل ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿**اولئك مبرأون مما يقولون، لهم مغفرة ورزق كريم**﴾ أي في الجنة، وليس غيرهن كذلك، إلاّ من البشر.. فإذا كان الأمر كذلك، وهن مبشرات بالجنة، فكيف يليق بهن ان يكن كسائر نساء المؤمنين... من إمكان ما هو ممكن في حق غيرهن، من جواز وقوعهن في الفاحشة؟!!!

نعوذ بالله من هذا القول الخبيث، **الذي لا يليق إلاَّ بمثل قائله الخبيث** صدقت يا رسول الله صدقت: «ان الرجل يتكلم بالكملة من سخط الله لا يدري ما تبلغ، يهوى بها في النار، أبعد مما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً».

لا شك ولا ريب أن هذا القول فيه جراءة، وإساءة لسيد الخلق عليه أفضل الصلوات والتسليمات، وازكى التحيات.

ترى لو كان هؤلاء في عهد رسول الله ﷺ، وسمع منهم النبي عليه الصلاة والسلام

مقالتهم بإمكانية زنى أمهات وزوجات الأنبياء والرسل.. أكان يسوؤه ذلك؟! أم يغبطه...؟

لا شك أنه يسوؤه هذا القول، ويؤذيه في نفسه وعرضه ويغضبه أشد الغضب، ويعتبره سباً بحقه وشتما والعياذ بالله من سوء الخاتمة وخذلان العاقبة.

ارجعوا هداكم الله إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين فكادوا أن يكونوا مجمعين على عصمة أمهات وزوجات الأنبياء من الفاحشة... بل هم مجمعون على ذلك، ولم يقل أي صحابي أو تابعي ومن بعدهم بمثل ما تجرأتم على الله ورسوله به. لكنه الهوى والانتصار للنفس الأمارة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إنكم والله لو تأملتم آية: ﴿**الخبيثات للخبيثين...**﴾ لفهمتم من معناها ان نساء الأنبياء معصومات من الفاحشة بعصمة ازواجهم ولكن شاء الله ان تقفوا هذا الموقف...!!! وندعو الله لكم بالهداية الى الحق والصواب، ومن يهده الله فلا مضل له، ونبتهل اليه تعالى ان يجعل في قلوبكم الفهم... فيتضح لكم الحق الأبلج، ولأجل ان نصل وإياكم إلى ما نبغى نلقي عليكم اسئلة:

س: هل الزنى خبث...

ستقولون: نعم.. إنه خبث.

س: هل يمكن لنساء الأنبياء ان يزنين...؟

ستقولون: نعم.. ممكن ذلك منهن.. ولكن ما وقع منهن، وحكمهن حكم سائر نساء المؤمنين والذي يقول بخلاف ذلك فعليه الدليل.

س: إنكم اذا اعتقدتم بإمكانية وقوعهن بالزنى، نلزمكم بإنكم تعتقدون بانهن ممكن ان يكنَّ خبيثات، لإقراركم بان الزنى خبث اذ كل من اقترفه فهو خبيث... وكل من يمكن ان يقترفه فهو ممكن ان يكون خبيثاً، وإذا امكن ان يكنَّ ازواج الانبياء خبيثات، يلزم من ذلك، بأنه ممكن ان يكون الأنبياء خبيثين والعياذ بالله تعالى، لقوله جل وعلا: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات**﴾ فإن قلتم: نعم ممكن..! فقد خالفتم نصوص القرآن والسنة الشاهدة بان الانبياء طيبون ومعصومون من الخبث. وان قلتم:

لا . . . فقد سقط قولكم بإمكانية زنى نساء الأنبياء، لأنه ثبت طيب الأنبياء والله تعالى يقول: ﴿**والطيبات للطيبين**﴾ ولم يقل: الخبيثات للطيبين، وهكذا فإن الطيب لا يليق إلّا بالطيب من نوعه . . .

أما نحن . . . فنقول: إن نساء الانبياء طيبات طاهرات، معصومات من الزنى تبعاً لعصمة الأنبياء من الخبث ومن ان يلحق بهم الخبث، فإذا افترض وقوعهن بالفاحشة، كما تقولون!!! أمكن تلبسهن بالخبث الممتنع عنهن لأنهن طيبات أزواج طيبين، بدليل قوله تعالى: ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ حصراً من كلا الجانبين، واستحال ان يكنَّ خبيثا عند طيبين، وإذا كان الخبث مستحيلاً عليهن، لزم ان يكون الزنى كذلك مستحيلاً عليهن لأن الزنى خبث . . . فإذا فهم هذا . . لزم لزوماً ان يكنَّ معصوماتٍ، لأن استحالة الوقوع في الشيء عصمة منه؛ وما ذلك إلّا حرمة لأزواجهن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما عصمهن إلا العليم الخبير، الذي علم من يصلح لنبوته ورسالته، فاصطفاه نبياً ورسولاً، وعلم من يصلح لهؤلاء الأنبياء والمرسلين زوجاتٍ، فاصطفاهن لهم زوجات طيبات طاهرات يصلحن لعصمتهم ويتناسبن مع طيبهم وطهارتهم، وقد تعهدهن بلطفه وعصمته فلم يدعهن، ولم يمكنهن من الوقوع في الفاحشة، بل حماهن وصانهن وعصمهن وحفظهن. ولو افترض وقوع هّمٍ . . . من احد بحقهن، لحال الله دون نيلهن بأي أذى، وتولى بنفسه سبحانه الدفاع عنهن[1] صوناً لشرف الدعوة والداعي من التلوث بمثل هذه الخبائث . . . ونختم هذا الفصل بكلمة من الإمام ابن القيم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد:

[الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات» والخبيثات: الزواني وهذا يقتضي ان من تزوّج بهنّ فهو خبيث مثلهن. وأيضاً فمن أقبح القبائح ان يكون الرجل زوج بغي، وقبح هذا . . مستقر في فطر الخلق، وهو عندهم غاية المسبة. وايضاً فإن البغيّ لا يؤمن ان

(١) كما تولى جل وعلا الدفاع عن سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانقذها من ذلك الجبار الذي أخذه أخذاً شديداً ثلاث مرات حتى اقتنع بأنها ليست كسائر النساء إنما هي امرأة مجتباة تولاّها الله بعصمتها منه وحماها كيده، وجنبها شره، وبقي بيت ابراهيم مقدس اقداس الشرف والحكمة.

تفسد على الرجل فراشه، وتعلق عليه اولاداً من غيره».

قلـــت: إذا كان هذ مستقراً في فطر الخلق، فكيف بمن هم أشرف الخلق. . . ؟

٦ ـ قال الله تعـالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كأحدٍ مِنَ النِّسَاءِ إن اتّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ فيطمعُ الذي في قَلْبِهِ مرضٌ وَقُلْنَ قولاً مَعْروفاً (٣٢)**﴾.

قال الزمشخري في الكشاف ج ٣ ص ٢٣٥ في تفسير هذه الآية:

«ومعنى قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ **لستن** كجماعة واحدة من جماعـات النساء إذا تُقُصّيَتْ أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ﴿**إن اتقيتن**﴾ إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات ﴿**فلا تخضعن بالقول**﴾ أي لا تُجِبْنَ بقولكن خاضعاً أي ليناً خنثاً مثل كلام المريبات ﴿**فيطمع الذي في قلبه مرضٌ**﴾ أي ريبةٌ وفجور ﴿**وقلن قولا معروفاً**﴾ أي يجد خشونة من غير تخنيث أو قولاً حسناً مع كونه خشناً».

وقال الشوكاني في فتح القدير ج ٤ ص ٢٦٨ عن تفسير هذه الآية:

«ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النساء تصريحاً فقال: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد، فقال ﴿**إن اتقيتن**﴾ فبيَّن سبحانه ان هذه الفضيلة لهن، إنما تكون بملازمتهن للتقوى، لا لمجرد اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله. وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، في حياته وبعد مماته، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه: أي إن اتقيتن فلستن كأحد من النساء، وقيل إن جوابه «فلا تخضعن»؛ والأول أولى، ومعنى ﴿**فلا تخضعن بالقول**﴾ أي لا تُلِنَّ القول عند مخاطبة الناس، كما تفعله المريبات من النساء فإنه يتسبب عن ذلك مفسدة عظمية، وهي قوله تعالى: ﴿**فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ أي فجور وشك، ونفاق ﴿**وقلن قولاً معروفاً**﴾ عند الناس بعيداً من الـريبة على سنن الشرع، لا ينكر منه سامعه شيئاً ولا يطمع فيهن أهل الفسق والفجور بسببه».

وقال الخازن في تفسيره ج ٣ ص ٤٦٧:

«قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي، مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن اكرم علي وثوابكن أعظم لدي ﴿**ان اتقيتن**﴾ يعني الله فأطعتنه فإن الأكرم عند الله هو الأتقى ﴿**فلا تخضعن بالقول**﴾ أي لا تلن بالقول للرجال، ولا ترفع الكلام ﴿**فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ أي فجور وشهوة، وقيل نفاق. والمعنى لا تقلن قولاً يجد المنافق والفاجر به سبيلاً الى الطمع فيكنَّ، والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال، إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن ﴿**وقلن قولاً معروفاً**﴾ اي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع.

وقال ابن كثير في تفسيره ج ٥ ص ٤٥١ (البيروتية):

«هذه آدابٌ أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة».

قلت وبالله المستعان: يتضح لمن تأمل الآية واقوال المفسرين لها ان هناك اتفاقاً بين المفسرين على ان نساء النبي ﷺ لا يشبهن في المنزلة أحدٌ من النساء، فهن اكرم نساء العالمين على الله تعالى، وقدرهن عنده لا يساويه قدر أية امرأة عادية في الفضل والسابقة، لا مجرد كونهن نساء النبي، بل لتقواهنَّ وطاعتهن لله ورسوله ﷺ، وايمانهن الخالص، وكل ذلك قد وقع منهن والحمد لله. وظللن يمشين على طريقة الرسول في حياته وبعد مماته، ولم يصدر منهن أي عمل يخدش من سيرتهن الطاهرة الكريمة.

وكما أن نساء الرسول ﷺ، لم يساوِ الله بينهن وبين سائر النساء في المنزلة والقدر، فكذلك سائر نساء الأنبياء المؤمنات لم يساوِ الله تعالى بينهن وبين سائر نساء الناس، بل جعل نساء الأنبياء المؤمنات، أعلى منزلة، واسمى قدراً وأرفع مقاماً من نساء العالمين لأن ازواجهن الأنبياء، هم كذلك اعلى واسمى وارفع من سائر الخلق اجمعين، ولأن سيرتهن في حياتهن الكريمة كانت كاملة في كافة النواحي: عقيدة وعبادة وخلقاً وسلوكاً وتقى وورعاً وطهارة ونقاء وطيباً.

أما نساء الأنبياء غير المؤمنات كامرأة نوح وامرأة لوط، فهما خالدتان في النار، وكل من كان على شاكلتهما من الكفر والشرك. فـ ﴿**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ اما ما يتعلق بطهارتهما من رجس الفاحشة فإن لهما حكم نساء الأنبياء المؤمنات ـ ولكن ليس لهما في الآخرة من خلاق ـ هذه فيما يتعلق بمعاملتهما في الآخرة. اما في الدنيا، فكما لا يجوز في حق أمّ او زوجة النبي المؤمنة ان تفجر فكذلك لا يجوز في حق أم او زوجة النبي المشركة ان تفجر، فالجميع معصومات من الوقوع بالفاحشة، تبعاً لعصمة الأنبياء... لئلا يتلوث هذا النسب الشريف والبيت الكريم بالخبائث التي تستنكرها الطبائع العادية، والفطر البشرية وتستخبثها، فاستنكارها واستخباثها من قبل البيوت النبوية من باب أولى واحرى، واننا على يقين لا يداخله اي شك او ريب بان الله تعالى يحول دون دخول هذه الخبائث الى بيوت الانبياء الطيبة على اصحابها أطيب التحيات وأفضل الصلوات واتم التسليم، وربنا سبحانه أعلى وأجل من ان يمكن نساءَ أنبيائه الطاهرات من ان ينحدرن الى هذا المستوى القذر وعلى هذا... فإننا نعتقد اعتقاداً جازماً يقينياً: **أن نساء الأنبياء لسن كأحد من النساء منزلة وقدراً ومقاماً ورفعة... فلا يقال مثلا: انهن كسائر النساء، ويمكن ان تلحق بهن هذه الفواحش الخبيثة مثلما يلحق ذلك بغيرهم فإذا كان الأمر كما يقولون... فما معنى قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء...﴾ الآية وان عدم هذا التساوي... ليدل على انه لا يمكن لنساء الأنبياء ان يقترفن الفاحشة، كما قد يقترفها غيرهن... لأن نساء الأنبياء قد حملهن الله مسؤولية حفظ شرف بيت النبوة الذي يجب ان يبقى مصان الحرمة، رفيعاً كريمًا ـ حتى وفي أعين الكفار أنفسهم كيلا يجدوا مطعناً يعيب النبي في نفسه وأهله، ويعيق دعوته التي انما بعث نبياً من اجلها.** فبيت النبوة إذاً.. أجل وأعلى واكرم على الله تعالى، ان ترقى إليه الظنون الدنئية المرذولة... والتهم الخبيثة القذرة.. بل يجب ان يظل دائمًا فوق الشبه... فلا يطول سمعته الطاهرة طائل، ولا ينال مقامه الرفيع نائل. وهذا ولا شك... من بدهيات ما يجب للنبي، وما يجوز في حقه، وما يستحيل عليه، وإلاّ... لما استطاعت دعوات الأنبياء والمرسلين ان تخطو ولا خطوة واحدة الى الامام، في طريق الدعوة الى الله تعالى. ولما كان بوسعهم عليهم الصلاة والسلام ان ينقلوا ولا قدماً واحدةً في سبيل الحق الذي بعثوا من اجل إذاعته، وتبليغه

للناس.

ولذلك فإن من حكمته تعالى... أنه قد عصم أنبياءه ورسله من كل ما يشينهم ويمس اعراضهم، فإذا كان النبي معصوماً من أن يكون زوجاً لزانية، فكيف يمكن لزوجته ان تزني، فإن أمكن ذلك انتقضت عصمته، لأن في ذلك اجتماع الضدين إذ لا يمكن أن يكون في آن واحد معصوماً وغير معصوم، وهذا مستحيل.

قال الذين يرون أن نساء النبي كسائر النساء: إن هذه الآية: ﴿**كأحد من النساء**﴾ بل الواجب وصلها بما بعدها... أي: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ أي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن... واذا لم تتقين فإنكم وسائر النساء سواء وما يمكن ان يقع على غيركن من النساء يمكن ان يقع عليكن.

قلت وبالله التوفيق: يقول القُرَّاء ان هناك قراءتين وقفاً ووصلاً ونحن لا يختلف حكمنا على كلا القراءتين.. فهن أعلى النساء مرتبة على قراءة الوقف او على قراءة الوصل، وما يمكن ان ينحدر اليه غيرهن لا يمكن ان ينحدرون إليه لأنهن لسن كأحد من النساء والأمر ـ كما هو معلوم ـ متعلق بارتكاب الفاحشة لأن الخلاف قائم في إمكان حدوثها منهم أولاً...

أما ما قلتموه بشأن التقوى فالجواب نسوقه اليكم على صفة سؤال:

س: هل نساء الأنبياء اتقين أم لا..؟ هل قلن قولاً معروفاً أم لا...؟ وهل وقرن في بيوتهن أم لا...؟ هل أقمن الصلاة وأتين الزكاة أم لا..؟ وهل أطعن الله ورسوله أم لا...؟

ستقولون حتمًا: نعم.. فنقول لكم: ان شرط التقوى الذي تريدون أن يتوفر فيهن ليكنَّ لسنَ كأحد من النساء، فقد توفر والحمد لله... فماذا تريدون غير ذلك...؟

وهكذا فقد ثبت بالنص على كلا القراءتين أن نساء الأنبياء، لسن كغيرهن، وحكمهن يغاير حكم سائر النساء فيما نحن فيه مختلفون.

س: ثم نسألكم أيضاً... إذا كان سائر النساء يمكن ان تقع منهن الفاحشة فهل يمكن ذلك في حق أمهات وأزواج الأنبياء..؟ فإن قلتم نعم يمكن!!! فقد خالفتم

نص هذه الآية، ونكلتم عن اعترافكم بأنهن لسن كأحد من النساء، إن اتّقَيْنَ. . . ـ وقد اتّقَيْنَ ـ وإن قلتم: لا يمكن ان تقع منهن الفاحشة فقد سقط قولكم بإمكانية وقوعهن فيها، واتفقنا على انهن معصومات منها.

وقوله تعالى: ﴿**فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ فيه دليل استنباطي على تنقية الله تعالى لنساء الأنبياء من الطمع الخبيث وبراءة قلوبهن الطاهرة منه وخلوها من المرض الذي يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة. وذلك واضح من النص الكريم الذي جعل نساء النبي ﷺ طرفاً، وعامة الناس في طرف آخر وذكر انه قد يوجد في عامة الناس من في قلبه مرض، فيطمع فيها وراء القول. . .

ولما ذكر صفة الطمع والقلب المريض في الطرف الآخر دون الطرف الأول دلَّ ذلك على براءة الطرف الأول، وخلوه من هاتين الصفتين الخبيثتين. فإن قلتم: وقد يوجد في عامة الناس أيضاً براء من هاتين الصفتين كبراءة الطرف الأول (فالجواب): ان البراءة أصل في نساء النبي ﷺ، أما عامة الناس. . . فقد. . . وقد. . . والنص جاء هنا واضح المفهوم، بان نساء النبي ليس فيهن هاتان الصفتان، لا سيما وان النص قد جعلهما من صفات الطرف الآخر، ولم يذكرهما فيهنَّ فدل على برأتهن منهما والله الموفق.

قوله تعالى ﴿**ذَلِكُم أَطْهَرُ لقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ ٣٣ ـ ٣٥ .

وقد يقال، إذاً فما قولكم بهذه الآية التي تثبت المساواة بين قلوب الناس وقلوب زوجات الرسول ﷺ فاعتبرت الآية ان ما يطرأ على قلوب غيرهن، يطرأ مثله على قلوبهن من الميل. . . ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن.

الجواب: هذا غير وارد أبداً، لأن ذكر قلوبهم وقلوبهن، لا من اجل أنه تعالى ساوى بينهم في الطهر. . . ! ولكن المراد ـ والله اعلم ـ ان حجابهن أطهر لقلوب المؤمنين من أن يحدث فيها باسباب رؤية ازواج رسول الله ﷺ كما قال عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر» لا ان يحدث في قلوب نسائه ﷺ. . لأن حب الله ورسوله ﷺ الذي تفيض من قلوبهن رضى الله عنهن، لم يدع مكانا فيها لحب غير الله ورسوله، ومن هذا الذي سيفضلنه على رسول الله ﷺ حباً وطاعة وامتثالاً، وهنَّ اللاتي خيرهن الله. . . فاخترن الله ورسوله على ما سواهما. . . فلا يعقل أبداً ما قد ذهب

إليه البعض من الفهم من الآية أن قلوبهم وقلوبهن على منزلة واحدة من الطهر وكيف يكون ذلك والله يقول: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء. . .**﴾

أما احتجاب نساء النبي ﷺ لا شك أنه أكمل في حقهن، لعصمتهن عن الفاحشة، ومما يقرّب اليها من قول أو عمل، وكذلك أطهر لقلوب المؤمنين فاقتضت حكمة الله تعالى بأمرهن بالحجاب. . . ويوضح ذلك الآية: ﴿**فيطمع الذي في قلبه مرض. . .**﴾ فنسب المرض الى قلب الذي قد يطمع. . . ولم ينسب الطمع إلى قلوبهن رضي الله عنه، لأنها خالية من المرض. . . فلا يحصل فيها الطمع، وهكذا القلوب المعصومة فهي خالية تماما من الدنس وموجباته ولا يخطر على بالهن ذلك ولا يفطن له وهُنَّ غافلات عنه وخاليات الذهن منه رضي الله عنهن وأرضاهن. والله الموفق.

٧ ـ قال الله تعالى: ﴿**إنّما يُريدُ الله ليُذْهب عَنْكُم الرّجْسِ أهْلَ البَيْتِ ويطهركم تطهيرا (٣٣)**﴾.

ما هو الرجس!!؟ الرجس له معنيان: لغوي ومعنوي:

أما اللغوي: الرجس بالكسر: القَذرُ.

واما المعنوي: الرجس: المأثم، وكل ما استقذر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب.

ورَجِسَ رَجاسة: عمل عملاً قبيحاً، وهذا ايضاً هو المعنى الشرعي.

وان ما نحن فيه مختلفون، وهو: إمكانية وقوع الفاحشة من امهات وازواج الأنبياء أو عصمتهن من ذلك. . . فداخل في هذا العموم، إن لم يكن ذلك المراد نفسه، لا سيما وان الله تعالى قد خاطب نساء النبي في هذه الآية، والتي قبلها. . . آمراً ناهياً، ومرشداً وموجهاً إياهن الى الخير. . . لأن مثلهن من النساء ينبغي ان يترفعن عما ينحدر غيرهن إليه لا سيما وهن في مكانة ومنزلة وضعهن الله بها لا تنبغي لغيرهن. وان من يستعرض هذه الأوامر والنواهي، والارشادات والتوجيهات أي انها تتعلق فيما نحن فيه مختلفون: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية**

الأولى وأقمن الصلاة واتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾.

اجل.. إنّ من يستعرض معاني هاتين الآتيتين الكريمتين... يرى أنها موجهة لنساء النبي ﷺ القدوة الحسنة لنساء المؤمنين، لافتة أنظارهن الى التخلق بصفات أنعم الله بها عليهن قبل ان يُنَزّلَ هاتين الآيتين، فهن والله قد اتقين قبل ذلك وما خضعن بالقول الذي يُطمعُ احداً بهن، وقلن قولاً معروفاً، وقرن في بيوتهن، وما تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة واتين الزكاة وأطعن الله ورسوله.

هذه كانت صفاتهن واخلاقهن قبل ان تنزل هاتان الآيتان لأن الله قد تعهدهن وما جعلهن غير ذلك، إنما كانت هاتان الآيتان تصفان للناس عامة ما يجب ان يكون فيه نساء النبي ومن ورائهن نساء المؤمنين مقتدين بهن لأنهن امهاتهن واسوتهن الحسنة كما ان رسول الله ﷺ قدوة واسوةٌ حسنة للجميع رجالاً ونساءً، ومن المعلوم ان الامر بالشيء لا يلزم منه مخالفته، كما ان النهي عن الشيء لا يلزم منه وقوعه، إنما هو دلالة وهداية لخير الأخلاق واحسن الأعمال، وأعلا الدرجات ثم جاء الإخبار من رب السموات والأرضين بأنه أذهب عن أهل بيت نبيه الرجس الذي هو العمل الفاحش القبيح وطهرنَّ منه تطهيراً.

من هم آل البيت...؟

لا شك ان الآية نزلت خطاباً لنساء النبي ﷺ ورضي الله عنهن وأرضاهن والمراد من الآية زوجاته ﷺ وأنهن سبب نزولها وسياقها ولا شك دليل على ذلك، وأضف إلى ذلك الآية التي بعدها ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة...**﴾ الآية فكون نساء النبي ﷺ من آل البيت هذا شيء مسلم به وبعد نزول آية ﴿... **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾استحضر الرسول ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين ولَفّهم بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وهو لا شك حديث صحيح رواه مسلم عن عاشة. ورواه أحمد والترمذي عن أم سلمة.

نساؤه من آل بيته:

قال ابن كثير في تفسيره ج ٥/ ص ٤٥٢ الطبعة البيروتية :

«. . . ثم الذي لا شك فيه من تدبر القرآن ان نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فنزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وقال عكرمة: من شاء باهَلَنا أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح. وان أريد أنهن المراد فقط ودون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك. وقيل نزلت في بني هاشم، وذهبوا إلى ان البيت بيت النسب. . . !!!».

وقال الشوكاني في فتح القدير ج٤ ص ٢٧١ :

«وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله. وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما».

قلـت: ولا شك ان الآية كما قال ابن كثير: إنها نصٌّ في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا، لأنهنَّ سببُ النزول، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً.

وقال الزمخشري في الكشاف ج٣ ص ٢٣٦

«وأهل البيت نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل بيّن على ان نساء النبي ﷺ من أهل بيته ثم ذكَّرَهُنَّ ان بيوتهن مهابط الوحي، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين: هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع».

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في منهاج السنة ج ٤ ص ٢٢ :

«ونحن نعلم أن الله أذهب عن أولئك السادة الشرك والخبائث والمقصود نساء النبي وفاطمة وعلي والحسن والحسين» اهـ.

وعليه فإن الآية نزلت بسببهنَّ خاصَّةً وهن اللواتي ناداهنَّ الله ﴿**أهل البيت**﴾ اما فاطمة وعلي والحسن والحسين دخلوا جميعاً وطهروا من الرجس بدعائه ﷺ، بعد نزول الآية رضي الله عن آله، أزواجه وأهل كسائه وأرضاهم أجمعين.

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾.

«أي إنما أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى، وان لا تخضعن بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت وعدم التبرج، واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والطاعة ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، والمراد بالرجس: الاثم والذنب المدنسان للأعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى الله عنه، فيدخل تحت ذلك كل ما ليس فيه لله رضا. ﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾ أي يطهركم من الأرجاس والأدران تطهيراً كاملاً، وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ، وزجر لفاعلها شديد».

وقال ابن تيمية في منهاج السنة ج ٤ ص ٢٢ :

«وسياق الآية يقتضي انه يريد ليذهب عنهم الرجس الذي هو الخبث كالفواحش ويطهرهم تطهيراً من الفواحش».

قلت وبالله الاستعانة والتوفيق: اتضح وضوحاً تاماً أن نساء النبي من أهله واهل بيته، فتخصيص التطهير لأهل بيته وإذهاب الرجس عنهم دون غيرهم فيه دليل قاطع على أن غيرهم ليس مثلهم وليس له حكمهم ألبتة. فإذا فهم هذا تبين بياناً جلياً، أن ما يمكن ان يفعله غيرهم من الفاحشة، لا يمكن قط ان يفعله أهل البيت لأن الله قد خص أهل بيت نبيه بإذهاب الرجس عنهم وطهرهم منه تطهيراً، ولم يخص سواهم بذلك. وان عدم إمكان فعل الشيء وهو استحالة وقوعه منهم، ولما كانت هذه الاستحالة

صادرة عن الله تعالى بحقهم، فهم أنهم معصومون من الوقوع في الفاحشة. . . فلو كان هذا الحكم مشتركاً فيما بين أهل البيت الذين هم أزواجه، وفاطمة وعلى والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، وبين سائر الناس لما كان لهذا التخصيص أي معنى. . . وحاشا كلام الله تعالى من العبث. . لا سيما وان المخاطبات مباشرة بهذه الآية، . هم نساؤه عليه الصلاة والسلام فلا شك انهنَّ معصومات من الوقوع بالفاحشة ﴿**ومَنْ أصدقُ من الله قيلا**﴾ كذلك الإرادة في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله**. . .﴾ ليست مشتركةً مع سواهن من النساء إنما هي خاصة بنساء الرسول لا سيما إذا علم ان ارادة تطهير نساء الرسول تطهيراً من الرجس الذي هو الفاحشة هي إرادة كونية لأن عصمتهم من الفاحشة لا تنفك عن عصمة الرسول منها قطعاً، ولما كانت عصمة الرسول من الفاحشة وغيرها كونية، كانت لا شك ولا ريب عصمةُ نساء الأنبياء من الفاحشة كونية أيضاً.

وان قولي السابق: «ولما كانت عصمة الرسول من الفاحشة وغيرها كونية» أعني به ان الرسول معصوم عصمة كلية من كل ما يشينه ويُعيق دعوته ومنها عصمته ﷺ من الزنى ومن احتماله ان يكون هو زوج زانية فكلا الأمرين لا شك ولا ريب داخلان في عصمته العامة. فإذا كان معصوما من أن يكون زوجاً لزانية لزم أن لا يكنَّ أزواجه زانيات. . . بل معصومات من ذلك، تبعاً لعصمته عليه الصلاة والسلام وإلا لكانت عصمتهُ عليه الصلاة والسلام ناقصةً ومنتقضةً.

واذا كان الخطاب هنا في هذه الآية لنساء نبينا ﷺ، فنساء سائر الأنبياء والمرسلين يشتركن مع نساء نبينا عليهم افضل الصلاة والسلام في هذا الحكم اللهم إلا غير المؤمنات من نساء الأنبياء كامرأتي نوح ولوط عليهما السلام، فإنهما تشتركان فقط في عدم اقتراف الفاحشة كما تقدم. . . صوناً من الله تعالى لشرف بيوت النبوة من أن تدنس بالفاحشة التي لا تليق بالناس عامة فكيف بخاصتهم من الأنبياء والمرسلين الذين هم اشرف الخلق وأعظمهم واكرمهم على الله تعالى.

٨ ـ قال الله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً**﴾.

قلـت: وقوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ دليل

على أنهن من آل البيت. . . ثم لما قال تعالى: ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ فمناداة إياهن «أهل البيت» ثم ذكر بما يتلى في بيتوهن من آيات الله والحكمة دل على شيئين:

الأول: أنهنَّ هن المقصودات بقوله تعالى: ﴿**أهل البيت**﴾ لأن الآية التي بعدها فسرت ذلك فقال تعالى ﴿**واذكرن ما يتلى في بيتوكن**﴾.

الثاني: ذكر تعالى ان بيوتهن هي مهابط الوحي والسنة دلَّ على انهن لسن كأحد من النساء في هذه الفضيلة إذ ليس لغيرهن هذه المنزلة والكرامة فما جعل لأحد سواهن كون إن بيوتهن مهابط الوحي فمن كانت لهن هذه الخصوصية على سائر النساء وهنَّ أزواج أشرف الخلق واهل بيته الكريم الشريف المطهر، لا يمكن أبدا ان يقدّر الله عليهن فعل الفاحشة بل يعصمهن منها كما فعل وكتب وقدَّر وله الحمد والشكر والفضل، وحده لا شريك له لا إله إلا هو ولا رب سواه.

قال **الزمخشري** في الكشاف ج ٣ ص ٢٣٦:

«. . . ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحي، وأمرهن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه، وهو حكمة وعلوم وشرائع. ﴿**ان الله كان لطيفا خبيراً**﴾ أي: علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم. أو: علم ما يصلح لنبوته، ومن يصلح لأن يكون أهل بتيه، أو جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين».

وقال ابن كثير في تفسيره ج ٥ ص ٤٥٩ البيروتية:

وقوله تعالى: ﴿**إن الله كان لطيفاً خبيراً**﴾ أي بلطفه بكنَّ بلغتنَّ هذه المنزلة بخبرته بكن، وإنكن أهل لذلك، أعطاكن ذلك، وخصكن بذلك».

قال ابن جرير رحمه الله: «واذكروا نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوتٍ تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرنَ الله تعالى على ذلك واحمدنه ﴿**إن الله كان لطيفاً خبيراً**﴾ أي ذا لطفٍ بكن، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله، والحكمة وهي السنة. خبيراً بكن إذا اختاركن لرسوله أزواجاً» اهـ.

قلــت: فهم مما تقدم ان الصفات التي خص الله بها نساء النبي ﷺ، ونساء سائر الأنبياء المؤمنات، صفات لم تكن متوفرة في سائر نساء المؤمنين؛ لذلك لزم ان يكون حكم نساء الأنبياء، فوق ما تحتويه باقي نساء المؤمنين من العفة والصون بكثير. . . كيف وقد خص الله نساء الأنبياء بالتطهير من الرجس، ولم يخص به سائر النساء. . . مما دل على أنهن فوقهن منزلة وكرامةً وصوناً وعفةً وعصمة؛ لأنه تعالى علم من يصلح لنبوته فاختاره واصـطفـاه، كما علم من لهؤلاء الأنبياء زوجاتٍ يأتمن بهم، ويتكفأن مع عصمتهم، وجعلن أهلاً لذلك. . . لأنه سبحانه خبير بهن، لا سيما وهو الذي قدر عليهن أن يكن كذلك معصومات من هذه الدنايا والأرجاس تبعاً لعصمة الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل التحيات، وأتم التسليمات، والله وحده هو الملهم للصواب.

﴿يا وليتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾

٩ ـ قولـه تعـالى: **﴿إنّ الـمُسْلمـينَ والـمُسْلماتِ والمؤمنـين والمؤمنـات والقانتين والقـانتـات والصـادقـين والصـادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصـدقـين والمتصـدقـات والصـائمـين والصـائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيمًا﴾** (٣٥).

قلــت: هذا خطاب عام لسائر المؤمنين والمؤمنات. . . إن اتصفوا بتلك الصفات من إسـلام وإيمان، وقنـوت لله، وصـدق، وصـبر، وخشي وتصـدق وصيام، وحفظ لفروجهم، وذكر لله كثير، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيمًا.

ولو توقفنا قليلاً عند قوله تعالى. . . «**والحافظين فروجهم والحافظات**»، نرى أن هناك فارقاً عظيمًا بين خطابه تعالى لنساء الأنبياء، بقوله تعالى **﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول. . .﴾** إلى قوله تعالى: **﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾**.

وبين خطابه تعالى لسائر المسملين والمسلمات وقوله لهم **﴿. . . والحافظين فروجهم والحافظات﴾** فإنه تعالى في الآيات الأولى طهر نساء أنبيائه تطهيرا لأنهن لسن كأحد من

النساء، فتولّى ذلك بنفسه وتعدهن بذلك مما يدل على أن تطهير نساء الأنبياء كان بإرادة كونية تبعاً لطهارة أزواجهم الكونية، أي عصمهم من فعل الفاحشة بعصمة أزواجهم الأنبياء... بينما خاطب سائر المؤمنين والمؤمنات خطاباً تكليفياً فقال عز من قائل: ﴿... **والحافظين فروجهم والحافظات**﴾ أي جعل الحفظ صادراً عن أنفسهم لانفسهم، أيّ أنهم ضمن دائرة التكليف والاختيار الصرف، فنسب حفظ فروجهم لذواتهم كعمل مسؤولون عنه... إن فعلوه كافأهم الله بالأجر والمغفرة، وان لم يفعلوا فالعقاب ينتظرهم. فشتان شتان بين ما يتولاهم الله بعصمته من الفاحشة ويطهرهم منها تطهيراً... وبين من كلفه الله بحفظ نفسه منها، باختياره المتردد بين الفعل أو عدم، والمترتب عليه الثواب والعقاب.

في هذا التقرير والفهم، يتبين الفارق جلياً بين المقامين. فإذا فهم هذا... اتضح وضوحاً تاماً حقيقة ما ذهبنا إليه من عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة لا لذواتهن، إنما كما قلنا دائمًا... تبعا لعصمة ازواجهم صلى الله على نبينا وعليهم وسلم تسليمًا كثيراً، والله تعالى الموفق للصواب.

١٠ ـ وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الذينَ يَرْمُونَ الـمُحصَنَاتِ الغَافِلاتِ**﴾.

قال الشوكاني في تفسيره: «المراد بالغافلات اللائي غفلن عن الفاحشة بحيث لا تخطر ببالهن، ولا يفطنَّ لها، وفي ذلك من الدلالة على كمال النزاهة، وطهارة الجيب ما لم يكن في المحصنات».

وقال الخازن في تفسيره: «الغافلات أي عن الفواحش، والغافلة من الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها».

قلت: إن هذه الآية: ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات**...﴾ نزلت في عائشة في جملة ما نزل من الآيات في تبرئتها من الإفك، وتقييده للمحصنات هنا بالغافلات هو صف واقعي حقيقي لوضع عائشة... ذلك الوصف الذي صدر عن الله تعالى بحقها. وقول المفسرين بأن معنى الغافلة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة، وبحيث لا تخطر ببالها، ولا تفطن لها... هو توضيح لمراد الله تعالى في عائشة

من أنها لا يمكن قطعاً وقوع الفاحشة منها بل ولا في قلبها، ولا تخطر ببالها، ولا تفطن لها؛ فإذا كان الأمر كذلك فهي بهذا المعنى معصومة من الفاحشة عصمةً نبَّه إليها الله تعالى في هذا الوصف الذي وصفها به بأنها هي المحصنة الغافلة.

فإذا كان الله تعالى أنزلها هذه المنزلة الكريمة باعتبارها زوجة أشرف خلقِهِ وأحبهم إليه، وأكرمهم عليه... فهل لأحد من المؤمنين أن يجرأ ويجرح هذه المنزلة التي أنزلها الله...؟! ويرميها بأنها يمكن أن تهوى إلى هاوية الفاحشة الدنسة القذرة...!!؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. وإن حكم سائر نساء الأنبياء هو حكم عائشة تماماً.

١١ ـ قال الله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

«قد علم الله تعالى شفقة رسوله على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم كان مقدماً على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ وفي الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين».

وفي الصحيح أيضاً: (ان عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب من كل شيء إلّا من نفسي؛ فقال ﷺ: لا يا عمر حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك» فقال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي؟ فقال ﷺ: «الآن يا عمر») ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾».

وقال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عطية: قال بعض العلماء العارفين: هو أولى بهم من أنفسهم، لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى النجاة، قال ابن عطية: ويؤيد هذا، قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها تقحم الفراش؟!»

قال القرطبي: قلت: هذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها، والحديث الذي ذكر... أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي

ومثـل أمتي كمثـل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحَّمُون فيه»؟

وإن سبب نزول هذه الآية: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ انه ﷺ كان لا يصلّي على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلـيَّ قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته» أخرجه الصحيحان.

ولما كانت العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب: فهناك معنى آخر يفهم من الآية أيضاً... وهو:

ان الرسول والرسل جميعاً عليهم أفضل الصلاة والسلام، لهم الأولوية في كل شيء يتعلق بمنـزلتهم وكرامتهم، وبكل ما يتعلق برسالاتهم.. فهم أولى من أنفسنا بكل فضيلة وبالترفع عن كل رذيلة، فإذا تطلعنا الى معالي الأمور، فانهم أولى بذلك منا... وترفعنا عن الدنيا الحقيرة، فإنهم عليهم الصلاة والسلام أحق بذلك منا.. لأنهم أعلى الخلق منزلة وأرفعهم رتبة، وأجلهم مكانة، وأحقهم كرامة؛ فلا يليق بهم إلّا معالي الأمور وعظائمها... وهذا واجب أوجبه الله لهم، فليس لأحد من المؤمنين أن ينكر ذلك. ولعل هذا المعنى الذي ذهبنا إليه ورد واضحاً جلياً في الحوار الذي دار بين أبي أيوب الأنصاري وبين زوجته أم أيوب رضـي الله عنهما وذلك يوم الأفك... فقد روى محمد بن عمر الواقدي عن أفلح مولى أبي أيوب: «إن أم أيوب قالت لأبي أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب؛ أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك قالت: لا والله، قال: فعائشة والله خير منك» فلما نزل القرآن، وذكر أهل الإفك قال الله عز وجل: ﴿**لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين**﴾ يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال.. ﴿**ظن المؤمنون**﴾ أي هلاَّ ظن المؤمنون الخير؟ فإن أم المؤمنين أهلُه وأولى به. أي قاموا ذلك الكلام على أنفسهم فإن كان لا يليق بهم، فإن أم المؤمنين أول بالبدارة منهم بطريق الأولى والأحرى فإن هذه الأولوية حريَّة بكرام الخلق، فكيف بأكرمهم على الله وأفضلهم وأعظمهم عنده؟ فهو عليه الصلاة والسلام، أولى بكل خير وفضل ونزاهة ورفعة.

فإذا صحت تفسيرات المفسرين التي سبقت قبل قليل ـ وهي ولا شك صحيحة ـ فان تفسيرنا لهذه الآية ـ بان نبينا والأنبياء عامة عليهم الصلاة والسلام يجب في حقهم الأفضل وجوباً ـ هو أولى واحرى.

فعلى هذا نقول: إن كل مقام كريم فالرسول أولى به، وكل منزلة دنية فالرسول أولى بالترفع عنها. وإذا قيل ان الناس يمكن أن يزنوا ويعملوا الشر، فالرسول والرسل جميعاً أعظم وأجل وأقدس من ذلك، واذا كان النساء يمكن أن يتردَّيْنَ إلى حضيض الزنى... فنساء الأنبياء، أعظم كذلك وأجل وأرفع من أن ينحدرن إلى هذا الدرك الأسفل من العار والشنار واذا كنا نحن نترفع عن ذلك... فالأنبياء أولى وأحرى ونساؤهم عليهن الرحمة والرضوان أولى بالشرف والطهر والنزاهة والعصمة وأحرى وذلك لأن: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ أي ان المؤمنين يجب أن يفضلوا الأنبياء على أنفسهم، ونساء الأنبياء على نسائهم، فهم جميعاً أولى منهم بكل معروف، وأرفع وأجل عن كل منكر.

فإذا اقتنعت بهذا يا أخي القارىء المسلم الكريم، فكيف ينسب «البعض» إلى نساء الأنبياء إمكانية وقوعهن بالزنى وإن لم يكنَّ قد وقعن فيه.. مع العلم أن وجود إمكانية الفعل في أحد، لا يُقطع بعدم وقوعه فيه، ولا شك ان في قولهم تناقضاً ظاهراً.. فمن أجل القطع والجزم بعدم الوقوع في الفاحشة لا مفر من الاعتقاد بالعصمة منها، والا لوقع التناقض كما قلنا... فالعصمة من الزنى واجبة في حق الأنبياء، وواجبة في حق نسائهم تبعاً لعصمة أزواجهم المتفق عليها... وقد ثبت لك يا أخي القارىء مما تقدم من التفاسير أن عصمة نساء الأنبياء مجمع عليها عند الجميع، إلاّ عند الذين ابتدعوا هذه **البدعة النكراء، والمقالة الشنعاء**، هدانا الله وإياهم سواء السبيل.

وهكذا قد ثبت وتأكد لك أن قوله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ معناه ـ إلى جانب التفسيرات السابقة ـ أن النبي أولى بكل فضيلة من أنفس الجميع، وأرفع عن كل رذيلة من أنفس الجميع. ونستأنس مستدلين على صحة ما ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ فجاء هذا القول إتماماً وتأييداً للمعنى الذي ذهبنا إليه... أي كيف يمكن لمؤمن ان يفعل هذا... ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾.

وهكذا فإن الله تعالى جعل أزواج نبيّه أمهات للمؤمنين، وهل يمكن ان يفجر المؤمن بأمه. . . . ؟! وتفجر الأم بابنها. . ؟! فإذا كان المؤمن يكرم أمه العادية من كل دنيئة ورذيلة، فتكريم ازواج الرسول والرسل جميعاً أولى من أمهاتهم ما لا يليق في نظرهم بأمهاتهم. . . لا يليق بأزواج الرسول والرسول من باب أولى.

قال ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**وأزاجه أمهاتهم**﴾ «أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام».

وعلى هذا فقد حرم الله تعالى أزواج نبيه على المؤمنين، وجعلهن أمهاتهم فلا يجوز أن يتزوج أحد بهن بعد رسول الله ﷺ، فبعد هذا هل يمكن لأحد أن يفكر بالزواج بإحداهن بعده عليه الصلاة والسلام وهل يمكنّ الله أحداً من ذلك. . . ؟! الجواب لا يمكن أبداً وقطع بذلك على الجميع أي أمل بالزواج بإحداهن بعد الرسول. فكما انه عصم أزواج رسله من الزواج بعدهم، فكذلك عصمهن من الفجور. . . وهذا من باب أولى. . . وهذا معلوم عند كافة المؤمنين الأولين والآخرين.

ولم يتهم أحدٌ نساء الأنبياء بشيء من هذا. . . بعد العلم بأنهن المعصومات المبرآت الطاهرات المحفوظات من الله تعالى من الدنس. . . فلا يدعهن أن يقعن بالفاحشة، ولا يمكّن أحداً منهن منها، وذلك حرمة لأزواجهم الأنبياء الذين لا يليق بهم إلاَّ الأزواج اللاتي يتكافأن مع مقام النبوة من الطهر والعفة والعصمة.

نسأله تعالى ان يلهمنا الحق ويجنبنا مزالق الزلل في القول والعمل، ويحق من موجبات سخطه وغضبه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جديراً.

١٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيمًا﴾ ٥٣ ـ الأحزاب.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره «فتح القدير» عند قوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أت تؤذوا رسول الله**﴾.

أي ما صح لكم ولا استقام أن تؤذوا رسول الله بشيء من الأشياء كائنا ما كان. . .

ومن جملة ذلك: دخول بيوته بغير إذن منه، واللبث فيها على غير الوجه الذي يريده، وتكليم نسائه من دون حجاب. ﴿**ولا تنكحوا أزواجه من بعده**﴾ أي ولا كان لكم ذلك بعد وفاته لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات. والإشارة بقوله: ﴿**إن ذلكم**﴾ إلى نكاح أزواجه من بعده ﴿**كان عند الله عظيمًا**﴾ أي ذنباً عظيمًا، وخطباً هائلاً شديداً.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله**﴾ قال: نزلت في رجل همَّ ان يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي ﷺ: «لا تقومنَّ هذا المقام بعد يومك هذا» فقال يا رسول الله: إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي، قال النبي ﷺ: «قد عرفت ذلك، إنه ليس أحداً أغير من الله، وإنه ليس أحداً أغير مني» فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده فانزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده**﴾ فأعتق ذلك الرجل رقبة، وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله، وحج ماشياً توبةً من كلمته».

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيمًا**﴾.

قال ابن عطية: روي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله ﷺ، لتزوجت عائشة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فتأذى به. ونفى ابن عطية أن يكون هذا الرجل هو الصحابي طلحة بن عبيدالله. قال: قال شيخنا أبوالعباس: وقد حكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين والجهل».

قلـت: وعلى كل حال، فالحادثة واقعة من صحابي أو من منافق، فالمهم أن هذه الحادثة، كانت سبباً في نزول هذه الآية الكريمة التي حرم الله فيها نكاح زوجات رسوله من بعده، وجعل لهن حكم الأمهات، وهذا من خصائص الأنبياء تمييزاً لشرفهم، وتنبيهاً

على مراتبهم ﷺ.

قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن، لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافراً، لقوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**...﴾ الآية.

وقال غيره: إنما منع من التزوج بزوجاته، لأنهن أزواجه في الجنة.

وقال حذيفة لامرأته: إن سرَّك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا فيها فلا تزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

قال بعض العلماء: لا عدة على أزواج رسول الله ﷺ، لأنها مُدَّةُ تَرَبُّصٍ لا ينتظر بها الإباحة بالتزوج. قال القرطبي: وهو الصحيح لقوله عليه السلام: «ما تركت بعد نفقة عيالي» وروي «أهلي» وهذا اسم خاص بالزوجية فأبقى عليهن النفقة والسكن مدة حياتهن، لكونهن نساءه وحرمن على غيره، وهذا هو معنى بقاء النكاح، وإنما جعل الموت في حقه عليه السلام لهن، بمنزلة المغيب في حق غيره، لكونهن أزواجاً له في الآخرة قطعاً، بخلاف سائر الناس؛ لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهم في الجنة، والآخر في النار فبهذا انقطع السبب في حق الخلق، وبقي في حق النبي ﷺ. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «زوجاتي في الدنيا هنَّ زوجاتي في الآخرة». وقال ﷺ: «كل سبب ونسب ينقطع إلَّا سببي ونسبي فإنه باقٍ إلى يوم القيامة».

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أت تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾: « نزلت في رجل همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده. قال رجل لسفيان: أهي عائشة...؟ قال: قد ذكروا ذلك. حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه، أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين..» اهـ

وقال الزمخشري في «الكشاف» عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾ «وما صح لكم إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعده، وسمي نكاحه من بعده عظيمًا عنده، وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله، وإيجاب حرمته حياً وميتاً وإعلامه بذلك، مما طيب به نفسه، وسرَّ به قلبه، واستغفر شكره. وقوله تعالى ﴿**وان تبدوا شيئا**﴾ من نكاحهن على السنتكم ﴿**أو تخفوه**﴾ في صدوركم ﴿**فإن الله**﴾ يعلم ذلك، فيعاقبكم عليه، وإنما جاء به على أثر ذلك عاماً لكل بادٍ وخافٍ ليدخل تحته نكاحهن غيره».

قلت: يستفاد.. مما تقدم من التفاسير لهذه الآية الكريمة، أن المفسرين قد أجمعوا على أن الله أخبر بأن هذا القول الذي قاله أحد الناس وقتئذ من أنه سيتزوج عائشة بعد وفاة النبي ﷺ، هو أذية له عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك سبباً لنزول الآية الكريمة التي أخبرت بوقوع هذا الأذى بنفس رسول الله ﷺ، ولهذا حرم الله تعالى نساء نبيه ﷺ على الناس من بعده، وقد بينت هذه الآية ان هذا القول سراً كان أو علناً، همًّاً أو فعلاً، فإنه عند الله تعالى إثم عظيم، وذنب شديد يعاقب عليه صاحبه إن لم يتب منه، ولذا فقد كفَّر صاحب هذا القول عنه، بأن حجَّ ماشياً، وجهز عشرة مع ركائبهم في سبيل الله، وأعتق رقبة، توبةً منه من قولته الشنعاء أو من همه الآثم، الذي آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله تعالى والعياذ بالله من غضبه وسخطه.

وقد جعل الله حكم أزواج رسول الله ﷺ حكم الأمهات تماماً وقال: ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ فلا يصح التزوج بهن، ويجب لهن التوقير والحرمة من كافة المؤمنين لأنهن أزواج نبيهم في الدنيا والآخرة، ويفهم من هذا أنه تعالى عصمه من الزواج بعد رسوله ﷺ، لتبقى الزوجية قائمة بينهن وبينه عليه السلام لأنه إذ أمكن زواجهن بعده، لا يصلحن لأن يكنَّ أزواجه في الآخرة لذا فإن زواجهن بغيره من بعده مستحيل لأن الله قدر أن يكنَّ ازواجه في الجنة، إذاً فهن معصومات من الزواج بعده، بخلاف الرجال العاديين، فقد يجتمع الزوج بزوجته، وقد يفترقا، فيكون أحدهما في الجنة والآخر في النار، أو قد تختلف منازلهم، وان كانت اللقيا مؤكدة إن كان كلاهما من أهل الجنة فإذا استعرضنا

كل ما تقدم. . . وحاكمنا هذه القضية بروح التجرد والانصاف لَتَبَيَّنَ معنا جلياً واضحاً عصمةُ نساء النبي ﷺ ونساء الأنبياء عامة من الفاحشة، لأن حكم نساء الأنبياء واحد، وإن اختلفن في الفضل واليك البيان وبالله التوفيق وعليه التكلان:

يا أخي القارىء المسلم: إذا كان مجرد الهمّ من أحد الناس بتزوج إحدى نساء النبي من بعده، موجباً لغضب الله وسخطه، وهو في نفس الوقت أذية لله ورسوله، وضح أنه لا يمكن أبداً وقوع الزواج، وتأكد استحالته. . . فكيف يمكن وقوع الزنا منهن. . .؟!!!

نعم أقول ان نساء الأنبياء معصومات من التزوج بغيرهم من بعدهم، والزواج الشرعي أصبح بحق أزواجهم عليه الصلاة والسلام غير شرعي، واستحال أبداً فالعصمة من وقوعهن بالزنى أصبحت من باب أولى. . . وإذا كان الزواج مستحيلاً أفيكون الزنى ممكناً. . .؟!!! لا سيما و أن الزوجية قائمة بينهن وبينه ﷺ، كما ذهب بعض العلماء واستدلوا على ذلك من بقاء النفقة والسكن، فلم ينقطع بينهن السبب بل بقي موصولاً إلى أن يلقونه في الجنة.

إن الذي همَّ. . أو قال أنه سيتزوج بإحدى نساء نبيه ﷺ ، كفَّر عن ذنبه بأن حج ماشياً وجهز عشرة مع ركائبهم في سبيل الله، وأعتق رقبة، وأنه قالها دون أن يعلم أنه إثم، وقبل ان تنزل الآية بتحريم ذلك. . . فكيف بمن يقول: بإمكانية زنى نساء الأنبياء والعياذ بالله. .؟ ترى بماذا سيكفرون عن قولهم الشنيع الفظيع؟ هذا إذا رجعوا عن قولهم ذلك. . . وانهم يقرأون القرآن ولا شك أنهم مروا على تلك الآيات التي احتججنا بها عليهم بثبوت عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة. أجل بماذا سيكفّرون عن خطيئتهم وإثمهم وذنبهم. . .؟ وأية كفّارة تجزىء عن ذلك الإثم الكبير. .؟ ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

الكفارة يا قوم. . هي توبتكم إلى الله تعالى. . . فتوبوا إلى الله تعالى من قولتكم النكراء، وبدعتكم الشنعاء. ولئن فعلتم، إذاً لتجدن الله تواباً رحيمًا. هذا، إذا كانت توبتكم نصوحاً، صادرة عن قلوبكم تبتغون فيها وجه الله تعالى. وإلاَّ فإن الله تعالى لا تخفى عليه خافية: ﴿**إن تبدو شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا**﴾.

وقد علمتم.. أن قولكم عن توبتكم الأولى كيف فضحه الله تعالى وأظهر ما تخفون في نفوسكم من الإصرار على جرم القول الذي تقولون به من امكانية زنى نساء الأنبياء، فحولتم معاني التوبة الأولى إلى معانٍ سوّلها لكم الشيطان.. وظننتم أنها «تمشي...» على الله..!! أو أنكم تظنون بأنكم تحسنون صنعاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو الهادي إلى الصواب.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨)﴾ الأحزاب.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هاتين الآيتين من سورة الأحزاب: «يقول تعالى متهدداً متوعداً من أذاه بمخالفة أوامرِه، وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وايذاء رسوله بعيب أو بنقص ـ عياذاً بالله من ذلك ـ».

وقد كثرت الأقوال في سبب نزولها فمنهم من قال انها نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، ولا شك في ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنه وإن كان السبب تزويجه بصفية.. انما الحكم عام إلى يوم القيامة في كل من آذى رسول الله ﷺ قولاً أو عملاً ولذلك قال ابن كثير: «.. والظاهر ان الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما روى الإمام أحمد عن عبدالله بن المغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه».

ولعل الذين عنيناهم بهذه الآية.. قد يستغربون إيرادها عليهم في الوقت الذي نزلت في غيرهم فنقول وبالله المستعان:

قلنا آنفاً ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن كل من آذى رسول الله ﷺ في أي وقت أو مكان فالآية تشمله بلا شك ولا ريب أرأيت مثلاً، الآيات التي

نزلت بحق المشركين وأهل الكتاب في زمن نزول القرآن، لا تشمل المشركين وأهل الكتاب في زمننا هذا. . . ؟ لا شك أنها تشمل بالاتفاق ولا يخالف في ذلك مؤمن. . فكذلك الذين يقولون بإمكانية زنى أمهات ونساء الأنبياء، ويجوّزون على الأنبياء ان يكونوا أزواجه زوانٍ وبغايا. . . !!!؟ ـ والعياذ بالله تعالى من ذلك ـ فقد آذوا باقوالهم هذه رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه.

وان الذي تولّى كبر هذه البدعة المنكرة، وهذا القول الخبيث الذي ما سبقه إليه أحد من المؤمنين، نعم هذا الضال الفاجر. . . !؟ سألته أمام خمسة أشخاص، من إخواننا في قرية النيرب، أتوا به إلى داري أملا منهم أن يتوب، ويستغفر الله تعالى، وسألته أمامهم، بعد أن نكل عن توبته الأولى. . . من هذا القول. . .

سألته أمامهم: لَم نكلت عن اعترافك الخطي بعدم امكانية زنى نساء الأنبياء. . . قال: أنا ما نكلت. . وبدأ يحرف مفهوم اعترافه الخطي السابق فقلت: دعنا من كل اعتراف سابق. . ولنبدأ من جديد، فإنني اسألك إنك كنت تقول: أنه من الممكن أن تزني أمهات وزوجات الأنبياء. . . ويلزمك من قولك هذا. . أن الأنبياء والرسل ممكن أن يكونوا أزواج زانيات. . فهل يمكن ان يكون الرسول زوج زانية. . . ؟ قال نعم ممكن!! فضبطت نفسي، وقلت: لعله لم يفهم كلامي. . فاضطررت الى إعادته وتعمدت ان يكون إلى العامية أقرب. . فقلت: هل يمكن في نظرك أن يكون الرسول زوج قحبة. . ؟ قال نعم ممكن!!! وما المانع. . . ؟ عندها لم اتمالك نفسي، وقلت فوراً: قم يا عدو الله. . واخرج من داري، ولا أراك فيها بعد الآن وأنت على هذا الضلال يا عدو الله. . قم. . قم وأخرج. . ولكن قبل ان يخرج اشهدت الإخوان الموجودين فرداً فرداً وقلت لكل منهم على حدة: أما سمعت محمد ناصر الترمانيني قال: ممكن ان يكون الرسول زوج قحبة. . فأجاب كل منهم على حدة: نعم سمعته يقول أنه ممكن ان يكون الرسول زوج قحبة!! وخرج الجميع.

أيها المسلمون: ألا يؤذي هذا القول رسول الله وسائر الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام. . . ؟ أوليس من آذى رسول الله فقد آذى الله عَزَّ وجل ﴿**ان الذين**

يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ ٥٧ ـ الأحزاب.
وسيبقى حكم هذه الآية قائمًا في حق كل من يؤذي رسول الله إلى يوم القيامة.

نعم إنه يؤذي الله، ويؤذي رسل الله جميعاً، ويؤذي المؤمنين والمؤمنات.

اما أنه يؤذي الله تعالى: فلأنه اتهام للمولى جل وعلا بأنه ممكن أن يجعل لأنبيائه ورسله المعصومين الطاهرين المطهرين أزواجاً بغايا خبيثات وجل جلال الله تعالى، وتقدست اسماؤه وصفاته عن ذلك وتعالى علواً كبيراً..

ان من ظن هذا الظن به تعالى وتقدس، فقد ظن بربه ظن السوء والعياذ بالله من الخذلان يوم العرض عليه، ومن سوء المنقلب، وحاشا الله تعالى من ذلك.. ولا شك ان هذا القول يؤذي الله تعالى وتقدس.

أما أنه يؤذي أنبياء الله ورسله: فلأنه قول جعل إلحاق العار بهم شيئاً ممكناً، وهذا ما تأنفه طبائع البشر العاديين، فكيف بالأنبياء المعصومين، أفضل الناس أجمعين، حاشا أنبياء الله تعالى من أن يكونوا أزواجاً لبغايا زانيات خبيثات، فقد قال تعالى ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ والأنبياء غير خبيثين بل هم طيبون، بل وأطيب الطيبين، فلزم أن تكون أزواجهم طيبات، بل وأطيب الطيبات.

كما قال تعالى: ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ فمستحيل ان يكون الأنبياء أزواجاً لزوان خبيثات، لأنه خلاف عصمتهم عليهم الصلاة والسلام، ومنفر لأقوامهم من اتباع رسالاته، ما داموا متلبسين بعار كونهم أزواج بغايا... كما ان هذا القول، مخالف للقدر الذي كتبه الله قبل ان يخلق السموات والأرض، بخمسين الف عام، هذا القدر الذي علم من قوله تعالى: ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ فلا يليق الطيب بالخبيثة، فمن قال بأنه ممكن ان يكون نبي ما زوج زانية، فنلزمه بأنه يقول انه ممكن ان يكون النبي خبيثاً والعياذ بالله تعالى، وقد سبق أن اعلمتك.. بأن أحداً منهم قد قالها، وتابعه عليها الصم البكم الذين لا يعقلون...!!؟

فيا أخي القارىء المسلم، أليس هذا ايذاء للأنبياء..؟ اجل انه من اشنع انواع الايذاء.. لأن ايذاء الانبياء والرسل، ليس كإيذاء أي من الناس.. ونبرأ الى الله تعالى

منهم ومن أقوالهم الخبيثة الكافرة الفاجرة الداعرة.

أما أنه يؤذي أزواج الأنبياء:

وكيف لا يؤذيهن رضي الله عنهن وأرضاهن.. وهن المقصودات المباشرات بالقول فكل ما اذى الأنبياء من القول.. فلأنه يعنون به الأزواج اللاتي ما جعلهن إلَّا طاهرات، ومستحيل عليهن أن يقعن بالفاحشة، وقد عصمهن الله تعالى بعصمة منه جل وعلا تبعاً لعصمة أزواجهن فهن الطيبات عند الطيبين، وقد خلقن كذلك، وكان مقدراً عليهن في أم الكتاب، ان يكن الطيبات عند الطيبين، والمعصومات من دنس الفاحشة عند المعصومين رضي الله عنهن وأرضاهن، صانهن الله وعصمهن وحفظهن من الفاحشة وذلك صوناً وحفظاً وعصمةً لأزواجهن الطيبين الطاهرين، وان كل قول غير ذلك هو إيذاء لهن، ولا شك ولا ريب.

وأما أنه يؤذي سائر المؤمنين:

فلأنه قول يمس كل مؤمن في خير الامهات، ولا شك أن كل أزواج الأنبياء، أمهات للمؤمنين، وبخاصة زوجات خير الخلق، وأفضل الأنبياء والمرسلين والرحمة المهداة للعالمين، ومن يسمع هذه الأقوال من المؤمنين في أمهاتهم بل وخير أمهاتهم ولا يتأذَّى...؟ بل ولا يثور غضباً ولعنةً على من يتكلم بمثل هذا الكلام..!! ومن لا يتأذى اذا قيل له أنه ممكن ان يفجر المؤمن بأمه.. وممكن للأم ان تفجر بابنها **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم﴾!!!**

أجل... ان هذا القول هو أذى لله ورسله ولأمهات المؤمنين وللمؤمنين عامة. **﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً (٥٨)﴾.**

على ان المتفحص لهاتين الآيتين... يتضح له الفارق الكبير بين من يؤذي الله ورسوله، وبين من يؤذي المؤمنين والمؤمنات. فالذي يؤذي الله ورسوله فقد لعنه الله في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً، واللعن معلوم أنه الطرد من الرحمة، وذلك ليُعلمَ أن من يؤذي الله ورسوله، في شرف بيوت النبوة ويخدش كرامتها، ويهتك استارها غير أذية سائر المؤمنين والمؤمنات، لأن زوجات الأنبياء والرسل هن غير زوجات المؤمنين فضلاً

ومرتبة، وكرامة، فلا شك أن زوجات الأنبياء معصومات من الدنايا كعصمة أزواجهم الأنبياء منها تماماً فالقول بإمكانية وقوع الفعل منهن هو خلاف العصمة التي هي لهن، اما سواهن فيمكن وقوع لذلك وان كان الاصل براءة الذمة فقط، ولكن ليس الأصل في حقهن العصمة من الفاحشة لذلك كان عقاب من يؤذي الرسول في ازواجه المعصومات من ذلك أشد بكثير من العقاب الذي يترتب على أذية احد ما من المؤمنين والمؤمنات فلا شك أن الآية الأولى اشد وعيداً وتهديداً إذ فيها اللعن في الدنيا والآخرة، وادخار العذاب المهين يوم القيامة، لمن يجرأ على أذية الله ورسوله فيما يعزى إلى رسوله من الإمكانيات المستحيلة في حقه وحق أزواجه عليهن وعلى سائر ازواج الرسل الرحمة والرضوان. ومن هذا يتضح معنى قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء**...﴾

يا أخي القارىء المسلم الكريم: إنك تعلم ان رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ يحبط العمل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... أن تحبط أعمالكم**﴾ فكيف بمن يقول ذلك القول الشنيع في زوجاته عليه الرضوان...؟

ثم ان من يقول عن النبي ﷺ ﴿... **هو أُذُنٌ**﴾ عدَّ الله هذا القول أذية للنبي ﷺ فقال عز من قائل: ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾ هكذا ترى يا أخي ان الذين يقولون: هو أذن.. يكونون قد آذوا رسول الله ﷺ ولهم عذاب أليم، فما بالك يا أخي بمن يقول بحق الأنبياء جميعاً وبحق زوجاتهم وامهاتهم، ما عرفت من قولهم..!!! وصعب عليهم ان تذكرهم بالآيات التي نزلت في حق غيره ويشملهم حكمها.. لم لا يصبرون على سماع الآيات التي انزلها الله في حق كل من يؤذي أنبياءه ورسله، فيتعظون وينتهون، ونحن ما ذكرناهم بها إلا لينتهوا فهل هم منتهون..؟ نرجو الله تعالى ان يثوبوا إلى رشدهم ويقلعوا عن بدعتهم النكراء ليعودوا الى الصف اخواناً احباء في الله وليس ذلك على الله بعزيز وهو على كل شيء قدير.

أخي القارىء المسلم الكريم لا شك أنك خرجت بفكرة واضحة بعد أن قرأت الصفحات السابقة.. وأرجو أن أكون قد وفقت إلى أنني أثبت لك من الأدلة القرآنية

على عدم إمكانية وقوع أزواج الأنبياء بالزنى، وأنهن معصومات منه تبعاً لعصمة أزواجهن الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فما دام الأنبياء معصومين من أن يكونوا أزواج زوان لزم لزوماً أن لا تكون زوجاتهم بغـايا ولا زانيات، بل طاهرات مطهرات، معصومات من أن يقدَّر الله عليهن ذلك بعصمة منه تعالى، صيانة لحرمة انبيائه ورسله من أن يدنسها شيء، وتبقى دائمًا مثلاً أعلى للنزاهة والصيانة والعصمة، حتى لا يُعيقَ دعواتهم إلى الله عائق.

وحاشا ربنا جل جلاله، وتقدست اسماؤه، وتعالت صفاته، من أن يقدر على حلائل أنبيائه ذلك، أو أن يبتليهن بشيء من هذا القبيل.. الله هو الحكيم العليم الخبير، الذي لا يسوق الشيء إلّا لمثله، ولا يضم الشكل إلا لشكله، ولا يقرن الأهل إلّا بأهله، فكيف يظن به، أنه ممكن أن يجعل الخبيث للطيب..؟!! تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

وهكذا يا أخي.. فبعد ان اقتنعت بالأدلة القرآني على صحة ما ذهبتُ إليه، من عصمة الأزواج الطاهرات من الوقوع بالفاحشة.. أسوق إليك الأدلة الحديثية على ذلك أيضاً زيادة في الحجة، واطمئنانا على أن الذي ذهبنا إليه هو الحق الذي ما بعده إلّا الضلال.

اللهم اجعل ما كتبته وما سأكتبه وسيلة مقبولة عندك، تؤهلني إلى مرضاتك وعفوك ومغفـرتـك، ودخـولي جنتـك مع الذين أدافع عن حرماتهم وشرف بيوتاتهم أنبيائك وأصفيائك عليهم افضل الصلوات، وأزكى التحيات.

اثبات عصمة زوجات الأنبياء
من الزنى بالأدلة السنّيّة الصحيحة

١ ـ قصة سارة مع الجبار. . .

أخرج الشيخان في صحيحهما عن النبي ﷺ، أنه قال:

«إن ابراهيم عليه السلام، لم يكذب غير ثلاث: ثنتين في ذات الله: قوله ﴿**بل فعله كبيرهم**﴾ وقوله ﴿**إني سقيم**﴾. وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة، ومعه سارة إذ نزل منزلاً فأتى الجبار رجلٌ فقال: إنه قد نزل هاهنا بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء، فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: أختي! قال: فاذهب فأرسل بها إليَّ فانطلق إلى سارة فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله؛ وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك. فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرآها. . . أهوى إليها، فتناولها، فأخذ أخذاً شديداً. . . فقال: أدعى الله لي ولا أضرك، فدعت له فأُرسل. . . فأهوى إليها، فتناوله فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ، فذكر مثل المرتين الأوليين. فقال: أُدعي الله لي، فلا أضّرك، فدعت الله فأرسل ثم دعا أدنى حجّابه فقال إنك لم تأتني بإنسان، ولكنك أتيتني بشيطان. . أخرجها وأعطها هاجر، فأُخرجت، وأعطيت هاجر.

فأقبلت فلما أحسَّ إبراهيم بمجيئها. . . انفتل من صلاته وقال: ﴿مَهْيَم﴾[1] قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر، وأخدمني هاجر» قال محمد بن سيرين: فكان أبوهريرة إذا حدّث بهذا الحديث قال: تلك أمكم يا بني ماء السماء.

٢ ـ قوله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

«رواه الترمذي في السنن»

٣ ـ قوله ﷺ: «لا تصاحب إلاّ مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ تقي».
«رواه الترمذي في السنن»

٤ ـ «عن عائشة: لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة: ١ ـ لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ ان يتزوجني، ٢ ـ ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري، ٣ ـ ولقد توفي وإن رأسه لفي حجري، ٤ ـ ولقد قبر في بيتي، ولقد حفته الملائكة في بيتي، ٥ ـ وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وانا معه في لحافه، ٦ ـ وإني لابنة خليفته وصديقه، ٧ ـ ولقد نزل عذري من السماء، ٨ ـ ولقد خلقت طيبة عند طيب، ٩ ـ ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريمًا».

٥ ـ «ما زنت امرأة نبي قط» عن ابن عباس رواه ابن عساكر مرفوعاً.

٦ ـ قوله ﷺ: «أزواجي في الدنيا هن أزواجي في الآخرة».

١ ـ أما قوله ﷺ: «إن ابراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث: ثنتين في ذات الله: قوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وقوله: ﴿إني سقيم﴾ وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة، ومعه سارة إذ نزل منزلاً فأتى الجبار رجلٌ فقال: إنه قد نزل هاهنا بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء، فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: أختي! قال: فاذهب فأرسل بها إلـيَّ فانطلق إلى سارة فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله؛ وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك. فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرآها... أهوى إليها، فتناولها، فأخذ أخذاً شديداً... فقال: أدعى الله لي ولا أضرك، فدعت له فأُرسل... فأهوى إليها، فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ، فذكر مثل المرتين الأوليين. فقال: ادعي الله لي، فلا أضّرك، فدعت الله فأرسل. ثم دعا أدنى حجّـابه فقال إنك لم تأتني بإنسان، ولكنك أتيتني بشيطان.. أخرجها وأعطها هاجر، فأُخرجت، وأعطيت هاجر.. فأقبلت فلما أحسَّ إبراهيم بمجيئها... انفتل من صلاته وقال: ﴿مَهْيَم﴾[1] قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر، وأخدمني هاجر».

إن هذا الحديث، يدل دلالة واضحة صريحة. . على ان زوجة النبي عند الله تعالى ليست كأية زوجة أخرى من سائر زوجات المؤمنين. . ، لأنه سبحانه هو الذي قد تولّى حفظها بذاته. ذلك لأنها زوجة نبيه، وحليلة خليله. ومن هنا يتضح لنا جيداً، أن زوجة النبي، عدا عن أنها معصومة من الوقوع في الفاحشة، فهي أيضاً معصومة من ان يعتدي عليها معتد فاجر، فإن حاول ذلك. . فإن الله تعالى يتولّى حفظها، ويحول بينه وبينها بما يشاء، فلا يدعه أن يقع بها. . . أو يجيرها على فعل الفاحشة، مهما كان شرساً قوياً، وجباراً عتيا فإن الله يعصمها منه، كما حصل ذلك لسارة زوجة ابراهيم عليه السلام، ومن اجل توضيح الفارق بين حكم زوجة النبي، وبين سائر أزواج المؤمنين، أقول وبالله المستعان:

هنا يرد سؤال، وهو: لو أن هذا الجبار الذي حاول أن يفجر بسارة. . . حاول أن ويفجر بزوجة غير نبي، فهل يتولّى الله حفظها كما حفظ سارة. . .؟

الجواب: قد يحفظها منه. . وقد يدعها إلى اختيارها، لأن زوجة غير النبي مختارة. إن شاءت ان تفعل. . وفعلت. . . فعليها العقاب، وان شاءت ان تعف. . . وعفت. . ودافعت عن نفسها جهد طاقتها، فلها من الله الأجر العظيم. فهي مكلفة شرعاً، ان تحفظ نفسها، وتحيطها بالعفة. حتى ولو تمكن منها المعتدي. . رغم دفاعها وإبائها. . فهي غير مسؤولة عن ذلك. . . إذا لم نقل انها مأجورة اجرين. . اجر عن دفاعها، واجر عن عفافها، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملا، أما زوجة النبي. . فلا يحيجها الله إلى كل ذلك العناء. . بل يتولى جل وعلا الدفاع عنها، فيحول دون بغي المعتدي وفجوره، ويأخذه أخذاً شديداً، فتبقى زوجة النبي معصومة بعصمة الله، طاهرة مطهرة، لا يمكّن أحداً منها، وذلك صوناً لحرمة نبيه ورسوله، وحفظاً لبيوت الأنبياء من أن يدنسه مدنس، حتى ولو كانت زوجة النبي مشركة!!! فكذلك يحفظها لا من أجلها هي. . . بل لأنها زوجة نبيٍ وحفاظاً على عرض النبي ان يُدَنَّس، وعلى بيته الشريف من ان يهتك استار شرفه هاتك. . والعياذ بالله تعالى.

ولعلي قد وفّقت إلى ايضاح الفارق بين الحكمين: حكم زوجة النبي وحكم الزوجة أو المرأة العادية، فالمرأة العادية متروكة إلى اختيارها.. وامرأة النبي معصومة بعصمة الله تعالى بإرادة كونية من الفاحشة، كعصمة النبي منها تماماً، إن في حالتها الطبيعية، أو في حالة الاعتداء عليها.. ففي حالتها الطبيعية، لا تخطر الفاحشة ببالها، ولا تفطن لها، وذهنها خالٍ منها، وفي حالة الاعتداء عليها، يتولى الله بنفسه الدفاع عنها فيأخذ المعتدي أخذاً شديداً، ولا يمكنه من غرضه الدنس الفاجر.

أجـل.. هذا هو الفـارق بين الحكمـين.. وإنـه لواضح بيّن، لكل ذي بصر وبصيرة.. أما إذا بقى غامضاً عند «البعض...؟» رغم وضوحه، نسأل الله تعالى أن يزيح الغشاوة عن بصائرهم، ويغسل الران عن أفئدتهم ليروا الحق الأبلج... ظاهراً سنيا... وواضحاً جلياً. انه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، لا آله غيره ولا رب سواه.

فدفاع الله عن سارة وعن عائشة مثلان حيّان، لعصمة نساء الأنبياء، تلك أنقذها الله من الجبار الفاجر وفعله وقصده، وهذه انقذها من الألسنة القذرة الدنسة التي ولغت في الإفك بها وأكرم وأعظم بالله العلي الكبير من شاهد على براءة عائشة الطهور.

هكذا يتولّى الله الدفاع عن نساء أنبيائه ورسله، إنهن مخلوقاتٌ طيباتٌ عند طيبين، فلا يمكن أن يتسرب إلهين الظن السيء، أو ترقى إليهن الشبه.. لقد أتينا لكم بأمثلة عن عصمة أمهات ونساء الأنبياء، فأرونا مثلاً واحداً فقط، على امكان ذلك منهن، من لدن آدم إلى خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولو حادثة واحـدة ولـو مرة واحـدة، على طول وامتـداد الـزمن السحيق، نتحـداكم ان تثبتـوا دعواكم... وانكم والله لعاجزون.. وانكم لمتأكدون من عجزكم.. فمن أين إذن أتيتم بهذه البدعة النكراء، والمقالة الشنعاء على اشرف الخلق وأطيب النساء؟!

٢ ـ وأما قوله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

هذا توجيه كريم، وإلفات نظر منه ﷺ، إلى أمته ليعلم أفرادها أن المؤمن يجب أن لا يخالل إلاَّ مؤمنا؛ لأن الخلة والصحبة والصداقة لها اطلاع واسع من الأصدقاء على أصدقائهم.. فالصديق يعرف غالباً دخائل صديقه وأسراره، فإذا كان الصديقان من دين واحد.. كانت الخلة، أرسى قواعد، وأشد ارتبطاً، وأقوى أثراً، وأعمق غوراً، وإن الدين الواحد يجعل في نفوس اتباعه، شيئاً من الورع والتقوى، فيمتنع الصديق المؤمن أن يشكف عورة صديقه المؤمن، وينصح له في كل شيء.. أما اختلاف الدين بين الصديقين، فهيهات، ان يكون ارتباطهما ارتباط أهل الدين الواحد؛ فخشية أن يحدث في المستقبل ما لا تحمد عقباه، ويعود ضرره على الدين.. وعلى الأفراد المؤمنين،

لفت الرسول ﷺ، إلى هذه النقطة الحساسة فقال عليه أفضل الصلاة والسلام «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

لا سيما وان الاصدقاء تنشأ بينهم محبة وميل، وانجذاب عظيم الى بعضهم فبدافع هذه المؤثرات، قد ينجذب المؤمن الى صديقه غير المؤمن، شيئاً فشيئاً إلى أن تنطبع عادات وأخلاق صديقه، وقد يستحسن شيئاً من دينه.. ولقد كان رسول الله ﷺ حكيمًا حين قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» كيلا تنشأ هذه المحذورات، التي قد تهدم خلق المؤمن المسلم. ولهذا حرص الرسول الكريم، أن يكون المؤمن ذا نظر ثاقب يعرف من يتخذه صديقاً وخليلاً.

فإذا كان هذا بين الخليل وخليله.. فكيف بين الزوج وزوجه..؟ وأعظم الخلّة خلّة الزوجين..؟ فإن الله تعالى جعل في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف..

فإذا كان هناك خطر، قد يداهم المؤمن من صديقه غير المؤمن في دينه.. أفلا يداهمه في خلقه وعرضه..؟ فهذا من باب أولى.

وإذا كان تأثير الصديق السيء الخلق على صديقه كبيراً في أغلب الأحوال، فتأثير الزوج على زوجه، أكبر واكبر من باب أولى، وأشد وقعاً وأبعد أثراً.. وإذا كان الرسول ﷺ، يلفت أنظار أمته إلى شيء خطير كهذا.. فتنفيذ ذلك على نفسه يكون أولى وأحرى وهو ولا شك القدوة الصالحة والأسوة الحسنة؛ إذ لا يعقل ألبتة ان يوصي النبي أمته بقوله... «.. فلينظر أحدكم من يخالل» ثم يمكن ان يخالل هو في بيته زوجةً، يمكن أن تخل في أعظم حقوق الزوجية، وتلوث بيته الكريم بالفاحشة...!!! فلزم أن لا يتخذ زوجة إلّا وتكون أهلاً له، فهل يعقل أن يتزوج زانية؟! أو قيل عنها أنها كذلك..؟! وإذا قيل أنه قد لا يعلم من أخلاقها، ما علم منها بعد الزواج.. أفلا يعلمه ربُّه سبحانه بأن هذه المرأة لا تصلح له زوجة؟ لما يعلم من سيرتها وهو علام الغيوب؛ أم أن الله تعالى يمكر به فلا يُعلمه بذلك! وكيف يظن مسلم بأن الله تعالى يمكّن أزواج أنبيائه من الفاحشة..!!؟ هذا مستحيل على الله تعالى فعله، ما دام يؤثر على دعوته التي أرسله بها الى الناس... أفمن جانب يأمره بالدعوة إليه تعالى... ومن جانب آخر يضع العراقيل لهذه الدعوة... في أخطر ما يعيقها؟!!

إن من يعتقد بهذا.. لا شك ولا ريب يتهم ربَّه بالعبث والعياذ بالله تعالى، وبالمكر والخديعة لأعز خلقه واكرمهم عليه فتعالى الله ذي الجلال والعزة والعظمة عن ذلك علواً كبيراً.

وعلى هذا... فإن الله تعالى لا يوفّق نبيّه إلّا إلى اختيار خير النساء والأزواج، وحاشاه تعالى أن يقدّر على زوجة نبيه الفاحشة فهذا مما عصم الله أزواج أنبيائه منه، مثلما عصم أنبياءه ﷺ منه أيضا... إذ أن عصمة زوج النبي جزء لا يتجزأ من عصمة النبي نفسه من هذه الناحية.. فإذا كان النبي معصوماً من أن يكون زوج زانية لزم لزوماً أن تكون زوجته معصومة تبعاً لعصمته، والله الموفق للصواب.

٣ ـ «لا تُصَاحِبْ إلّا مُؤمِناً، وَلا يأكلْ طَعَامَكَ إلّا تقيٌّ».

هذا حديث جليل، فيه معان جليلةٌ سامية، فالإيمان والتقوى إذا اجتمعا في عبد كان خاتمته خاتمة طيبة كريمة، وكان صاحبهما ولياً من أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أجل لا خوف عليهم من النار لأنهم محفوظون منها، ولأن حياتهم التي قضوها في الدنيا، كانت متوَّجةً بالإيمان الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وبما يستدعي هذا الإيمان التام من العمل الصالح، وما يقتضيه من فعل يوافق ما تذوَّقه من حلاوة الإيمان وطلاوته، لأن الإيمان لا يتم في العبد ولا يكمل.. إلا بالعمل، وإلّا لكان الإيمان ناقصاً بقدر ما نقص من العمل.

فمن كان هذا شأنه من الإيمان والعمل، كان تقياً ورعاً، خائفاً راجياً يعلم الخير كله ويعمل به، ويعلم الشر كله ويجتنب عنه، فيجتبيه الله ولياً له، وحبيباً ونصيرا فيجنبه النار، ويدخله جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فيصدق فيه قوله تعالى: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ وقوله تعالى: ﴿**يبشرهم ربهم برحمة منه**﴾.

لذلك فإن هذا الصنف من الناس لا يخافون من النار لأنهم ليسوا من أهلها ولا

عملوا لها، ولا يحزنون على الدنيا وما فاتهم من نعيمها الفاني، لأن نعيم الآخرة الخالد ينتظرهم، ليلتحقوا بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا... نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون..**﴾.

ولما كان النبيّ ﷺ أميناً على أمته، ناصحاً لها، آمراً لها بكل خير، ناهياً إياها عن كل شر.. ويدلها على طريق الجنة، ويجنبها طريق النار. كان من جملة أوامره ونواهيه هذا الحديث الكريم: «لا تصاحب إلّا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلّا تقي» حتى يجتمع في أفراد أمته الإيمان والتقوى اللذان هما سبب النجاة من النار، وسبب الدخول في الجنة.

ولما كان عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة لكافة أمته بدليل قوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...**﴾ لزم أن يكون عليه الصلاة والسلام، متمثلاً بما يأمر به غيره، حتى يكون لهم القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة. فهو إذاً متمثل بهذا الحديث، وينفذه قبل الجميع، فلا يصاحب إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامه إلّا تقي.

ولذا فلا ترى له صاحباً إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامه إلّا تقي، وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، كانوا على جانب عظيم من الحرص على الإيمان والتقوى ولا شك ان نساءه من أصحابه ومهما كانت صحبته لأصحابه عامة قوية ومتينة... وفيها كل المعاني المفهومة من الحديث.. فإن صحبته لأزواجه أقوى وأمتن إذ هن ألصق الأصحاب به، وأدناهم محبة، وأقربهم مودة، وألصقهم رحما، فلزم أن تكون هاتان الصفتان ـ الإيمان والتقوى ـ ظاهرتين فيهن. بشكل أوضح من سائر الأصحاب؛ لأنهن دائمًا في تلقٍ مستمر منه ﷺ للعلم والنصح والارشاد الدائم المستمر.. وهن أول من يطبقن ـ قولاً وعملاً ـ لكل ما يتلقين منه من حضٍ على فعل الخير، ونهي عن فعل الشر، وإن تحقق معنى هذا الحديث: لا تصاحب إلّا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلّا تقي في أزواجه رضي الله عنهن لازم فيهن؟ لأن المرء على دين خليله وأعظم الخلة خلّة الزوجين، فكيف بخلّة رسول الله ﷺ لأزواجه..؟ لا شك أنها أعظم خلّة الأزواج قاطبة، لا سيما وهن أزواجه في الدنيا والآخرة. فلزم أن تكون صفتا الإيمان والتقوى فيهن اظهر... بل هن المثل

الأعلى لزوجات المؤمنين، وقدوتهنَّ الحسنة، ولا سيما هنَّ أمهات المؤمنين جميعاً. . فهنَّ إذن. . الأمهات المؤمنات المسلمات الكاملات التقيات الورعات إلى اقصى حدود الإيمان والتقوى بالنسبة للمؤمنين عامة والحائزات بلا شك، على رضاء الله تعالى ورضاء رسوله ﷺ ديناً وسلوكاً. وهنَّ الصديقات الطاهرات، والوليات المخلصات حباً لله ولرسوله. وما ذلك إلاَّ بعناية من الله، ورعاية منه لهن، لأنهن صاحبات خير خلقه، وأزواج أكرمهم عليه، وما ارتضاهن له زوجاتً. . إلا لعلمه بهن أنهن خير نساء العالمين، كيف لا وهو الذي خلقهن، وخلق فيهن هذه المزايا، والخصال والسجايا، التي لم يخلقها في غيرهن لأنه سبحانه قد أعدّهن ليلقن باكرم خلقه، وأعظمهم قدراً، وأرفعهم مكانة، وأعلاهم منزلة، ويتكافأن مع مقاماتهم في الدنيا والآخرة.

هكذا نساء الرسل والأنبياء المؤمنات التقيات. . فمثل هذه الأزواج لمثل أولئك الرجال الأنبياء المصطفين من العالمين.

فهل مثل اللاتي ذكرنا ديناً وخلقاً وسلوكاً وايماناً وتقوى ومنزلة من الأنبياء المصطفين من العالمين. . هل ينحدرن إلى مستوى إمكانية اقترافهن الفاحشة. . . ؟!! وهل بعد كل هذا الحفظ من رب السموات والأرضين، والتعهد والإعداد منه تعالى، ينزلقن إلى أحط دركات تنحدر إليها امرأة. . . ؟!! وإلى أحط القيم وأرذلها؟!!!

وهل لمسلم أنعم الله عليه بنعمة تذوق حلاوة الإيمان أن يقول هذا القول فيهن، ويعتقد بإمكانية تسفل هذا النوع المكرم من النساء. . . وهبوطهن إلى درك وقوعهن بالفاحشة. . . ؟ وهو يعلم من هنّ. . . ؟ ويعلم أنهن أزواج الأنبياء الذين هم خيرة الخلق، وخلاصة العالمين أجل. . هل لمسلم أن يقول ذلك القول فيهن. . . ؟!! لا لا وألف الف لا. بل هنَّ المعصومات المؤمنات الكاملات المنزهات التقيات الطاهرات المطهرات البريئات المبرآت. . . اللاتي لا تخطر على قلوبهن الفاحشة، ولا يفطنَّ لها، المعصومات بعصمة أزواجهن الأنبياء عليهم وعليهن أفضل الصلوات والتحيات والتسليمات.

إن من يقول بإمكانية تسفلهن باقتراف الفاحشة. . نشهد بأنهم يتجرأون لا عليهن فحسب، ولا على أزواجهن فقط. . !!! إنما هي جرأة عظيمة وظن بالسوء برب العالمين،

وتعطيل لإراداته تعالى الكونية، وشك بقوله جل وعلا: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان، وسوء العاقبة.

أجل... ان رسول الله ﷺ، لما أمر أفراد أمته بأن لا يصاحبوا إلا مؤمنين، ولا يأكل طعامهم إلّا أتقياء كان من البدهي أن يكون هو أشدَّ تمسكاً من كافة أفراد أمته بما يأمرهم به فهو لذلك ما صاحب إلّا الأزواج اللواتي اختارهن الله له، وكذلك الأنبياء ما صاحبوا إلّا الأزواج اللواتي اختارهن الله لهم، معصومات من الدنس ومن امكانية وقوعهن فيه، ومن الأسباب الموجبة لفعل ذلك. لأنهن لسن كأيٍ من النساء... فالنساء جميعاً دونهن ومهما بلغن من المنزلة فإنهن دونهن مقاماً ومنزلة وكرامة لأنهن أزواج خير الخلق أجمعين. وان الله تعالى أغير من ان يمكّن زوجة نبي من الفاحشة... وإذا جاز أحد أن يحاول الإساءة إليهن، فإن الله تعالى يتولى بذاته الدفاع عنهن وحفظهن من أي فاجر. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عن سارة زوجة ابراهيم في الحديث المروي في الصحيحين المتقدم ذكره والله الموفق للصواب لا إله غيره ولا رب سواه.

٤ ـ وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

«لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ ان يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري ولقد توفي وإن رأسه لفي حجري، ولقد قبر في بيتي، ولقد حفته الملائكة في بيتي، وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وانا معه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريمًا».

تحدثنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن نفسها أن الله قد خصَّها بأشياء لم يخص بها امرأة، وتعني أن هذه التسعة ما اجتمعت بامرأة سواها وقد تكون بعضها موجودة بامرأة أخرى، أما ان تجتمع هذه الأشياء كلها بامرأة فهذا مما اختُصَّتْ به عائشة الصديقة أم المؤمنين.. ولقد اتينا بهذا الحديث عن عائشة، ونعني به أمرين: الأول: بيان فضل عائشة التي حدث عنها رسول الله ﷺ: «... وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» والثاني: اقتطاف بعض فقراتٍ منه تدل على أن من تتوفر فيها

هذه الأشياء يستحيل عليها أن تتسفّل، ولا يمكن ان تقترف الفاحشة أبداً وانها لمعصومة منه بعصمة من الله تعالى والله يؤتي فضله من يشاء.

فقولها رضـي الله عنها: «لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني» ولقد روى مسلم في صحيحه ذلك.

هذه امرأة نزل جبريل بصورتها في راحته وبلغ لرسول الله ﷺ أمراً من الله تعالى بزواجه من عائشة صاحبة هذه الصورة، وهذا ولا شك أمر كوني قدّره الله تعالى في جملة ما قدر وكتبه عنده قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام ثم بلغه لرسوله ﷺ فهذه العناية التي حفَّ بها عائشة فأنزل صورتها في راحة جبريل.... هل ممكن مثل هذه المرأة التي أحلّها الله من العناية هذه المحل الكريم، أن تنسى منزلتها وكرامتها على الله، فتهبط إلى مستوى يترفع عنه العاديات من النساء... أممكن هذا يا ناس..؟!

أما كان يدري الله تعالى ما قد تفعله هذه المرأة، فكيف يختارها زوجة لأشرف خلقـه، ويخصهـا بهذه العناية فيرسل لرسوله صورتها في راحة مقدم الملائكة وكبيرهم جبريل: بأن هذه امرأتك ويأمرهُ بأن يتزوج منها، وكانت بعد طفلة لم تتجاوز السابعة من سني حياتها.. لا لا مستحيل على عائشة مع هذه المنزلة الكبرى التي أنزلها، أن تكفر بالنعمة والكرامة وتنزل إلى إمكانية ما ظن (البعض...) أنه يمكن ان تنحدر إليه والعياذ بالله تعالى، أي أثر من الشيطان حل في نفوس هؤلاء حتى بلغوا من التطاول في نفي عصمة عائشة وسواها من نساء الرسل والأنبياء، وإنزالهنَّ منزلة سائر النساء من إمكانية اقترافهن الفاحشة..؟ بلا دليل أو سلطان مبين، هذا التطاول الذي ما سبقهم إليه أحد من العالمين.

أما قولها رضـي الله عنها وأرضاها: «ولقد نزل عذري من السماء...» فهذا دليل آخر على تبرئتها مما أفك به الأفاكون على سيرتها الشريفة الطاهرة، هذه التبرئة الموافقة لكرامتها عند الله تعالى ولعلمه تعالى بما هي عليه في الماضـي والحاضر والمستقبل تقول عائشة: «ما كنت أظن ان ينزل بشأني قرآن..!!!» وقد نزل.. مبرئاً ساحتها ومقرراً أن مثلهـا لا يمكن أن تقترف أي شيء من الفجور: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون**

للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ أجل إن من تنزل صورتها ـ بأمر الله تعالى ـ في كف جبريل لتكون زوجة لأشرف الخلق، خليقة بهذه التبرئة من رب الكائنات، ومن فوق سبع سموات، وإن شأنها عند الله تعالى، ليوازي هذه العناية وهذه التبرئة والنزاهة والعصمة.

وأما قولها رضـي الله عنها وأرضاها: «ولقد خلقت طيبة عند طيب...» فإن شاهدنا من هذا القول هو قولها: «خُلِقْتُ» وإن من يتأمل في هذه الجملة: «خلقت طيبةً عند طيب» يفهم ان عائشة رضـي الله عنها خلقت طينتها من أول ما خلقت طيبة. وهنا لا بد أن يتبادر الى الذهن سؤال، وهو: من أين تدري عائشة أنها خلقت طيبة..؟ أهي مطلعة على الغيب، أم يوحي إليها..؟ الجواب: لا تعلم عائشة الغيب، ولا يوحى إليها، كما انها ايضاً لا يمكن ان تقطع وتجزم بقولها خلقت طيبة عند طيب من عند نفسها. لولا أنها سمعته من رسول الله ﷺ؛ لأن كونها خلقت طيبة.. فهذا غيب.. والغيب لا يعلمه إلا الله... **﴿لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾** ولما كان الغيب محجوباً عن الخلق.. إلا من ارتضى الله من رسول، فهم أن كلام عائشة ما تلفظت به جزافاً ـ وحاشا عائشة ان تتكلم جزافاً ـ إنما سمعته من رسول الله ﷺ، بمعنى أنه هو الذي أخبرها بأنها خلقت طيبة عند طيب، فصار لكلامها هذا الذي أخبرت به بأنها خلقت طيبة عند طيب... صفة الحديث المرفوع، اتضح لنا أن قولها حق وصدق.

وعليه... ولما كانت عائشة من الأساس طيبة، فمن المستحيل أن تكون خبيثة، أي أن هذه الطيبة معصومة من الخبث، لخلو طينتها من الأصل من الخبث. إذاً فهي طيبة أصلاً ولا سيما وهي زوجة أطيب الطيبين عليه الصلاة والسلام، فلزم أن تكون طيبة، إذ لا يليق بالطيب إلا عند الطيب، كما أخبرت هي عن نفسها رضـي الله عنها وارضاها، بل وكما وصفها الله سبحانه وتعالى: **﴿والطيبات للطيبين﴾** ومن أصدق من الله قيلاً؟ وهذه الآية: **﴿والطيبات للطيبين﴾** نزلت بسببها يوم الإفك فكيف يقال عمن كانت في الأصل طيبة، انها ممكن أن تقع بالفاحشة، والفاحشة متفق على خبثها.. وكيف يمكن أن يجتمع الطيب والخبيث..؟ وهما ضدان؟ والضدان لا يجتمعان؟

هذه قضية كادت والله أن تكون بدهية، يدركها العقل فوراً، ولكن الله تعالى شاء لحكمة هو يعلمها، أن يحصل فيها هذه الأخذ والرد.. ولعلها من أجل تجنيب المسلمين والأجيال القادمة انكار عصمة نساء الأنبياء وهكذا فقد ثبت أن الطيبة لا يمكن ان تقترف الفاحشة أبداً، أي معصومة منها بعصمة قدرها الله عليها أزلاً. وما صح في عائشة يصح في سائر نساء الأنبياء لأن الطيبات عند الطيبين، وشأنهنَّ جميعاً شأن عائشة، لأن الجميع نساء أنبياء. وعائشة لو لم تكن زوج نبي، لكان شأنها شأن سائر نساء المؤمنين، ولما كانت زوج نبي... كانت لها هذه العصمة من الفاحشة، وكذلك سائر نساء الأنبياء عليهم أفضل الصلوات وأتم التسلميات.

ولعل سائلاً يسأل: إن قول عائشة رضي الله عنها، يفيد أنها أعطيت تسعاً ما أُعطيتهنَّ امرأة، وكونها خلقت طيبة عند طيب هو أحد هذه التسعة التي ما اعطيته امرأة... فكيف يكون شأن نساء الأنبياء شأن عائشة أي أنهن طيبات مثلها، بينما يفهم من قولها ان هذا خاص بها..!؟

فالجواب، أن هذه التسعة.. ما اجتمعت جميعاً في امرأة غيرها؛ فلا يلزم من هذا ان لا يوجد واحدة من هذه التسعة في غيرها، فقد يوجد من هذه الصفات في سائر نساء الأنبياء واحدة منهن أو اكثر من واحدة، ولكن ما اجتمع التسع صفات في امرأة غيرها. أما صفة العصمة من الزنا فهي قاسم مشترك بين سائر نساء الأنبياء ولا مانع من ان تجتمع بهن هذه الصفة، بل ذلك واجب ولازم، لأنهنَّ الطيبات عند الطيبين، ولولا أن يكنَّ نساء أنبياء لما لزمتهن هذه الصفة، ولكان شأنهن شأن سائر نساء الناس.

فهم من تسلسل البحث أن نساء الأنبياء، معصومات من الزنا تبعاً لعصمة أزواجهن الأنبياء منه... لأنه يلزم أن تكون زوجة النبي طيبةً تبعاً لطيبته هو...

وثمة شيء آخر، يفهم من قوله تعالى: ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ هو أن الطيب هنا.. جاء في معرض تبرئة عائشة من الأفك، وبيان أن طيبها مقترن بطيب زوجها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا معنى أن طيبها كفؤ لطيب رسول الله ﷺ من هذه الناحية، ولما كانت المناسبة، تبرئة من الزنا، فهم ان

الطيب مرادفاً لمعنى العصمة من الزنا، أي فكما ان الرسول طيب، أي معصوم من الزنا ومن أن يكون زوج زانية، لزم أن تكون زوجته كفؤاً له من هذه الناحية أي طيبة ومعصومة من الزنا مثله. فاتضح مما تقدم أن معنى (الطيبات) من قوله تعالى: ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ هو: المعصومات من الزنا للمعصومين منه والمعصومون من الزنا للمعصومات منه.

ولعل عائشة ـ في هذه المناسبة ـ فهمت من رسول الله ﷺ أنها خلقت طيبة عند طيب، وإلّا فحاشا عائشة رضي الله عنها وأرضاها، من أن تتألّى على الله.... فتقول «خلقت طيبة عند طيب» لأن هذا تقوّل على الله بلا علم، لولا أنها سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، وان هذا السماع دل عليه الاستقراء في البحث، لأن قواعد التحديث يفيد: أن الصحابي لا يمكن أن يتكلم بشيء لا يُعلَمُ إلّا بوحي وإذا تكلم بشيءٍ من هذا النوع، فله حكم الحديث المرفوع... إذ لا بد أن يكون قد سمعه من رسول الله ﷺ، وإن لم يكن قد روي عنه هذا السماع... لأن الصحابي لا يُبحث في عدالته لأنه معدل من رب العالمين في قوله جل وعلا: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ والصحابة هم أول من خوطبوا بهذا الخطاب وهم المقصودون به، ولذلك، وعندما يبحث المحدثون، وينظرون في سند الحديث جرحاً أو تعديلاً لا يبحثون عن حال الصحابي أبداً... لا جرحاً ولا تعديلاً، لأنه معدل من رب العالمين، وكأن فيهم ما يشبه الحفظ من التقول على الرسول بشيء ولم يقله، أو من التقول على الله بغير علم؛ ولذلك فقد حكم على قول الصحابي المروي عنه والمتعلق فقط بما لا يعلم إلّا بوحي، بأن له حكم المرفوع. وأما الأحاديث التي ليست من هذا النوع فلا يكون لها حكم المرفوع بل يقال إنها أحاديث موقوفة. أي موقوفة على الصحابي، وليس فيها حجة الحديث المرفوع. بل يعتبر هذا رأياً خاصاً للصحابي، أما إذا أجمع الصحابة على هذا الرأي، أو لم يعارضْ من قبلهم لشيء، صار اجماعاً والإجماع ـ كما هو معلوم ـ وأعني اجماع الصحابة ـ أصل من أصول الدين تقام به الحجة كما تقام بالكتاب والسنة.

إذن.. فقول عائشة: «خلقت طيبة عند طيب» صحيح من طرفين: الأول أن له حكم الحديث المرفوع والثاني: أنه غير معارض فعلم أن قولها هو حديث تقوم به الحجة... فالتي خلقت من الأساس طيبة ومهيئة لأن تكون عند طيب معصوم، لا

يمكن أن تزني أبداً . . . وهي معصومة من ذلك تبعاً لزوجها؛ وكذلك سائر نساء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات والتحيات والتسليمات. والله الموفق.

٥ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زنت امرأة نبي قط» وفي رواية: «ما فجرت امرأة نبي قط».

وهذا قول موقوف . . . على ابن عباس وله أيضاً حكم الحديث المرفوع، ومجمع عليه إذ لم يرو عن صحابي أي اعتراضٍ عليه. لا سيما وان هذا الحديث مروي أيضاً عن كثير من السلف.

فالقطع من ابن عباس والسلف الصالح بأنه: «ما زنت امرأة نبي قط» لا بد وانه مسموع من رسول الله ﷺ ولا يمكن أن يقطعوا ويجزموا به من عند أنفسهم لأنه غيب. . والغيب لا يظهر الله عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

أجل ان القطع به من ابن عباس والسلف الصالح، سدَّ باب القول بإمكانية وقوع نساء الأنبياء بالفاحشة. . . حتى ولو كانت احداهن مشركة، كامرأتي نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام.

فلقد أخبر تعالى عنهما أنهما كانتا مشركتين، ولكنه لم يخبر ولا مرة واحدة عن امرأة نبي قط أنها زنت. . . فاتضح أنه مِنَ الممكن ان تكون زوجةُ النبي مشرك، ولا يمكن ان تكون زانية. . لأن شرك المرأة لا يؤثر على الدعوة. . ولا يعيره المشركون بشرك أمرأته، لأنهم مشركون مثلها، ولو أنهم يعتبرون الشرك عاراً، لآمنوا جميعا ووحَّدوا الله، وتخلصوا من ذلك العار. ولكن الزنا متعارف عليه عند الجميع أنه من ابشع المنكرات وأشينها. وان الزوج الذي تزني امرأته يتحمل عارها وتعيقه من اي دعوة يدعو إليها، ولا يوافقه او يتبعه أحدٌ عليها، لتلبس العار به تلبّساً ينفر الناس عنه من اجله، هذا اذا كان زوجاً عادياً. . . فكيف اذا كان الزوج نبياً مرسلاً من عند رب العالمين؟! وكيف يجيبه الناس لدعوته إذا كان بيته ملطخاً بذلك العار. . .؟!! ولهذا قد طهر الله بيوتأنبيائه ورسله، وعصم زوجاتهم منه وجعلهن مثلاً اعلى بالطهارة والبراءة والنزاهة والعصمة.

ولهذا قال ابن كثير في تفسيره: «وقول ابن عباس هو الحق لا محيد عنه، فإنه سبحانه أغير من ان يمكن امرأة نبي من الفاحشة».

ونحن نكرر ما قلناه سابقاً: ان الله الذي علم من يختار من خلقه أنبياء «الله اعلم حيث يجعل رسالته» فجعلهم من أعلى الناس درجة ومنبتاً ومقاماً، ورفعهم الى المستوى الأعلى من الخلق في كل شيء، من حياتهم... عَلم ايضاً من يختار لهم زوجات يلقن بمقامهم العظيم. فهو سبحانه وتعالى، أجل وأعلا وأرفع وأقدس من أن يختار لهم زوجات زانيات، وحلائل فاجرات وبغايا عاهرات، ومن ظن هذا الظن بالله فقد ظن به السوء.، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونعوذ بالله تعالى من الخذلان، وسوء العاقبة، وخيبة المنقلب. نعم ان الله صان وعصم نساء الأنبياء والرسل عن هذا الدرك الاسفل وجعلهن في المقام الأرفع الذي يناسب مقام ازواجهن الأنبياء ولا يعلم أحد من الأولين والآخرين... ان الله عامل بهذه العصمة أحداً من نساء العالمين.. إلا ما عامل به تعالى أمهات وزوجات الأنبياء... فيستدل من كل ما تقدم، على عصمة أمهات وزوجات الأنبياء، من الزنا من أن تتلوث هذه البيوت المقدسة، بأي قذر من هذه المستويات المنحطة.

أما غير نساء الأنبياء... فقد.. وقد.. وإن كان الأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس.. ومن المستحيل أن يثبت العكس على نساء الأنبياء... أما غيرهن.. فممكن، كأن نقول مثلا: النساء عامة غير معصومات من الفاحشة... وهذا حكم عام يستثنى منه ويخصص نساء الأنبياء لعصمة أزواجهم من أن يكونوا ازواج زوانٍ، فلزم ان تكون زوجاتهم معصوماتٍ من الزنا تبعاً وإتماماً لعصمتهم عليهم الصلاة والسلام.

فاذا فهم ما تقدم.. علمنا جيداً سبب قطع وجزم ابن عباس والسلف الصالح بأنه: «ما زنت امرأة نبي قط» فإنهم ما قالوها تحيزاً ولا موافقة بغير علم، بل لأنهم يعلمون تماماً ان الله عصم نساء انبيائه من الزنا عصمة تتكافأ تماماً مع عصمة انبيائه من كل ما يشينهم ويعيق دعواتهم إلى الحق والخير والهدى فلهذا كله ما قدر الله عليهن ذلك.. وإن من لم يقدر عليه ان يزني.. هل يستطيع ذلك..؟ إنه لا يستطيع ذلك

أبداً، بل يربط الله على قلبه، ولا يمكّنه من فعل الفاحشة.

ولعل سائلاً يسأل: إذا كان كل من لم يقدّرِ الله عليه الزنا.. هو معصوم منه، فيلزم من ذلك ان كل النساء اللواتي لم يقدر الله علهين الزنا... والرجال الذين لم يقدر الله عليهم ذلك، هم معصومون ومعصومات وقد لا يكون انبياء... ولا ازواج انبياء؟

الجواب: إن قياسك هذا.. قياس مع الفارق لأنك قست المعصومين على غير المعصومين وهذا قياس ـ كما ترى فاسد واليك الدليل:

نحن يا أخي لم نثبت العصمة من الزنا لنساء الأنبياء، إلّا لأنهن نساء أنبياء، ولو لم يكنّ كذلك... لما كانت العصمة من الفاحشة منسوبةً إليهن، ولا ينبغي ان تنسب إليهن. والأنبياء كما هو معلوم.. معصومون عصمة تامة من كل ما نهى الله عنه ومن كل ما يشينهم ويلوث سمعتهم النقية الطاهرة، كيلا يعيق دعواتهم التي بعثوا لأقوامهم بها عائق، ولو لم يكونوا أنبياء لما كانت لهم هذه العصمة العامة التامة فزنى الزوجات هو أشين ما يشين الأزواج... ولما كان الأنبياء معصومين من ان يلحق بهم هذا الشين فلزم من أجل ذلك، ان لا تكون أزواجهم زانياتٍ بل ويلزم عدم امكانية لحوق الزنا بهن اطلاقاً، لأن امكان الوقوع، لا يبرىء من الوقوع أبداً... فقد يقع وقد لا يقع، وهذا لا يليق بامهات المؤمنين. اما الرجال من غير الأنبياء، فنساؤهم ممكن ان يقع فيهن الزنى، وإن لم يكنْ قد وقع فعلاً.

وهكذا يتضح الفارق العظيم بين المعصومين وغير المعصومين، فكيف تقيسون هذا.. على ذاك..؟ ألا ترون ان هذا قياسٌ مع الفارق... وكما هو معلوم، أن عصمة الأنبياء العامة التامة من كل الدنايا، عصمةٌ كونية، بإرادة إلهيةٍ كونية؛ ومن جملة هذا... أن لا يكونوا ازواج بغايا زانيات، فلزم ان لا يكنّ زوجاتهم كذلك، لأنهنّ تبع لهم، فعلى فرض إمكانية ذلك، يلزم ان تكون عصمة الأنبياء ناقصة، ولما كانت عصمتهم تامة كاملة، لزم ان لا ينقصها او ينقضها شيء، فإذا اتضح هذا تماماً، ثبتت عصمة نسائهم من الزنا تبعاً لهم، لأن ذلك لازم وملزوم، وهكذا فقد ثبت ان عصمة زوجات الأنبياء من الزنى عصمة كونية كعصمة الأنبياء تماماً منه؛ فهل أدركت يا أخي الفارق بين المعصومين وغير المعصومين...؟ فكيف تقيس إذاً هؤلاء على أولئك...؟!!

اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون.

فإذا اقتنعت يا أخي.. بكل ما أوردته لك آنفاً، يتبين لك معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما والسلف الصالح أنه: «ما زنت امرأة نبيّ قط» وماذا يقصدون بقولهم من معنى القط والجزم..؟ إنهم يقصدون انهن معصومات من ذلك تماماً.. ولولاه.. لم يجزموا ولم يقطعوا بذلك؛ لأنهم يعلمون علم اليقين، حال زوجاتِ الأنبياء... وإلاَّ لما ألقوا أقوالهم هكذا جزافاً، دون الأستناد إلى دليل قاطع بذلك. أي لا بد انهم سمعوا من رسول الله ﷺ بلفظ أو بمعنى[1] فقالوا ما قالوه معتمدين على ذلك... وإنهم لأرفع وأجل من أن يلقوا الكلام على عواهنه، ويجمعوا على ذلك إجماعاً لا يوجد له معارض، وإننا نتحدَّى أياً كان أن يأتي، بقول صحابي يعارض ما أجمعوا عليه بقولهم: «ما زنت امرأة نبي قط» وهيهات هيهات أن يستطيع أحد إثبات ذلك... فإن دون ذلك خرط القتاد... وان الله عاصم انبياءه ورسله، ونسائهم جميعاً من ذلك، ومن كان الله عاصمه، لا يستطيع أحد أن يمس هذه العصمة بشيء والله غالب على أمره، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٦ - قوله ﷺ «ازواجي في الدنيا هنَّ ازواجي في الآخرة».

قال القرطبي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾: لأن النبي ﷺ أثبت عصمتهن وقال: «أزواجي في الدنيا هنَّ أزواجي في الآخرة».

قال بعض العلماء: لا عدة على أزواج رسول الله ﷺ لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الإباحة بالتزوج.

قال القرطبي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**...﴾ تعليقا على ما جاء من قول العلماء... لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الاباحة بالتزوج قال: وهو الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام: «ما تركت بعد نفقة عيالي» وروي «أهلي» وهذا اسم خاص بالزوجية، فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن، لكونهن نساءه، وحُرِّمْنَ على غيره وهذا هو معنى بقاء النكاح، وانما جعل الموت في حقه عليه السلام لهن بمنزلة المغيب في حق غيره، لكونهن

ازواجاً له في الآخرة قطعاً، بخلاف سائر الناس؛ لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهما في الجنة، والآخر في النار. . فبهذا انقطع السبب في حق الخلق، وبقي في حق النبي ﷺ الذي قال: «كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي فإنه باق إلى يوم القيامة».

قلــت: ان قول النبي ﷺ: «أزواجي في الدنيا هنَّ ازواجي في الآخرة» هو إثبات لعصمتهم، وكيف يعلم رسول الله ﷺ، أنهن زوجاته في الآخرة لولا أن الله أخبره بذلك ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ وانهن معه في منازل أعلى عليين، لأنه لا يعقل أن يكنَّ هن في منزل ورسول الله في منزل آخر. وقد أخبر تعالى عن عامة أهل الجنة ﴿**هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون**. .﴾ فكيف بالأنبياء بل وكيف بمقدمهم وسيدهم محمد عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعين؟ فمن كانت منازلهن في أعلى عليين والى جانب سيد المرسلين، فهل بالإمكان ان يزنين في الدنيا. . .؟ وهل هذه المنازل المكرمة المقدسة منازل البغايا والزانيات. .؟ أجيبونا يامسلمون بل أجيبونا يا عقلاء من كل ملة ودين؟ صدق الله العظيم: ﴿**إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإنه ليفهم من الحديث. . ومن فهم العلماء له: «أزواجي في الدنيا هنَّ أزواجي في الآخرة» أن هناك خصوصية لرسول الله ﷺ وهي: أن الزوجية ما تزال قائمة بينه عليه الصلاة والسلام وبين أزواجه رضـي الله عنهن، وحكمه هو حكم المغيب. وقال القرطبي وهذا هو الصحيح لقوله ﷺ: «ما تركت بعد نفقة عيالي» وفي رواية: «أهلي» فأبقى عليهن السكن والنفقة مدة حياتهن، فأثبت بقاء الزوجية المانعة من الزواج من غيره، والعاصمة منه وهذا ولا شك عصمة من الله تعالى لهن من الزواج بعده عليه الصلاة والسلام فكيف من الفجور. . !!؟ ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب**﴾.

قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية في الصارم المسلول ص ٤٩:

«فأما بعد أن ثبت أنهن أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين فقذفهن أذى له

بكل حال ولا يجوز مع ذلك أن تقع منهن الفاحشة؛ لأن في ذلك جواز أن يقيم الرسول مع امرأة بغي وأن تكون أم المؤمنين موسومة بذلك، وهذا باطل، ولهذا قال تعالى﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**﴾.

أخي القارىء المسلم الكريم: لقد فرغت الآن.. من إيرادي لك الحجج والبراهين القرآنية والسنية على عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الفاحشة، وسأورد لك ايضاً حججاً عقلية ومنطقية.. وإنها وإن لم تكن نصوصاً من القرآن والسنة، إنما يستند اكثرها إلى أسس عامة منها، أو لا تخالفهما.

وها إنني اضعها بين يديك.. لتضيفها الى ما اطلعت عليه من الحجج القرآنية والبراهين السنية، لأوضح لك ان هذه البدعة الخبيثة المنكرة التي تجرأوا عليها...!!: مردودةٌ أصلاً. وانني إذ أضع بين يديك كل هذه الحجج والبراهين اقصد:

١ ـ ان يطلع عليها الذين ابتدعوها... أملاً أن يخافوا من الله ويرجعوا عنها إلى الحق والصواب والرجوع الى الحق فضيلة.

٢ ـ لأجنب إخواني المسلمين مزالق من أقوالهم، قد يقع فيها بعض الغفلة الذين تأخذهم البراقع والأقنعة، وتهولهم المغالطات... والتلاعب بالألفاظ... وتستجرهم الثقة بالرجال ليعرفوا الحق بالرجال لا الرجال بالحق... مع ان الصواب كما قال علي أميرالمؤمنين رضي الله عنه وأرضاه «اعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال، واعرف الحق تعرف أهله» والله الموفق للصواب.

الأدلة العقلية والمنطقية

وها أنا ذا أسردها لك، واحدة واحدة مستعينا بالله وحده:

١ ـ ان قولكم بإمكانية وقوع أمهات وأزواج الأنبياء في الزنى، من أين أتيتم به؟ أهو قول قالـه الله تعـالى في كتـابه؟أو فهم فهمتموه من آياته.. ؟ أم اعتمدتم على سنة صحيحة.. ؟ أو قول صحابي، أو تابعي أو أحد من القرون الخيره... ؟ أو باجماع اكتشفتموه، أو قياس صحيح قستم عليه؟ فمن قال به غيركم.. ؟ أفيدونا.. أو تكونوا فتحتم باب بدعة جديدة لم يسبقكم إليها احد.. !؟ «وان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» أي صاحب الضلالة في النار.

٢ ـ الأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس

هذه قاعدة أصولية، تحدد الأصل في كل شيء... فالأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس. أي كل متهم بريء حتى تثبت ادانته.. فالمتهم بالشرك أو ترك الصلاة أو بالقتل أو الزنى أو السرقة أو بأي ذنب آخر فهو بريء، منه حتى تثبت ادانته بما اتهم به بالدليل الشرعي.

فالأمر الذي نحن بصدده.. هو إمكانية إتيان الفاحشة من امهات وأزواج الأنبياء. فمن قال بإمكان وقوع ذلك، فيكون قد اتهمهن لا بالفعل.. إنما بإمكانية صدور الفعل عنهن. فلو كنَّ كأحد من النساء لقلنا هذا جائز في حقهن.. أما وقد اخبرنا الله في كتابه العزيز مخاطباً إياهن: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ إلى قوله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ بالإضافة إلى سائر الأدلة الواردة في هذه الرسالة فدل ذلك على أنهن لسن كسائر النساء ومقامهن عند الله ليس كسواهن، إنما لهن المكانة السامية لأنه اختارهن ليكن أزواج انبيائه ورسله لائقات بهم مؤهلات لذلك كل التأهيل، فإذا كان سواهن ممكن أن يقعن في فاحشة فهن أجل وأرفع فالله صانهن وحفظهن، وجعلهن من هذه الناحية معصومات من ذلك، ليُعلم أنهن فوق

مستوى النساء ولهن من الله تعالى الرعاية والصيانة والحفظ ما لا يتمتع به النساء غيرهن، فلولا كونهن نساء أنبياء لهن تلك الحرمات.. لجعلهن كأحد من النساء، يجري ما يجرى عليهن.

وبناء على ذلك، فهم فهمًا واضحاً ان البراءة من إمكانية وقوع الفاحشة منهن أصل، وثبت هذا الأصل بالكتاب والسنة، فلزم أن يبقى الأصل على أصله دونما ناقض... حتى يثبت العكس من الجهة التي أثبتت الأصل، فإن كان عند المخالفين من هذا شيء يثبت مُدَّعاهم فليدلوا به... وإلّا فيبقى الأصل على أصله من البراءة والحفظ والعصمة... ولن يثبت العكس وهذا هو المطلوب.

٣ ـ أي القولين منّا.. أقولكم أم قولي أطيب وأحسن وأليق بنساء الأنبياء؟

هذا سؤال كنت سألتكموه، أثناء بعض نقاشاتنا فقلت لكم:

إنني اناشدكم بجبار السموات والأرض أي قول أحسن وأطيب وأسلم وأليق بجناب الأنبياء والمرسلين وبأماهتهم وزوجاتهم من لدن آدم إلى يوم القيامة؟ فقلتم على الفور: بل قولك يا نسيب أطيب وأحسن وأسلم وأليق بجناب الأنبياء وأمهاتهم وزوجاتهم.

ناشدتكم بالله أقلتم هذا.. أم لم تقولوه...؟ فإذا كان قولي هو الأحسن والأطيب والأسلم والأليق والأفضل... فما بالكم تعدلون عن القول الأفضل الى القول الذي ليس فيه أي فضل، بل هو القول بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير...؟!! قيل لي: أن الأعلم قد اتبع الأجهل في هذا الخلاف فأقول:

أعمى يقود بصيراً..؟!!! لا أبا لكمُ قد ضل من كانت العميان تهديه

لا سيما وإنه عليه الصلاة والسلام قال:

«الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه، ألا وان لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله

ألا وهي القلب». رواه البخاري ومسلم والترمذي عن النعمان بن بشير.

وما دمتم اعترفتم بأن الأحسن والأطيب والأليق والأسلم هو قولي بعصمتهن من الزنى، والأفضل هو الواجب في حقهن، فكان عليكم أن تتمسكوا فيه وتعملوا به لأنه أفضل، والأفضل واجب. وان قولكم أقل ما يقال فيه أنه من المشتبهات ان لم نقل هو الحرام البين؛ فكان يحسن ان تتقوا الشبهات، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، وذلك خير من أن تكونوا كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إن لم يكن قد رتعتم فيه، كيف لا وإن حرمات رسول الله ﷺ من محارم الله، وقد قلتم بالإمكانية التى هي تكأةٌ إلى الوقوع في الفاحشة، ففتحتم باباً للأجيال القادمة ليقولوا بالذي نخشى ان يقعوا فيه من القول، وما خبر قوم نوح بخافٍ عليكم.. اللهم أصلح قلوبنا.

٤ ـ إذا كانت المتضجرة من عيشها، لا تليق زوجة لنبي!!! فكيف بالزانية..؟

أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه اسماعيل ﷺ، ان يطلق زوجته بسبب انها شكت إليه سوء حال زوجها وفقره وعوزه وانهم في أسوأ حال وفعلا كان الأمر كذلك، ولم تكن الزوجة كاذبة... ومع ذلك أمر إبراهيم اسماعيل ان يطلقها لأن من لم تحمد الله تعالى على كل حال.. لا تصلح ان تكون زوجة لنبي. إذ كان عليها أن تصبر، ولا تبدي الضجر من عيشها، بل تحمد الله على كل حال. فتضجرها وعدم صبرها كان سبباً في طلاقها، وانفصام عرى الزوجية فيما بينهما.

فإذا كان مثل هذا السبب، الذي لم يؤدِ إلى أي شيء يشين بيت نبي الله تعالى كان مؤدياً إلى الطلاق والفراق. فكيف إذا أمكن أن تكون زانية..؟ فلا شك أن عدم صلاحها له هو من باب أولى.

واذا كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يرض لابنه عليه السلام زوجة متضجرة، فالله اولى وأحرى أن لا يرضى لنبيّه زوجةً ممكن أن تلوث بيته في الفاحشة فجل جلال الله وتعالى عن ذلك وحاشاه وسبحانه أن يقدر عليه شيئاً من ذلك. إنما يختار له الزوجة اللائقة المتكافئة مع عصمته من الدنايا والأخباث. فلزم أن تكون زوجة النبي معصومةً من الفاحشة، كعصمته هو منها وما ذلك إلا صيانة من الله وحرمةً لشرفه السامي.

٥ ـ الأفضل هو الواجب دائمًا بحق الأنبياء

لا شك ولا ريب أن قولي بعصمة أمهات الأنبياء وزوجاتهم من الوقوع في الفاحشة هو تبرئة. وقولهم بأمكانية وقوعهن بالفاحشة هو اتهام بهذه الإمكانية، والتبرئة مقدمة على الاتهام لأن ذلك هو الأفضل، والمعلوم عقلاً وشرعاً أن الأفضل في كل شيء، هو واجب للأنبياء وجوباً.

ومن هذا الواجب... بل ومن أوجب الواجبات أن تكون أمهاتهم وزوجاتهم معصومات من الزنى، منذ أن خلقن إلى أن متن، حتى ولو كنَّ متزوجات قبلهم أشخاصاً عاديين، فيلزم لزوماً أن يكنَّ معصومات من الزنى، لأنهن سيكنَّ في المستقبل، زوجات لأنبياء، والحكيم العليم هو الذي قدر ذلك فقولكم.. لا يتفق مع القدر الذي قدره الله عليهن، فهو إذن باطل ولا يليق بهن، أما قولي فهو الموافق ولأنه أفضل والأفضل واجب بحق الأنبياء عليهم السلام.

وهنا نسألكم: ترى أي القولين إلى رضاء الله أقرب؟ ولو كنا مثلاً في زمن النبي ﷺ كان أي القولين أحب الى قلبه...؟ ولو أن الله تعالى أنزل عقاباً ما.. فأي الفريقين منا.. يكون بنجوة منه وأيّنا أحق به، وأهل له...؟

أفلا تختارون القول الذي هو إلى رضاء الله وقدره أقرب...؟

أفلا تختاورن القول الذي هو إلى قلب رسول الله أحب...؟

أفلا تختارون القول الذي هو أبعد عن عقاب الله وسخطه...؟

اللهم اهدهم إلى صراطك المستقيم، لا يهديهم إليه إلَّا أنت، لا إله غيرك ولا رب سواك.

أخي القارىء المسلم الكريم:

ها إنك فرغت من قراءة صحائف مضت.. أثبت لك فيها عصمة أمهات وزوجات الأنبياء من الزنى.. وذلك بالأدلة القرآنية والسنية، والعقلية والمنطقية، واقوال الصحابة والتابعين والعلماء والمفسرين من السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولعلك يا أخي تود لو تطلع على أدلة المخالفين وحججهم، وترغب أن أضعها بين يديك... كما وضعت أدلّتي وبراهيني... وإنني سأفعل وسأضعها بين يديك لتقارب بين القولين والحجّتين.. وترى الحق أين هو، فتتبناه وتدافع عنه عن فهم ودراية وعلم وتحقيق، حتى لا تتسرع في حكمك، فتقع ـ لا قدر الله ـ بما لا تحب ان تقع فيه. وسأحاول أن اكون في نقل أدلتهم وحججهم إليك، كما يقولونها بالضبط ـ إن شاء الله ـ.

وإنني لا أدري ما سيكون حكمك... إنما اعتقد جازماً انك ستجهد النفس تحرياً في معرفة الحق، بأمانة وصدق، ونزاهة وتجرد، وإخلاص ودقة وعمق...

إنني أحبك بحاثاً نقاداً، تسبر الأغوار، ثم تحكم.. فإن حكمت فلا أحبك أن تكون محايداً، فيجب وجوباً ان تنقد وتحكم، وتتبنى الحق وتنصر أهله... ولا أحاول أن أملي عليك ما ذهبتُ إليه... إنما أتركك حراً تختار ما اقتنعت به من الأدلة، وإنني اقسم أنني أفضل ألف مرة ان تكون مخالفاً لي عن قناعة، من أن تكون محايداً!!!؟ إذ لا حياد بين الحق والباطل، فقد أكون أنا المبطلَ... فحيادك يكون سكوتاً على الباطل، وقد يكون غيري المحقَّ فحيادك خذلان للحق.. ولا أريدك ساكتاً على الباطل، ولا خاذلاً للحق، إنما اريدك ان تفهم الحق، وتتبناه وتنصر أهله، وان تفهم الباطل وتتجنبه وتخذل أهله... وهكذا فلا حياد بين الحق والباطل.

الحق هو الحق، في صغير الأمر وكبيرها، دقيقها وجليلها، ولا يمنعنك صغر الاختلاف في نظرك... ألاّ تقول فيه بالحق، إلاّ إذا كان للحق مفهومان.. فجزاك الله خيراً... إذا سعيت للتقريب بينهما، وأسأله تعالى ان يوفقك في مسعاك للخير، هذا اذا كان للحق مفهومان... وإلاّ فالحق أحق ان يتبع وينصر، والباطل أحرى بان يخذل ويقهر، أيا كان... ومع أي كان... ولا حياد بينهما ألبتة.

وانني لأضع أدلة المخالفين كما سمعتها منهم أثناء نقاشنا معهم... ثم كما نقل إليّ الثقاة مما سمعوه منهم ايضاً، وأرجو ان أكون امينا في النقل، وأميناً في الرد... وانني في كل الاحوال... ساردٌ على الفكرة أيا كان مصدرها، إذ المهم في الرد على ما قيل... لا على من قال فحسب... واذا كان المنقول عنه بريئاً مما عزي إليه، فهذا ما نبغي، ويبقى ردنا قائمًا على القول لا على القائل. هذا إذا كان بريئاً من القول،

أو رجع عنه. . . وإلّا فيكون ردّنا على القول والقائل معها، لأننا أخذنا على أنفسنا عهداً أن نخذل الباطل وأهله، إذ لولا أهل الباطل، ما عرف الباطل، ولولا أهل الحق، ما عرف الحق، ولا رفت بنوده، ولا شمخت اعلامه.

هذا يا أخي القارىء المسلم الكريم، ما أحببت ان اقدمه بين يديك. . . قبل ان اضع حجج (القوم. . .) امامك، ولعلني وفقت في هذه التقدمة الى انارة طريق الحق، الذي تحب ان تطلع عليه، وتؤيده وأهله، وترفع رايته، خفاقة عالية إن شاء الله.

وها أناذا. . . أقدم ادلة المخالفين كما وعدت. . . مبتهلاً الى الله تعالى ومتوسلاً إليه باسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبكل عمل صالح مقبول لي عنده، أن يريني الحق حقاً ويرزقني اتابعه، ويُحببني فيه، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتناه، ويكرهني فيه، إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن سلك هداه الى ما شاء الله.

أدلتهم
من القرآن والحديث
على ما يزعمون!
من القرآن . . .

قالوا:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**إنه ليس من اهلك انه عمل غير صالح**﴾ هود ٤٦.

إنَّ هذه الآية تدل على أن زوجة النبي يمكن ان تقترف الفاحشة فإن الله قد أخبر نوحاً عليه السلام أن ابنه ليس من أهله لأنه ابن زنية فهو **عمل** غير صالح، ولولا ذلك لما نفاه من أهله وقال: ﴿**انه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح**﴾.

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء. . .﴾.

وهذه الآية تدل ايضاً على عدم عصمة عائشة، فقد نزلت في جملة ما نزل من آيات في تبرئة عائشة من الإفك في سورة النور ويفهم منها أن الله قد حض الذين جاءوا بالإفك على عائشة ان يأتوا بأربعة شهداء، يثبتون دعواهم عليها، فلو أنها كانت معصومة من الزنى لما قبلت دعوى المتهمين أصلاً، فضلاً عن ايراد الشهداء الأربعة عليها ولكن لما طلب إليهم وحضهم بقوله تعالى: ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**. . .﴾ أي هلاَّ أوردوا عليها أربعة شهداء. . . جعل حكمها حكم سائر النساء اللاتي لا تثبت عليهن الدعوى هذه. . . إلاّ بأربعة شهداء فتبين أنها مثلهن، ولما كنَّ غير مصعومات، لزم أن تكون عائشة كذلك غير معصومة أيضاً وهكذا فقد ثبت أنها غير معصومة. لأنها مثل سائر النساء.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ ٣٠ ـ الاحزاب.

وهذه الآية تدل أيضاً على عدم عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة، فجعل الله لهن عقاباً إنْ هنَّ اقترفن شيئاً من ذلك، وهذا يدل على احتمال وقوعه، فلولا إمكانية الوقوع، لم يقل سبحانه: ﴿. . . **من يأت منكن بفاحشة**. . .﴾ ففهم انهن كأي من النساء، إن فعلن فعليهن العقاب، وإن عففن فلهن الأجر والثواب ولكن لو كنَّ معصومات، لما نزلت هذه الآية أصلاً.

٤ ـ ان الإرادة الإلهية في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ هي ارادة شرعية، لا إرادة كونية. ولا يفهم من هذا التطهير أنهن معصومات. . . إذ لا معصوم إلا الأنبياء، وقد وضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأمر توضيحاً تاماً في كتابه «منهاج السنّة» فليرجع إليه من شاء.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾ ١١ ـ التحريم.

وهذه الآية تكاد أن تكون صريحة بعدم عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة لا سيما عند قوله تعالى: ﴿**فخانتاهما**. . .﴾ مما يثبت أن زوجتي نوح ولوط خانتا زوجيهما في حياتها الزوجية، ومن المعلوم أنهما ايضًا مشركتان، فإذا جاز أن تكونا مشركتين، فلما لا يجوز ان تكونا زانيتين، مع العلم ان الشرك أعظم من الزنى بل وأعظم الذنوب على الاطلاق؟ فجواز ان تكون زانية من باب أولى.

من الحديث . . .

١ ـ قوله ﷺ لعائشة يوم الإفك: «**إن كنت ألممت بذنب فاستغفري لذنبك**».

هذا الحديث وجهه رسول الله ﷺ إلى عائشة يوم الإفك، فلولا أن يعلم أنها ممكن أن يقع منها هذا الأمر لما قال لها: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري لذنبك» ولو كانت معصومة كان أوْلى الناس بمعرفة هذه العصمة فيها، هو رسول الله ﷺ، وكان عليه أن يقطع كلام الناس نهائياً ويقول لهم إن نسائي معصومات من الفاحشة، فلا تقبل فيهن هذه التهمة. . . ولكن لم يقل لهم أي شيء من هذا القبيل، بل توجه إلى عائشة بالذات وقال: «ان كنت ألممت بذنب. . .» فدل هذا على أنها في نظره غير معصومة مما اتهمت به، فإذا كانت هي في نظره كذلك فلا لوم علينا اذا كان ظنُّنا فيها ما يماثل ظن رسول الله ﷺ مع العلم أن ظننا متعلق بوجود الإمكانية لا باقتراف الفعل نفسه فنحن نشهد ببراءتها مما نسب إليها ولكنها كسائر النساء، كان ممكناً أن يقع منها ذلك، إنها ليست معصوم منه انما لم يقع ذلك منها.

٢ ـ ان نساء النبي لسن من أهل بيته، بدليل قوله ﷺ لزوجته أم سملة، حين سألته أن يضمها إلى كسائه مع فاطمة وعلي والحسن والحسين وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيرا» فلم يدخلها في كسائه وقال لها «إنك الى خير» ففهم أنها ليست مقصودة في قوله تعالى: ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ولو كانت مشمولة هي وسائر الزوجات بهذا القول لأدخلها في الكساء معهم وقال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ففهم أنها ليس من أهل البيت، وليس لها العصمة من الفاحشة، كما فهمتم انتم ذلك من الآية، بينما فهمنا نحن أن الآية ليست خطاباً لهن فضلا عن دلالتها على عصمتهن من الفاحشة، لأننا لا نعتقد أن هذه الآية. . . فيها دلالة على العصمة من الفاحشة، إن كنَّ هن المقصودات بها، او كان غيرهن هو المقصود، والارادة هنا شرعية لا كونية.

٣ ـ حديث الرجل المجبوب

قلـــت: أخي القارىء المسلم:

إن من يتأمل هذه الفقرات المتقدمة، التي نعتوها بالادلة... لا يستطيع إلاَّ ان يقـرر بأنها شُبَهٌ أطلقوا عليها اسم أدلة وبراهين... وقد لا يصل القارىء إلى هذا التقرير، إلا بعد ان يتأمل جيداً، ويرجع الى النصوص، ويمحصها بدقة... فيخرج بنتيجة حاسمة، وحكم نهائي، بأن ما زعموه أدلة وحججاً وبراهين، إنما هي من نفخ الشيطان وهمزه ونفثه سوّلها لهم الشيطان، وحسّنها في قلوبهم، حتى استقرت فيها حججاً بزعمهم، ودفعهم بل (ووّرطهم..) بان يقولوا أنها حجج قرآنية وأدلة سنية... وسوف نناقشها فقرة فقرة.. وننقضها لبنة لبنة، حتى يقتنعوا ان ما زعموه أدلةً هي السراب الباطل الذي يحسبه الظمآن ماءً.

المناقشة . . .

والرد . . .

١ ـ أما حجتهم الأولى التي احتجوا بها وهي قوله تعالى:

﴿**إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح**﴾ فسروها بان هذه الآية تدل على أن زوجة النبي يمكن ان تقترف الفاحشة . . . لأن الله قد أخبر نوحاً عليه السلام، أن ابنه ليس من أهله لأنه ابن زنية، فهو عمل غير صالح، ولولا ذلك لما أخرجه الله من أهله فقال تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح**﴾.

هذا ما فسروا به هذه الآية، ولا أدري من اين اعتمدوا هذه التفسير الغريب وعلى أي تفسير سابق بنوا ما ذهبوا إليه.

وان تفسر هذه الآية كان سبب قيام هذا الخلاف . . . فقد سألني احد الأخوان: ما معنى الآل . . . ؟

قلت: إن الآل لها معنيان: الأول: آل الرجل أهله وذووا قرباه وعشيرته والثاني: آل الرجل: هم اتباعه المصدقون لدعوته . . . فآل النبي هم اتباعه الذين امنوا به واتبعوا ملته، وان لم يكونوا من ذوي قرباه، واذا اجتمع في الرجل المعنيان فيكون قد اجتمعت فيه الفضيلتان، فآل محمد وآل كل نبي عليهم أفضل الصلاة والسلام الذين ضموا شرف النسب إلى شرف الإيمان بالدعوة هم في الأمة، أهل المكان الأرفع، والمقام الأسمى والمنزلة الكريمة، وإلّا فإن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، بل إن قرابة النسب، ليست شيئاً مذكوراً إذا كانت مجردة من قرابة الدين، فهذا أبولهب عم رسول الله ﷺ، لما كان كافراً مشركاً، خاطبه الله تعالى: ﴿**تبت يدا أبي لهب . . .**﴾ فما أغنت أبالهب قرابته من رسول الله ﷺ، ولا انقذته من لهب نار جهنم ولا من عذابه الخالد الأبيد . . .

وهؤلاء: سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي رضي الله عنهم وارضاهم أجمعين هم من أجلة الصحابة، آمنوا برسول الله ﷺ وصدَّقوه وصدَقوه،

وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، لإعلاء كلمة الله تعالى فاصبحوا من آل محمد، مع أنهم ليسوا من آل قرابته ﷺ، بل وليسوا عرباً أصلاً ولكنهم في الحقيقة، من آله الذين اتبعوا ملته، وسلكوا محجته.

فهؤلاء.. .من آل محمد، أما أبولهب فقد خرج من الآل، بكفره وشركه، وتكذيبه لابن أخيه، بما نزل عليه من الحق والهدى والخير.

وهذا ابن نوح عليه السلام، لم تغنه قرابته شيئاً... لأنه لم يؤمن بما نزل على أبيه نوح عليه السلام من الحق.. وكفر به، فكان من المغرقين، أجل لم تغنه قرابته النسبية، وكان حكمه حكم سائر الكفار من قوم نوح عليه الصلاة والسلام.

﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين (٤٥) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك ان تكون من الجاهلين (٤٦)﴾ هود.

ألا ترى ان الله تعالى أخرج ابن نوح عليه السلام من أهله رغم أنه ابنه من صلبه، وما أخرجه الله من آل نوح إلا بكفره، فآل نوح هم الذين آمنوا به، إن كانوا من قرابته أو من غيرهم.

قلـت: للسائل... هذا معنى الآل، ثم استطردت بالبحث قائلاً: ولا يفهم من قوله تعالى: **﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾** أنه ليس ابن نوح إنما هو ابن زنية.. فهذا قول لا يصح قطعاً، وضلال كبير وخطأ فاحش، إذ يمكن أبداً أن تزني زوجة أي نبي من الأنبياء، وكذلك لا يمكن ان يتحدر النبي من الزنى بمعنى انه لا يجوز ولا يمكن قطعاً أن تكون أم النبي زانية، وهكذا فإن أمهات وزوجات الأنبياء لا يكمن أن يقعن في الفاحشة ابداً..

هنا ذر قرن الشيطان... وجال في عروق شخص ثالث كان حاضراً فقال: ولماذا تكون أمهات وزوجات الأنبياء كما ذكرت.. أي لا يمكن ان يقعن في الفاحشة أبداً... إن قولك هذا غير صحيح.

قلـت: لماذا..!!

قال: لأنهن غير معصومات، ويمكن ان يقعن فيها... وهنَّ كسائر النساء قلت: ولكن هذا اتهام منك بامكانية تحدر الأنبياء من الزنا، كما انه اتهام ايضا بان الأنبياء ممكن ان يكونوا ازواج بغايا وزانيات، بينما هم معصومون من كل ذلك، عدا عن أن اعتقادك هذا مس بشهادة «وأن محمدا رسول الله» لأن هذه الشهادة لها مستلزمات لا بد منها، مما ينبغي له، او يستحيل عليه، ومن جملة ذلك ان لا يكون متحدراً من زنى، ولا زوجاً لبغي او زانية! وتنبغي له الطهارة في نسبه، وفي بيته، فإذا اعتقد احد بخلاف ذلك، اخلَّ بمعنى... «وأشهد ان محمداً رسول الله» ومنه عصمته الكاملة من كل دنيةٍ، وإن زوجات الأنبياء ملحقات بازواجهن من حيث عصمتهن من الزنى... وإلا لكان امكان زناهن ناقضاً لعصمة ازواجهن من أن يكونوا أبناء أو أزواج زوانٍ... ولا شك ان هذا ايضا... مما يمس بشرفهم، ويعيق دعواتهم التي ارسلهم الله بها للناس فينصرفون عنهم، ومثل هذا... لا يليق حتى ولا بشخصٍ عادي. فكيف بالأنبياء والرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات، واتم التسليمات، وأزكى التحيات.

ولا شك في أن الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، تنصب جميعاً، على أن نساء الأنبياء معصومات تبعاً لعصمة أزواجهن من كل هذه المقابح وذكرت كل ما كان يحضرني من ذلك، فما كان يجدي عن هذا «الأخ...؟» شيئاً فقد ظل معانداً، ومتشبثاً برأيه... ووافقه على رأيه بعضٌ ممن كان لا يتصور أن يقول، بهذه الأقوال الدنسة... ولكن هكذا كان والعياذ بالله تعالى من ذلك. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك وكان من جملة ما تشبثوا به... هذه الآية الكريمة: ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾.

ولولا أنهم أيقظوا هذه الفتنة، وابتدعوا هذه البدعة، ولولا أنهم اشاعوها وأذاعوها، ووعوا الناس إليها، ما وقفت هذا الموقف الشديد ضد هذه البدعة النكراء والتي ما سبقهم إليها أحد من العالمين....!!! وإنني لأعدُّ نفسي مسؤولاً أمام الله تعالى عن عدم الدفاع عن شرف بيوتٍ لم يخلق الله تعالى أعزَّ ولا أشرف ولا أعلى ولا أقدس منها.

وإنني والله لأتحرج جداً من الأخذ والرد في هذا الأمر ـ رغم أني مدافع ومبرءٌ، خشية من ترداد بعض ألفاظ أضطر إلى ذكرها وإضافتها إلى أسماء كريمة معظمة مقدسة،

وليبق مقام تلك البيوت الطاهرة على جلاله وعصمته وقدسيته، دون أن يلصق به - ولو بقصد الدفاع والتبرئة أي كلمة أولى وأحرى أن لا تذكر. . .

ولكنني أراني مجبراً أن أستعمل أي لفظ مهما كان معناه، ما دمتُ في موقف أرجو الله تعالى أن يتثبتني ويؤجرني عليه، وهكذا فقد رجح عندي أنه لا بأس من ذلك، طالما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز في مجال الدفاع عن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، قوله تعالى: ﴿**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين**﴾ فذكْرُ كلمتي: السوء والفحشاء، دفاعاً عن يوسف عليه الصلاة والسلام لا يمس يوسف بشيء، وإنني كذلك. . . لما أدفاع عن أمهات وزوجات الأنبياء والمرسلين، وتبرئتهن من امكانية وقوعهن في الفحشاء. . . لا أمَسُّ اسماءهن الكريمة، إلا بقدر ما أبرئهن به، من هذه الإمكانية من الفحشاء. . . هذه الكملة التي كنت أتحرّج من ذكرها مقرونةً بأسمائهن النقية الجليلة الطاهرة، لولا أن زال هذا الحرج. . . بما عبر الله تعالى به، في معرض تبرئة يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام: ﴿**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**﴾ اللهم إني أبتهل إليك: أن تجنبني مواطن الزلل والخطأ والخطل، وان تهديني إلى خير ما تحب وترضى من قول أو عمل، وتؤجرني عن دفاعي عن حرم أنبيائك ورسلك، بما أستحق. . . وفوق ما استحق، إنك انت العفو الكريم، لا إله إلاَّ أنت، ولا رب سواك، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك.

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ عن امكانية وقوع أزواج الأنبياء في الفاحشة. . . فإنني أرد عليهم مستعيناً بالله وحده. وأقول:

ليس المقصود من قوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ أي ليس ابنه. . . لا بل هناك أدلة قاطعة على أنه كان ابنه من صلبه:

١ - إنه ابنه حقيقةً بدليل قوله تعالى: ﴿**ونادى نوح ابنه**﴾.

٢ - ونوح نص عليه في قوله تعالى: ﴿**يا بنيَّ اركب معنا. . .**﴾ و ﴿**إن ابني من أهلي**﴾.

إنما معنى ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ أي أنه ليس من أهل دينك ولا ولايتك وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين، أقوى من النسب «قاله سعيد بن جبير» وان نوحاً

ما كان يعلم كفر ابنه، لكتمان ذلك عن أبيه، ولهذا قال: ﴿**إن ابني من أهلي**﴾ من أهل ديني وملتي، وما كان يعلم حقيقة كفره، إلا بعد ان اعلمه الله تعالى: ﴿**قال يا نوح إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ فاستعاذ نوح بالله مما سأل ربه مما ليس له به علم واستغفر الله تعالى: ﴿**قال رب إني أعوذ بك أن أسلك ما ليس لي به علم وإلاّ تغفر لي وترحمني أكُنْ من الخاسرين**﴾ ٤٧ - هود.

قيل لسعيد بن جبير: يقول نوح: ﴿**إن ابني من أهلي**﴾ أكان من أهله؟ أكان ابنه...؟ فسبح طويلاً... ثم قال: لا إله إلا الله! يحدث الله محمداً ﷺ، أنه ابنهُ، وتقول: انه ليس ابنه..؟! نعم كان ابنه... ولكن كان مخالفاً في النية والعمل والدين، ولهذا قال تعالى: ﴿**انه ليس من اهلك**﴾ وقال ابن عيينة: وأخبرني عمار الذهبي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال: كان ابن نوح، ان الله لا يكذب قال تعالى: ﴿**ونادى نوح ابنه**﴾ وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿**انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح**﴾ وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا.. إلى انه ليس ابنه، وإنما كان ابن زنية! قال ابن عباس وغير واحد من السلف: «ما زنت امرأة نبي قط» وقول ابن عباس في هذا... هو الحق لا محيد عنه فإنه سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة.

ومعنى ﴿**انه عمل غير صالح**﴾ قرأ ابن عباس، وعروة، وعكرمة، ويعقوب والكسائي: ﴿**إنه عَمِلَ غير صالح**﴾ أي من الكفر والتكذيب، واختاره أبوعبيد وقرأ الباقون «**عملٌ**» أي ابنك ذو عمل غير صالح (عن تفسير القرطبي ص ٨٢٧٤) ثم قال القرطبي وهذا هو الصحيح في الباب إن شاء الله تعالى لجلالة من قال به.

ثم قال تعالى: ﴿**فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ أي **أعظك** أن تشفع بكافر، وهذا دليل على صحة ما ذهبنا إليه، من أن نوحاً عليه السلام ما كان عالماً بكفر ابنه.. حتى أعلمه الله، فتاب واستغفر من شفاعته بابنه الكافر: ﴿**قال رب إني أعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم وإلاّ تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين**﴾.

وهكذا يتضح ان معنى قوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ أي ليس من أهل دينك وملتك، وإن كان في الواقع ابنك من صلبك ولكن **ليس** من أهلك، فاخرجه الله تعالى من آل نوح لأنه كفر بما أنزل على نوح، فلم يغنه نسبه شيئاً ﴿**إنه عمل غير صالح**﴾ أي انه ذو **عمل** غير صالح، أي ذو كفرٍ وشرك فلم يعد أهلاً لأن يكون من آل نوح ألبتة.

والخلاصة، ثبت أن ابن نوح كان ابنه من صلبه ولم يكن زنية!!!؟ كما ادعى «بعضهم...» لأن نساء الأنبياء معصومات من الزنى... حتى ولو كُنَّ مشركات كامرأة نوح وامرأة لوط، إذ أن الشرك لا يُورّث عاراً للنبي، ولا يعيق دعوته التي أرسله الله بها... إنما الزنى، زنى الأم أو الزوجة، فيورث العار والشنار... وهو من أعظم المنفرات من الدعوة والداعي معاً وحاشا سبحانه وتعالى، أن يبتلي نبيه بهذه الأرجاس. وله الحمد والشكر على توفيقه.

٢ ـ أما حجتهم بقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء...﴾ النور.

قالوا: أن قوله تعالى: ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء...**﴾ أي هلّا جاء أهل الأفك بأربعة شهداء على عائشة، بأنها اقترفت فعل الفاحشة... وهذا دليل لنا على أن عائشة ليست معصومةً من الزنى... إذ لو كانت كذلك لما قبلت الدعوى عليها أصلاً، فضلاً عن الاتيان بالشهود عليها. فالحض على الاتيان بأربعة شهداء هو دلالة على أنها كسائر النساء أي غير معصومة من الزنى، وانها مثلهن وحكمها حكمهن تماماً، وما يجوز عليهن يجوز عليها.

قلت: وبالله المستعان على ما يصفون:

إن عصمة نساء الأنبياء من الزنى لم تكن معلومة لدى الناس إبّان قصة الإفك، فكان بدهياً ان لا يكلف الله أحداً بأحكامها.. إذ لا يكلّف أحدٌ بشرع غير معلوم؛ إنما كان معلوماً لديهم وقتئذٍ أن من يتهم أحداً بالزنى يجب ان يجيء عليه بأربعة شهداء يشهدون الشهادة الشرعية بأنه فعل الفاحشة وإلّا... فيجلد ثمانين جلدة ولا تقبل لهم شهادة أبدا ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾.

فلما قام أهل الإفك على عائشة الصديقة زوج رسول الله ﷺ وولغوا في سيرتها الطاهرة، بقي الأمر مجرد إشاعة فحسب... فانزل الله تعالى ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾ أي أراد الله تعالى أن يفصل في الأمر، فإما ان يقدم المتهمون الشهداء أو انهم كاذبون في دعواهم على عائشة وإنها بريئة من افكهم. ولكن لم يقدموا الشهداء...

صحيح ان هذه الآية فيها حض على الإتيان بالشهداء، ولكن كما أنها حض على الإتيان بالشهداء.. كذلك هي تحدٍ للكاذبين الذين لم يستطيعوا أن يوردوا ولا شاهداً واحداً حتى ولا من أنفسهم!!! فهل يفهم من حض الله لهم على الاتيان بالشهداء أن حكمها حكم سائر النساء في هذا الأمر...؟ لا.. وألف لا... إنما كان ذلك لأن حكم الشهداء كان معلوماً لديهم.. فهلَّا أتوا بهم على صدق دعواهم؟ ولكن لا يمكن أبداً أن يأتوا بالشهداء.. وهل فعلت عائشة شيئاً حتى يشهد على فعلها أحد؟... كيف لا... وهي البريئة عند الله تعالى... بل هي المعصومة من فعل الفاحشة ومكتوب في صحائفها انها معصومة من هذه الأرجاس... فمن هذا الذي يشهد على فعلٍ ما وقع، بل ولن يقع قط...؟ وأرجو ان يتضح هنا التحدي من قبل الله تعالى على الإتيان بالشهود... وقد وضح والحمد لله. وهذا التحدي له مثال في سورة البقرة: ﴿**وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾.

فانهم لا يستطعون أن يأتوا بسورة من القرآن ولن يستطيعوا ذلك أبداً وهنا أيضاً: هلّا اتيتم بأربعة شهداء على عائشة... إنكم ما اتيتم ولن تأتوا عليها ولا بشاهد واحد وكيف تأتون بالشهداء على فعل لم يقع ولن يقع...!!!؟ نعم إنكم لم تأتوا بالشهداء ولن تأتوا أبداً وانكم عند الله لكاذبون.

فيا أخي القارىء المسلم: بربك أي دليل للقائلين بإمكانية وقوع نساء الأنبياء بالزنى من قوله تعالى: ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**﴾ أجل لا دليل بل الدليل عليهم وليس لهم، وإذا كان اكثر الناس إبان حادثة الإفك، لا يعلمون عن عصمة عائشة

شيئاً، لأنه تعالى لم يخبرهم بعد بها، ثم أخبرهم ببراءتها في سورة النور، ثم بعصمتها وعصمة الأزواج جميعاً في سورة الأحزاب وطهرهم تطهيراً، فكانوا وقتئذٍ معذورين في التوقف ولو بعض القدر، فما عذركم أنتم يا من تقولون بإمكانية وقوعهن بالفاحشة، وحاشاهن من ذلك؟ أجل ما عذركم أنتم بعد أن أنزل الله البراءة والتطهير والعصمة بألف وثلاثمة وثمانين سنة...؟ ما يمنعكم إلّا شيئان... إما الجهل وإما الغرض!!! ولكن أقول هو الجهل لأنني ما أزال أؤمل منكم ان تعودوا الى الحق واعيذكم من الغرض أو الهوى... وما زال بكم الأمل وطيدا... والله الموفق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل، ولكن لماذا تتمسكون بهذه الآية وهي ما نفعتكم ـ كما اتضح لكم ـ ولا تقرأون بعدها: ﴿**لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**﴾ أي هلاَّ قال المؤمنون والمؤمنات فور ما سمعوا حديث الافك ﴿**وقالوا هذا افك مبين**﴾ كما قال أبوأيوب الأنصاري، وزوجته أم أيوب، اللذان ظنا بنفسيهم خيراً، وقاسا الأمر عليهم، فوجدا أن عائشة أولى بهذا الخير، وحض الله المؤمنين أن لو تمثلوا بأبي أيوب وزوجته أيضاً... فإذا وجدوا أنفسهم، بعيدةً عن هذا الخبث فعائشة منه أبعد، وحاشاها أن تدنو من مقدماته فضلاً عن الوقوع فيه. وهكذا فإن الله تعالى ودَّ أن يكون المسلمون وقتئذٍ قد دفعوا التهمة عن عائشة وبرأوها منها، قبل أن يبرأها الله تعالى، لما يعلمون من نقاء سيرتها، وشرف بيتها، وقدسية مكانتها من رسول الله ﷺ، مما يدلُّ دلالة واضحة على عصمتها من هذا الرجس، وإلا فليس للمسلم أن يتردد في براءتها بعد ان برأها الله من فوق سبع سمواته.

وإننا نقول لمن يقول بإمكانية زنى نساء الأنبياء، لم فهمتم من آية ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**﴾ أن عائشة غير معصومة من الفاحشة، وشأنها شأن سائر نساء المؤمنين، ولم يفهما من الآية بعدها: أن الله تعالى ودَّ من المؤمنين لو سارعوا إلى تبرئتها فور ما سمعوا الافك، لأن هذا موافق للعصمة التي فطرها الله عليها، قبل أن يبرئها هو سبحانه...؟

وعلى كل حال فقد وضعنا بين أيديكم توضيحاً لمعنى الآية: ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**...﴾ وهو توضيح كامل، ونرجو الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وإياكم،

وأن نعمل جميعاً طبق أوامر الكتاب والسنة، وان لا نحيد عنها ونجعل هوانا تبعاً لما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» ونرجو الله أن نلتقي دائمًا على هذه المحجة الزهراء، وان لا نزيغ ولا قيد أنملة كما عاهدنا ذلك ربنا منذ أن فتح أعيننا على نور العلم والحمد لله رب العالمين.

٣ ـ وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأتِ منكنَّ بفاحشة مبينةٍ يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا**﴾ ٣٠ ـ الأحزاب.

قالـوا: لولا أنه من الممكن أن تأتي زوجاتُ الرسول الفاحشة ما خاطبهن الله تعالى بهذه الآية ﴿**يا نساء النبي من يأت منكنَّ بفاحشة**...﴾ يعني أنّ كلّ ذلك ممكنٌ ولما كان ممكنـا، انتفت العصمة عنه، وصار شأنهن شأن سائر نساء المؤمنين، فإن فعلن فعليهن العقاب، أو عففن فلهن الأجر والثواب. فأين هي العصمة التي تدعيها لهن...؟!

الجواب:

قال الخازن في تفسيره ج ٣ ص ٤٦٦

قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكنَّ بفاحشة مبينةٍ**....﴾ أي بمعصية ظاهـرة قيل هو كقوله تعالى: ﴿**لئن اشركت ليحبطن عملك**﴾ لا أن منهن من أتت بفـاحشـة فإن الله صان أزواج الأنبياء عن الفـاحشـة... وقـال ابن عباس: المراد بالفاحشة: النشوز وسوء الخلق.

وقال الزمخشري في تفسيره ج ٣ ص ٢٣٤

قوله تعالى: ﴿**منكنَّ**﴾ للبيان لا للتبعيض «الفاحشة» السيئة في القبح وهي الكبيرة و«المبينة» الظاهرة فحشها.

والمراد: كل ما اقترفن من الكبائر، وقيل هي عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشقُّ عليه، وما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل: الزنى، والله عاصم رسوله من ذلك، كما مر في حديث الأفك.

قال الشوكاني في تفسيره:

(قـوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكنَّ بفاحشة مبينة**﴾ أي ظاهرة القبح واضحة الفحش، وقد عصمهن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن والمراد بالرجس: الإثم والذنب المدنسان للأعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى الله عنه).

قال ابن تيمية في الصارم المسلول:

(ولا يجوز ـ مع ذلك ـ أن تقع منهن الفاحشة، لأن في ذلك جواز أن يقيم الرسول مع امرأةٍ بغي، وان تكون أم المؤمنين موسومة بذلك وهذا باطل. ولهذا قال سبحانه: ﴿**يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين**﴾).

قال القرطبي في تفسيره ج ٦ ص/ ٥٢٥٦/ كتاب الشعب:

(﴿**يا نساء النبي من يأتِ منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾ فأخبر تعالى أن من جاء من نساء النبي ﷺ بفاحشة ـ والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك يضاعف لها العذاب ضعفين...).

قال ابن كثير في تفسيره:

(﴿**يا نساء النبي من يأت منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا**﴾ يقول تعالى واعظاً نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ، فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء، بأن من يأتِ منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي النشوز وسوء الخلق، وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى ﴿**ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك**﴾ وكقوله تعالى: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ وقال رحمه الله تعالى: ﴿... **واعتدنا لها رزقاً كريمًا**﴾ أي في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة الى العرش).

قلـــت: وبالله المستعان:

إن هذه الآية: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا**﴾ تنبىء بما سيكون جزاء لمن يأت من نساء النبي من الفاحشة، وهذا ولا شك، على سبيل افتراض وقوعه، فإنهن لسن بمأمن ولا منجى من

العذاب، وإن كنّ زوجات رسول الله ﷺ، فكونهن زوجاته، لا يغني عنهن شيئاً إن اقترفن شيئاً من ذلك.. ولكن هل يفعلن؟

ولا يخفى ان المراد هو تهديد شديد لغيرهن من نساء المؤمنين، ليعلم ان نساء النبي وهنَّ أعلى وأشرف نوع من النساء على افتراض وقوعهن بذنب ما، لسن بمأمن من العذاب، بل يكون عذابهن ضعفين، فكيف إذا اقترفت الفاحشة احدى النساء العاديات... فهل تكون بمأمن من العذاب...؟ الجواب: لا.. فإن التي هي أفضل منها وأشرف، لم يراعها الله تعالى بل جعل جزاءها ضعفين من العذاب.

على أن الله تعالى أخبرنا بما سبق من الآيات والأحاديث بأن أزواج الأنبياء لسن أهلاً لصدور الفاحشة (التي هي الزنى) منهن، لأنهن لسن كأحدٍ من النساء... أي أنتن نساء الأنبياء والرسل، لا كسائر النساء، فإن كان سائر النساء يمكن ان يقترفن الفاحشة، فإن هذه الإمكانية منفيةً عن نساء الأنبياء صوناً لشرف بيوتهم، وتحقيقاً لعصمتهم من ان يكونوا أزواج بغايا وزانيات. وعلى كل تقدير فقوله تعالى: ﴿**من يأت منكم بفاحشة...**﴾ فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع ولا الجواز وهذا كقوله تعالى: ﴿**لئن اشركت ليحبطن عملك**﴾ فهل من الممكن أن يشرك الرسول ﷺ؟ الجواب: لا لأنه مصعوم من ذلك وكقوله تعالى: ﴿**ولا تدعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**﴾ وقوله تعالى ﴿**ان يشاء الله يختم على قلبك**﴾ وقوله تعالى ﴿**فإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ وقوله تعالى ﴿**اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله**﴾ وقوله تعالى ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ فكل هذا شرط والشرط لا يقتضي الوقوع ولا الجواز، ومن المعلوم يا أخي المسلم، انه لا يصح على رسول الله ﷺ ان يشرك ولا أن يدعو من دون الله أحداً، ولا أن يخالف أمر ربه، ولا ان يتقول على الله ما لم يقل أو يفتري على الله شيئاً، أو يضل، أو يختم على قلبه، أو يطيع الكافرين وكل ذلك معناه ليس مقصوداً منه النبي ﷺ فهو معصوم من كل ذلك، ومستحيل عليه فعله، لأن الله عصمه من كل ما تقدم، إنما هذا إفهام لغيره من المسلمين، أن الرسول، وهو رسول رب العالمين، ذو المنزلة الرفيعة، والمقام الأسمى عند الله، إن افترض وقوع ذلك منه، فإن الله تعالى يجازيه

على ما فرط، فكيف إذا فعل ذلك أحد من المؤمنين. .!؟ فسيلقى عقابه من باب اولى، وذلك ايضا ايضاح لقدرة الله تعالى، وان الله عدل، ولا يحابي احداً من خلقه. . . وان الله على كل شيء قدير وكذلك نساؤه عليه الصلاة والسلام ونساء سائر الانبياء والمرسلين، ان افترض منهن وقوع الفاحشة، وهذا مستحيل عليهن ومعصومات منه بعصمة ازواجهن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فان الله سبحانه اعد للمذنبين عذابا مهينا. وليس من احد من المذنبين بمأمنٍ من عذابه تعالى حتى ولو كان نبيا، او زوجة نبي، وان الله على كل شيء قدير وكان ذلك على الله يسيرا. وهنا يفهم المؤمنون عامة، هذه الحقائق، فيرتدعون عن المعاصي والذنوب والآثام، خوفا منه تعالى وخشية، ما دام سبحانه وتعالى لا يستثني احداً من عذابه إن أذنب. . حتى الأنبياء ولكنهم لا يذنبون، ولا يقترفون الفاحشة، وكذلك نساؤهم، لا يقترفن الفاحشة لأنهن معصومات منها بعصمة من الله تبعا، لعصمته عليه الصلاة والسلام.

وانك لترى يا أخي المسلم، في التفاسير التي سبقت، كيف أن المفسرين مجمعون على عصمة نساء الأنبياء من الزنى، فهذا الخازن يقول: إن الله صان أزواج الأنبياء من الفاحشة، وهذا هو الزمخشري يقول: والله عاصم رسوله من ذلك. وكذلك يقول الشوكاني: وقد عصمهن الله من ذلك وبرأهن وطهرهن. وهذا ابن تيمية يقول: ولا يجوز ـ مع ذلك ـ ان تقع منهن الفاحشة، لأن في ذلك جواز ان يكون الرسول مع امرأةٍ بغي، وان تكون أم المؤمنين موسومة بذلك وهذا باطل. . . وهذا هو القرطبي يقول: والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك. وهذا ايضاً ابن كثير يقول: فانهن في منازلِ رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي اقرب منازل الجنة الى العرش. والشرط لا يقتضي الوقوع، كما تقدم. . .

وهكذا يا أخي يظهر لك: أنني لم أنفرد وحدي في القول بعصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنى بل قاله كثير من الصحابة، والتابعين والمفسرين، والجميع مجموعون على ذلك، فما بال من يتهمهنَّ بإمكانية وقوعهن بالزنى، مُمعنٌ في ذلك. . . ولقد أتيت من الأدلة والبراهين القرآنية والسنية والمنطقية ما سبق ان ذكرته وكلّي أملٌ بالله تعالى أن يلهمهم التسليم بالحق مع براهينه وأدلته. وينزلوا أمهات ونساء الأنبياء والمرسلين،

بالمكانة اللائقة والمقام الأرفع، والمنزل الأسمى، لأنهن زوجات وامهات أشرف الخلق وخير العالمين.

وإلاَّ.. فإن الله سبحانه وتعالى، لا يعجزه أن ينتقم لأنبيائه وزوجاتهم ممن يتجرأ على اتهامهن بأمكانية وقوعهن بالفاحشة، بعد ثبوت عصمتهن منها والله سبحانه يتولى أولياءه برحمته ومغفرته ورضوانه.

٤ ـ أما قولهم واحتجاجهم بأن الإرادة الإلهية في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ هي إرادة شرعية لا إرادة كونية، ولا يفهم من هذا التطهير، أن نساء النبي معصومات... إذ لا معصوم إلا الأنبياء، وقد وضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأمر، توضيحاً تاماً في كتابه «منهاج السنة» فليرجع إليه من يشاء.

قلـــت: وبالله المستعان:

إن الارادة الإلهية في هذه الآية ليست ارادة شرعية كما زعمتم، إنما هي ولا شك ارادة كونية، وأظن انكم ما زلتم تذكرون نقاشنا في «بيت أحدكم...» ولا مانع من ذكر صورة صادقة عن الجلسة تماما، التي جرى النقاش فيها.

وهنا اذكركم انني اوردت وقتئذٍ من جملة الحجج، قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فقلتم:

هذه الإرادة في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله...**﴾ هل هي إرادة كونية... أم إرادة شرعية؟

قلت: جوابك، هو سؤال موجه إليك...

قلتم: تفضل.

قلـــت: هل عصمة الرسل والأنبياء مبنية على إرادة كونية، أم إرادة شرعية.. فما كان منكم إلا ان نهضتم ـ حفظكم الله ـ وانسحبتم من المجلس وقلتم: السلام عليكم ولم تجيبوا على سؤالي رغم ندائي المتواصل إليكم باعطائي الجواب... فلم تجيبوا ولا

بكلمة وظللتم متابعين سيركم حتى خرجتم من المجلس... وأنا أناديكم: إلى اين.. ما اعطيتمونا الجواب... ما هكذا الأصول... ولكن دون جدوى... وهنا.. استولى الاستغراب والدهشة على وجوه الحاضرين من موقفكم الذي ما عودتمونا عليه من ذي قبل... وهنا سألني الإخوان الحاضرون، ماذا كنت تريد ان تبني على سؤالك الذي وجهته للشيخ...؟

قلت: كنت اتوقع من فضيلة الشيخ ان يجيب: ان عصمة الرسول عصمة كونية... عندها كنت سأجيبه بما يلي:

لما كان رسول الله ﷺ معصوماً من الله بإرادة كونية، فإن عدم امكانية زنى نسائه، متعلق بعصمته لأن هناك قاسمًا مشتركاً، بين عصمة الرسل وبين عصمة امهاتهم وزوجاتهم من الزنى؛ لا لذواتهن... كلا انما تبعا لعصمة الأنبياء من كل ما يعيبهم ويشنيهم. اما امهاتهم فلا يمكن ان تتصور عصمة نبي أو رسول من ان يكون منحدراً من الزنى، إلا ان نجزم جزما قاطعا بان امه لا يمكن ان تزني أبداً... فإن قلنا: بل ممكن زناها.. وإن لم تكن زنت فعلاً، فمعنى ذلك: انه يمكن ان يكون الرسول ابن زنى... وهذا لا يقوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... لا سيما وان الرسل معصومون من ان يتحدروا من سفاح وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وكذلك زوجاتهم لا يمكن ايضا ان يزنين قطعا وابدا وكما قلت آنفاً: لما كان عصمة الرسل كونية، فعصمة زوجاتهم متعلقة بعصمتهم ولا يمكن ان تنفك عنها أبداً، وما ذلك لذواتهن، إنما تبعا لعصمة ازواجهم الأنبياء إذ لا يتصور ابدا ان يكون نبي أو رسول زوجاً لزانية، لأنه معصوم من ذلك، فإذا كان النبي أو الرسول معصوماً من ان يكون زوجاً لزانية فزوجته إذاً معصومة من الزنى بعصمته فإن ذلك لازم وملزوم لا ينفكان، إذ لا يتصور أن يكون رسول معصوماً من أن يكون زوجاً لزانية، ثم تكون زوجته زانية! فهذا مستحيل جمعه.. اذ الضدان لا يجتمعان... أي لا تجتمع عصمة الرسول من ان يكون زوج زانية، وعدم عصمة زوجته من الزنى، إنما يجب وجوبا ان يكون الرسول وزوجته معصومين من الزنى، وهذا ايضا معلوم من الدين بالضرورة وكاد أن يكون من بدهياته. وبعد ان انتهيت من هذا الشرح، وافق الجميع على ما قلته، واكدوا: بانهم على ذلك وهذه عقيدتهم تماما لا يحيدون عنها.

وفي جلسة أخرى في بيتي عدنا للنقاش معكم بناء على إصراركم فعدتم وسألتموني هل العصمة التي تدعيها لنساء النبي، والتي فهمته من الآية: ﴿انما يريد الله. . .﴾ هذه الإرادة شرعية أم كونية. . ؟

قلـت: هذا سؤال وجهتموه لي في الجلسة تلك. . فأجبتكم: سؤالكم هذا. . جوابه سؤال لكم، قلتم: تفضل. فقلت: هل عصمة الرسول نفسه بإرادة كونية ام شرعية فكـان جوابكم ان انسحبتم من المنـاقشة وخرجتم من المجلس، فاخشى ان سألتكم الآن نفس السؤال ان تعطوني جواباً بانسحابكم قلتم: لا لن أنسحب، وتفضلوا اسألوا قلت: اعيد السؤال نفسه: هل عصمة الرسول كانت بإرادة كونية ام بإرادة شرعية قلتم: بل بإرادة شرعية!!! قلت مستغرباً: بارإدة شرعية!!!؟ فكروا جيداً بالجواب. . . فاطرقتم دقائق. . . ثم رفعتم رأسكم وقلتم: بل بإرادة كونية قلت: حسناً وهذا هو المطلوب. قلتم: وماذا ستبني على إجاباتي هذه. . . ؟ قلت: ما دمتم تعترفون بان عصمة الرسول والرسل جميعا بارادة كونية. . . فمن جملة هذه العصمة لهم ان يكونوا معصومين من ان يكونوا ازواج بغايا وزانيات قلتم: نعم قلت: فإذا كان الرسول معصوماً من ان يكون زوجاً لزانية، وعصمته هذه كما تفضلتم بإرادة كونية، لزم لزوما ان تكون زوجته ايضا معصومة من ان تكون زانية وعصمته هذه بإردة كونية، لأنها تبع لعصمة الرسول التي كانت بإرادة كونية قلت: لا يلزم ان تكون معصوما من الزنى، إنما لا تزني. . . وهي كسائر النساء العفيفات قلت: وهل أولئك النساء العفيفات يمكن ان يزنين، قلتم: نعم ممكن. . . قلت: إذاً ممكن ان يكن نساء النبي زانيات؟ قلتم: نعم ممكن ولكن ما زنين! قلت: اذا كان الأمر كما ذكرتم، فيمكن إذا بناء على قولكم ان يكون الرسول زوج زانية وقد اتفقنا قبل قليل انه معصوم من ذلك، واذا كان معصوماً من ان يكون كذلك، فمن غير الممكن أبداً ان تكون زوجته زانية، لأنه معصوم ومعصومة هي بعصمته من ذلك. فرغم ذلك ظللتم تقولون: نعم من الممكن ان تكون زوجة الرسول زانية ولكنها لم تزنِ.

أتذكرون هذا أم لا. . . ؟ وما اخالكم انكم تنسون منه ولا حرفاً واحداً. . . ولكن لم أكن أدري. . . وإلى الآن لا ادري ايضاً. . . ما هو المستند الذي تستندون إليه في

قولكم بإمكانية زنى نساء الأنبياء بل ما هي الأسباب الخفية... التي تمنعكم عن الاعتراف بالحق.. مع العلم أنني في حينها سألتكم وقلت:

يا أستاذ: سألتكم بجبار السموات والأرض أي قول أحسن وأطيب وأسلم وأليق في حق الأنبياء وزوجات الأنبياء أقولي أم قولكم...؟

فأجبتم على الفور: بل قولك يا نسيب أطيب وأحسن وأليق بجناب الأنبياء وبأمهاتهم وزوجاتهم.

ناشدتك الله.. أقلت هذا ام لم تقله...؟ ثم قلت لكم: إذا الزمكم باعترافكم لأن ذلك هو الأفضل والواجب في حقهم هو الأفضل... أليس كذلك؟

قلتم: لا ألتزم ذلك، وإن كنت اعترف به.

فهل بقيتم إلى الآن... على هذا الكلام المتناقض.. أم رجعتم عنه..؟ أرجو ان تكونوا قد رجعتم عنه.. ولكن إلى الآن لم تثلجوا صدري بذلك!!! إذا لانتهت المشكلة، ولا تكلفنا كل هذا العناء.. ولكن مرحبا بكل عناء، إذا كان سبيلاً للحق ولاظهار الحق، ونصرةِ الحق.

أجل... إن نساء الأنبياء وأمهاتهم معصومات من الزنى، بعصمة كونية، لا شرعية لأنهن لم يختاروا هذه العصمة... بل ألزمن بها إلزاماً من رب العالمين وذلك الفضل من الله وانه يؤتي فضله لمن يشاء.

أما قولهم... «... إذ لا معصوم لا الأنبياء، وقد وضح شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الأمر توضيحاً تاماً في كتابه «منهاج السنة» فليرجع إليه من يشاء».

قلت: وبالله التوفيق:

إن شيخ الاسلام أحمد بن تيمية نور الله ضريحه قال في كتابه «منهاج السنة» راداً على الشيعة الذين يقولون بعصِمة أئمتهم الاثنى عشر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى محمد بن حسن العسكري عصمة كاملة تامة، كعصمة الأنبياء تماماً.

هذه العصمة التي لا تكون إلاَّ للأنبياء فقط، لا يحق لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتقدها... بأحدٍ كائناً من كان سوى الأنبياء عليهم أفضل الصلوات والتسليمات أما الرافضة فيعتقدونها في أئمتهم الاثني عشر، وهذا باطل ولا شك.

نحن لم نقل ان نساء الأنبياء معصومات من كل شيء، ومثلهنَّ مثل الأنبياء تماماً... هذا لم نقله ولن نقوله... بل قلنا أنهن معصومات من الفاحشة فقط، أما سوى ذلك فلم نبحث فيه، لا قليلاً ولا كثيراً وكيف نقول بالعصمة التامة لهن، وفيهن من كُنَّ مشركات كامرتي نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام، فالمعصوم الكامل لا يمكن أن يكون مشركاً ألبتة. ولذا فنحن لا نقول بعصمة نساء وأمهات الأنبياء، عصمة كاملة تامة حتى يشملنا رد ابن تيمية على الشيعة الإمامية واي دخل لنا برده...؟

ومع ذلك فقد رجعنا إلى رد ابن تيمية على الشيعة فما رأينا فيه ما يمسنا أبداً... بل على العكس تماماً فإنه وجدناه مؤيداً لنا وانه رحمه الله وغفر له، يقول بعصمة نساء الأنبياء من الزنى.

إن الشيعة استشهدوا بآية: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ على صحة زعمهم الباطل فرد عليهم رداً مفحمًا، وأثبت أن هذه الآية خاصةً في نساء النبي ﷺ ويدخل معهن: فاطمة، وعلي، والحسن والحسين لأن الرسول ﷺ استدعاهم ولفهم بكسائه وقال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً» ولما كان دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام مستجاباً فاستجاب الله دعاءه فشملتهم الآية، واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً إضافة الى نسائه عليه الصلاة والسلام اللاتي نزلت الآية بسببهن، فيتضح ان التطهير كان أولاً لنساء النبي ﷺ ثم أدخل فاطمة وعلي والحسن والحسين بدعاء رسول الله ﷺ، وإن إذهاب الرجس والتطهير ما كان إلا من الفاحشة فما معنى إقحام الأئمة الأثنى عشر في هذا التطهير...؟ مع العلم أنهم ليسوا المقصودين في الآية لا بقليل ولا بكثير؛ وانهم جميعاً ليسوا معصومين من شيء وشأنهم شأن سائر المؤمنين، ونشهد بأنهم ما علمنا عليهم إلا خيراً... وذلك فيما نعلم، والله أعلم بحقيقة الحال، ونرجو ان يكونوا هم على أحسن حال ورحمهم الله وغفر لهم.

فلما كانت دعوى الرافضة، بالعصمة الكاملة لكافة أئمتهم، نشط لهم شيخُ الاسلام أحمد بن تيمية، وردَّ عليهم بأن هذا الآية لا تفيد العصمة الكاملة من حيث هي... فضلاً عن اقحام الأئمة الاثنى عشر في العصمة الكاملة، بمعنى أن الذين نزلت من أجلهم لم يقصد منها العصمة الكاملة، فكيف بمن ليس لهم علاقة بها ألبتة...؟!!

قلت آنفاً: إننا وجدنا ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة» أنه لم يقل ما تقوّلتم عليه بل كان مؤيدا لنا ولم نرَ فيه لكم أي احتجاج تحتجون به من كلام شيخ الاسلام رحمه الله، قال ابن تيمية في ج ٤ ص ٢٢ من كتابه المذكور: «وسياق الآية يقتضي أنه يريد ليذهب عنهم الرجس الذي هو الخبث، كالفواحش، ويطهرهم تطهيرا من الفواحش» وقال ايضا في الصفحة ذاتها: «ونحن نعلم ان الله أذهب عن أولئك السادة الشرك والخبائث، والمقصود، نساء النبي، وفاطمة، وعلي، والحسن والحسين» فأي احتجاج لكم في كلام ابن تيمية...؟! إنما هو على العكس... مؤيد لما ذهبنا إليه من تطهيرهم من الفواحش، لا أنهم معصومون من كافة الوجوه. وهكذا فإن دعواكم سقطت وانهارت، لأنها كانت من اللحظة الأولى تافهة، ومتهافتة!!! فلماذا تتقوّلون على ابن تيمية ما لم يقلْ...؟!!! وإن كل ما ورد في كلام ابن تيمية من نفي العصمة، فكله كان متعلقاً بالعصمة التامة الكاملة، التي يدعيها الرافضة لأئمتهم، ونحن مع ابن تيمية في نفي العصمة الكاملة عن أي كان سوى الأنبياء، حتى الذين نزلت آية التطهير بشأنهن وسببهن وكذلك علي وفاطمة والحسن والحسين ليسوا معصومين العصمة التامة.

ولهذا يقول ابن تيمية ج ٤ ص ٢٣ من الكتاب نفسه:

«وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله والذي دعا به النبي ﷺ ليس هو العصمة بالاتفاق فإن أهل النسة عندهم لا معصوم إلا النبي» وهكذا ترون: أن العصمة التي ينفيها هي العصمة التامة والعصمة التامة في نظر أهل السنة لا تكون إلا لنبي، أما لسواهم فتكون جزئية وهي التطهير من الفاحش وهذا ما قلناه به منذ اللحظة الأولى من هذا الاختلاف.. فان عصمة نساء الأنبياء هي من الزنى فقط، وهي في حد ذاتها تبع لعصمة الأنبياء من الزنى. هذا قولنا وكم كررناه في هذه الرسالة في أكثر من

موضع . . . ! حتى لا يتقول علينا بأننا ندعي لنساء الأنبياء بالعصمة التامة . . . ومع ذلك فقد تقولوا علينا بذلك فقد ذكروا في جمع بالمدنية المنورة، أنني اقول بالعصمة التامة لنساء الأنبياء وقد ذكر لي ذلك بعض المدرسين المتعاقدين مع الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة قال: يقولون انك تقول بعصمة نساء الانبياء . . . قلت: العصمة الكاملة . . . ؟!!! قال نعم. قلت: لا . . . هذه للأنبياء لا يشاركهم فيها أحد . . اما الذي أقوله، هو: انهن معصومات من الزنى فقط لا لذواتهن إنما تبعاً لعصمة أزواجهن الأنبياء . . . قال: ونحن نقول بذلك، ولا نظن أحداً يخالفك بهذا . . . قلت: نعم، لقد خالفنا في هذا بعضهم . . ولكن حتى يجتذبوا اليهم المؤيدين قالوا: إننا نقول بالعصمة التامة، ونحن برآء من هذا القول، وعفا الله عمن يتقول علينا وسامحهم . . . إذا رجعوا عن قولهم بإمكانية زنى نساء الأنبياء أما إذا أصروا على عنادهم المجرد من الدليل، **فادعو الله تعالى ان يعاملهم بما يستحقون، إن التقوّل . . . ما كان في يوم من الأيام عدّة العلماء العاملين وبخاصة: السلفيين . . . !!!**

٥ ـ وأما قولهم واحتجاجهم بقوله تعالى:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ ١١ ـ التحريم.

قالوا: هذه الآية تكاد ان تكون حجة صريحة بعدم عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة لا سيما عند قوله تعالى: ﴿ . . . **فخانتاهما** . . .﴾ مما يثبت أن زوجتي نوح ولوط عليهما السلام خانتا زوجيهما في حياتهما الزوجية أي بمعنى زنتا . . ومن المعلوم أنهما أيضا مشركتان فإذا جاز أن تكونا مشركتين، فلماذا لا يجوز أن تكونا زانيتين، مع العلم أن الشرك أعظم من الزنى، بل واعظم الذنوب على الاطلاق، فإذا جاز ان تكونا مشركتين، فجواز ان تكونا زانيتين، من باب أولى.

الجواب: قال القرطبي في تفسيره المجلد الرابع الصفحة ٣٢٧٤/ هود:

وقوله: ﴿**فخانتاهما**﴾ يعني في الدين لا في الفراش، وذلك ان هذه كانت تخبر الناس انه مجنون، وذلك أنها قالت له: أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم. قالت: فمتى . . ؟

قال: إذا فار التنور. فخرجت تقول لقومها: يا قوم والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره الله إلاَّ إن يفور التنور، فهذه خيانتها. وخيانة الأخرى، انها كنت تدل على الاضياف.. على ما سيأتي إن شاء الله.

وقال ابن عبدالرزاق عن سليمان بن قبه، قال: سمعت ابن عباس سئل وهو الى جانب الكعبة عن قوله تعالى: ﴿**فخانتاهما**﴾ قال: أما إنه لم يكن بالزنى، ولكن هذه كانت تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف.

وقال ابن كثير في تفسيره ج ٧ التحريم الطبعة البيروتية:

«فخانتاهما» أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، لا صدَّقاهما في الرسالة فلم يُجد ذلك شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿**فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً**﴾ أي لكفرهما وقيل أي للمرأتين: ﴿**ادخلا النار مع الداخلين**﴾ وليس المراد بقوله تعالى: ﴿**فخانتاهما**﴾ في فاحشةٍ بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور.

وقال الشوكاني في تفسيره ج ٥ ص ٢٤٨:

«فخانتاهما» أي فوقعت منهما الخيانة لهما. قال عكرمة والضحاك: بالكفر وقيل كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط.

وقد أخرج عبدالرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حمد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس في قوله «فخانتاهما» قال ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون، واما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما، وأخرج ابن المنذر عنه قال: ما بغت امرأة نبي قط، وقد رواه ابن عساكر مرفوعاً. من (تفسير الشوكاني).

وقال الخازن في تفسيره ج ٤ / ص ٢٨٨:

«فخانتاهما» قال ابن عباس رضي الله عنه: «ما بغت امرأة نبي قط، وانما كانت خيانتهما، أنهما كانتا على غير دينهما...» وقيل إنهما أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان.

وقال النسفي . . . نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء أسرارهما . . .

قلـت: وبالله المستعان على ما يصفون:

يتضح للقارىء المسلم الكريم من أقوال المفسرين انهم مجمعون، على أن معنى «فخانتاهما» أي أن امرأتي نوح ولوط ما زنتا انما خانتاهما في الدين فكانتا تسّران النفاق وتظهران الإيمان وكانت الأولى تقول عن نوح أنه مجنون والأخرى امرأة لوط تدل قومها على ضيفه. وكل المفسرين يعتمدون قول ابن عباس بأنه: «ما زنت امرأة نبي قط» رواه عنه كثيرون موقوفاً عليه ورواه ابن عساكر مرفوعاً. وعلى كلا الحالين، فهو كلام صحيح وعليه أجمع الصحابة ونحن نتحدى مخالفينا أن يأتوا بتفسير معتبر، أو قول صحابي، ان خيانتهما كانتا بالزنى، وأين نذهب باجماع الصحابة على أنه ما زنت امرأة نبي قط لا سيما ان كان هذا الحديث مرفوعاً كما يقول ابن عساكر، فما يقول المخالفون . . . ؟ وهكذا ثبت بأن امرأتي نوح ولوط لم تكونا زانيتين قط . . . لأن الله عصم نساء أنبيائه من هذه الفاحشة الخبيثة، ولأن هذا الخبث لا يليق قطعا بزوجات الانبياء الطاهرات المطهرات المعصومات منه.

وهنا تجيء شبهة المخالفين، القائلة : بأنه ما دام الشرك لسن معصومات منه والشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، فمن باب أولى ألّا يكنّ معصومات من الزنى، لأن الشرك أشد وأعظم . . . ولسن معصومات منه.

قال الزمخشري في الكشاف: «فإن قلت: كيف جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط، ولم يجز أن تكون فاجرة . . . ؟! قلتُ: لأن الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم، ويستعطفوهم، فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم، ولم يكن الكفر عندهم مما ينفروا منه أما الكشحنة[1] فمن أعظم المنفرات». وكذلك الرازي والنفسي.

ويقول ابن كثير: «فإن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء».

وهكذا ترى يا أخي القارىء كيف تسقط حجة المخالفين، وتتهافت . . وكلما أوقدوا نارا لبدعتهم أطفأها الله بنور كتابه وسنة نبيه، وله الحمد.

---

(١) الكشحنة: الديانة.

لا أدري والله ما الذي يدفعهم على الإصرار والعناد في استحلالهم بدعتهم هذه؟ في الوقت الذي يرون الحجج الدامغة، والأدلة القاطعة تنصب انصباباً ضد باطلهم، فإذا هو زهوق ويرون تهافت حججهم التي زعموها وانها لا تنهض أمام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة، هذه العصمة التي كادت ان تكون بدهية في فهمها، وأهيلتها لنساء أشرف الخلق.

ولا أدري ما الذي يغيظهم من ثبوت العصمة...؟ عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة، ترى هو خجل من التراجع عن مخالفتهم؟ مع انهم يعلمون أن التراجع عن الباطل الى الحق فضيلة... ام هناك غرض..؟!!!

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل إدراك العلى غرضاً

نحن لا يهمنا أيا كان غرضهم... اما غرضنا نحن، فهو صون بيوت الأنبياء والمرسلين عن مثل هذه البدع الخبيثة، والقالات المنكرة التي يتحرجون من اضافتها الى هذه البيوت المقدسة، وليتهم يدلوننا على من سبقهم الى هذه البدعة التي شذوا بها عن اجماع الأمة!! وأي جنى سيجنونه عاجلاً أو اجلاً، غير فتح باب بدعة ما سبقهم إليها أحد؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهدانا الله وإياهم سواء السبيل وسلكنا وإياهم صراطاً مستقيما بفضله ومنه وكرمه. وصلى على محمد وعلى آل محمد والله الموفق للصواب.

أما حجتهم من الحديث:

١ ـ قوله ﷺ لعائشة قبل أن يعلم براءتها:

«ان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبي إليه» قالوا:

فدل هذا الحديث على إمكان وقوعها في الفاحشة!! ولولا ذلك لما قال لها: «وإن كنت ألممت فاستغفري الله» فثبت انها يمكن أن تلم بالذنب وشأنها شأن غيرها من النساء فإذا وقع منها الفعل تستغفر.

فالجواب على هذا من وجهين:

أولاً: كان لا يعلم علم اليقين ببراءها، فقال: «إن كنت ألممت فاستغفري الله

وتوبي إليه، ولم تكن بعد قد نزلت آية التطهير من سورة الأحزاب: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

فبعد أن نزلت هذه الآية الكريمة، يعلم منها.. أن نساءه جميعاً معصومات عن الرجس وعائشة منهن. وأهل البيت هم أزواجه اللائي نزلت بسببهن هذه الآية، ثم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، الذين لفهم الرسول ﷺ بكسائه ودعا: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً» فدخلوا بمفهوم الآية، بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيرا، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا. فلو افترض، ان تهمة اخرى حصلت.. واستهدفت احدى نساء النبي بمثل ما وقع لعائشة من الإفك، أترى كان رسول الله يقول لهذا المتهمة «إن كنت ألممت فاستغفري الله...؟».

الجواب: لا... لأنه علم بأن ازواجه اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... فلا يمكن أن يصدق فيهن واشٍ، أو متهمٌ، لعلمه بعصمتهن من اقتراف الفاحشة، لما سبق من تطهير الله لهن، فلا يقبل أي تهمةٍ بحقهن من هذا القبيل، وإن عدم علمه بعصمتهم قبل نزول الآية لا يضيره ﷺ في شيء قط... فإن جميع الأنبياء، لا يعلمون شيئا من الغيب إلَّا أن يعلمهم الله.

قالوا: يلزم من هذا.. أن تكون سورةُ الأحزاب التي ذكر فيها تطهير آل البيت نزلت بعد سورة النور التي ذكرت فيها قصة الإفك، بينما الواقع أن سورة الأحزاب نزلت قبل النور، ومن هنا يُعلم ان الرسول ﷺ كان يعلم آية التطهير، لما وقعت حادثة الإفك، ومع هذا.. قال: «إن كنت ألممت فاستغفري الله...» مما يدل على أن آية التطهير هذه، لا تدل على العصمة، ولو كانت تدل عليها.. لما قال لعائشة «إن كنت ألممت...» فسقطت حجتك: بأن رسول الله ما كان يدري بعصمتها المعنية.

قلت: إن قصة الإفك، وقعت لما كان الرسول والمؤمنون عائدين من غزوة بني المصطلق، وهذه الغزوة وقعت في شبعان سنة ٥ للهجرة، بينما وقعت غزوة الأحزاب في شوال ٥ منها.. فعلم من ذلك ان قصة الإفك التي وردت في سورة النور كانت

بلا شك.. قبل غزوة الأحزاب التي سميت سورةُ الأحزاب باسمها... ولا يعقل أن تسمى السورة بسم غزوة لم تقع بعد...! ومَنْ يعلم أنها ستقع؟! أو أنها ستسمى غزوةُ الأحزاب!!!؟ حتى تسمى السورة باسمها..؟!!

قال ابن تيمية: في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ص ٥١: (وكان الإفك في غزوة بني المصطلق قبل الخندق)، وقال ابن القيم في زاد المعاد ص ٢٧٨ ج/٢ (... وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة ٥ للهجرة) أما غزوة الخندق فيقول ابن القيم في الصفحة ٢٨٨: (وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين...) وعلى هذا يتضح أن حادثة الإفك كانت قبل نزول سورة الأحزاب. صحيح ان سورة الأحزاب، قد نزلت قبل النور، ولكن قصة الإفك وآيات براءة عائشة نزلت في غزوة بني المصطلق أثناء العودة منها، وحصل هذا.. قبل نزول سورة الأحزاب ولما نزلت سورة النور أمر الرسول ﷺ، أن توضع الآيات التي نزلت في براءة عائشة في سورة النور، وذلك كعادته ﷺ إذ يقول: ضعوا آية كذا في سورة كذا...

وعلى هذا... ثبت أن نزول آية التطهير كان متأخراً عن زمن افتراء قصة الإفك، فكان بدهياً، ان لا يعلم رسول الله ﷺ بعصمة نسائه من الزنى، إلا بعد نزول آية إذهاب الرجس عنهنَّ وتطهيرهنّ تطهيراً.

ذلك هو الواقع، وأظن هذا.. كافيا لاقتناعكم بأن شبهتكم التي اوردتموها لم تعد تصلح حجة لكم، وثبت لكم حقيقة، بان رسول الله ﷺ كان لا يعلم بعصمة نسائه من الفاحشة وخاصة عائشة... ولهذا قال لها: «ان كنت ألممت فاستغفري الله...» ولو كان يعلم بعصمتها لم يتأخر ولا لحظة عن تبرئتها فوراً. على أنني ما كنت أود لكم ان تتورطوا في ردّ قول ما... قبل ان تتأكدوا من ردّكم، أهو حقٌّ أم باطل...؟ مما يدفعني الأن إلى ان اهمس في آذانكم ناصحاً... تعلموا، ثم تكلموا... واعتمدوا ثم انتقدوا.

ثانياً: إن رسول الله ﷺ، يعلم من سيرة عائشة ام المؤمنين، التقى والورع والخشية، والخوف من الله تعالى، والمعرفة بحدوده، والطهر والعفاف، والبراءة والإخلاص، لا سيما

وهي التي دخلت بيته الكريم طفلة، وتربت في بيت النبوة، ولها المنزلة السامية في نفس رسول الله ﷺ، ورسول الله له في أعماقها أصدق معاني الحب والاخلاص، والتأسي الحسن، وكل هذا كان يعلمه رسول الله من عائشة... فهل من الممكن أن تخونه..؟ أو تحب أحداً غيره؟ أو تأنس بسواه، أو تفضل أحداً عليه وهي تلك المؤمنة الطاهرة، المفروض عليها حب رسول الله ﷺ، أكثر من نفسها، لأنه رسول الله ثم إنه بعلها، وهي تعلم مقامها عند الله، وعند رسوله والمؤمنين، فكيف تغلبت شهوتها كل هذه السجايا الكريمة، وهو ما علم عليها سوء قط، لا ظاهرا ولا باطناً، وهو يعلم ان الله لا يخزيه في أهله، فيدعها أن تقترف الفاحشة ولا يخبره!!؟ والله حافظ ولا شك شرف نبيه وشرف بيته الكريم، ثم زيادة في الثقة، سأل عنها فما كان من الجميع إلا التزكية الكاملة التامة كل هذا كان يعلمه رسول الله ﷺ، وهو علمٌ كاد أن يكون يقينياً، ولكن كان يودَّ.. إضافة إلى كل ذلك ان يطمئنه الوحي... ولكن الوحي انقطع عنه شهراً، فلا يستطيع ان يكل الأمر إلى علمه فقط، دون ان يتلقى من ربه، ما يشرح له صدره، أجل... في بحبوحة هذا الشهر.. الذي كاد ان يكون سنيناً، كان يتشوق الرسول الكريم والمؤمنون عامة، إلى خبر السماء... ولكنها حكمٌ، لا يعلمها إلا هو سبحانه كانت خافية على الناس.. ولا يجليها إلا العليم الحكيم الخبير.

نعم في بحبوحة هذا الشهر... على رغم ما كان يعلم ﷺ من سيرتها الطاهرة النقية... كان يدفعه شيء من اعماقه، للتأكد واليقين، فكاد يسألها ويقول: «إن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبي إليه» فبماذا تجيب هذه البريئة الطاهرة، النقية الصابرة؟ إنها أجابت: إن كنت برأت نفسي فلا تصدقونني... وإن قلت فعلت فأكون قد ظلمت نفسي... إنما أقول كما قال أبويوسف: فصبر جميل وبالله المستعان.

خرج رسول الله ﷺ الى الناس ووقف خطيباً:

«من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلَّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلَّا خيراً».

كل هذا يدل على ما في أعماق نفس رسول الله ﷺ، من التزكية لعائشة وأنها أعلى

وأجل من أن تتسفل الى مستوى ما تتهم به من الأفك والبهتان..

فماذا يعمل..؟ هل يحكم بعلمه المجرد عن الوحي...؟ وهو نبي رسول..؟ واذا حكم بعلمه ذاك.. فقد لا يكون مقبولاً عند أهل الإفك، فهو بالنسبة إليهم صاحب مصلحة، لأن القضية وإن كانت موجهة إلى عائشة إنما هو المقصود منها... أوليس زوجها..؟ ويناله من سمعتها القسط الوافر؟ فكان ظنه وظنها بالله حسناً، وهو الحكم العدل، وقوله هو القول الفصل، فلا بد أن ينزل الوحي، ويتقرر المصير، وينتصر الحق.

ولنصغ في الكلمة التالية إلى الامام ابن القيم رحمه الله، فكأن قلمه السيال يتكلم عنه ويصف لنا ما يختلج في نفسه، حيال هذا الموقف العظيم فاسمعه يا ايها القارىء المسلم الكريم، كيف يتكلم موضحاً ما جال في خاطره من الكلام الطيب.

قال رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد ج ٢ ص ٢٨٢:

«... فإن قيل: فما بال رسول الله ﷺ، توقف في أمرها، وسأل عنها، وبحث واستشار، وهو أعرف بالله بمنزلته عنده في ما يليق به؟ وهلاَّ قال: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ كما قال فضلاء الصحابة؟

الجواب: إن هذا من تمام الحكم الباهرة، التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواماً ويضع آخرين. ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.

اقتضى تمام الامتحان والابتلاء، أنه حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا يوحى إليه في ذلك بشيء؛ ليتم حكمته التي قدرها وقضاها، ويظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسول الله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المراده من الصديقة وأبيها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبيه والافتقار إلى الله والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق.

ولهذا وفّتْ لهذا المقام حقَّه لما قال لها أبوها: قومي إليه وقد أنزل الله عليها براءتها فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي.

وكان من حكمة حبس الوحي شهراً، أن القضية نضجت وتمخضت واستشرفت، قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته، والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسرّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء. فلو أطلع الله ورسوله على حقيقة الحال من أول وهلة... وأنزل الوحي على الفور بذلك، لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل واضعاف أضعافها.

وأيضاً فإن الله سبحانه، أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم، وكرامتهم عليه، وأنه يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والردَّ على أعدائه وذمَّهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده، المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بتيه.

وأيضاً: فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها، مع علمه ـ أو ظنه الظن المقارب للعلم ـ ببراءتها ولم يظن بها سوء قط، وحاشاه وحاشاها. ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا. وما كان يدخل على أهلي إلَّا معي» فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة اكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه، وحسن ظنه بربه، وثقته به، وفَّى مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله حقَّه، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسرَّ قلبه، وعظم قدره، وظهر لأمته احتفالُ ربّه به، واعتناؤه بشأنه»اهـ.

أجل.. جاء الوحي يجلجل من فوق سبع سموات، يعلن براءة الصديقة زوج خير الخلق، ورسول الحق، الأحمد المحمد المحمود، والرحمة المهداة للعالمين، جاء الوحي يزغرد بالبراءة والنزاهة والعصمة للصديقة بنت الصديق الصابرة الظافرة عليها وعلى أبيها الرحمة والرضوان. ثم جاءت العصمة تشمل نساءه جميعاً ﷺ: ﴿**انما يريد الله ليذهب**

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

إنني لأسأل كُلَّ من ينكر العصمة لنسائه عليه الصلاة والسلام في هذه الآية: أهي عامة للنساء جميعاً أم هي خاصة بنساء النبي ﷺ ورضي الله عنهن وارضاهن...؟

ستقولون بزعمكم بل هي خاصة بنساء النبي دون سائر نساء العصر فما دامت خاصة بهن عليهن الرضوان فأقول:

من المعلوم ان النساء غيرهن موكولات إلى اختيارهن فلو كُنَّ نساء النبي كغيرهن، لكان هذا الاختيار موضحاً لواقعهن المشابه لواقع سائر النساء، فلا حاجة لهذه الآية، لبيان كونهن كسائر النساء ويكون تكراراً غير مفيد يجل كلام الله تعالى عن ذلك، فلزم ان يكون واقع نساء النبي غير واقع باقي النساء إلزاماً لأن هذه الآية توجب ذلك وجوباً وذلك بقوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ الى قوله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ فهل الله أذهب الرجس وطهر غيرهن تطهيرا كما طهرهن، حتى يكون واقعهن مشابهاً لواقع غيرهن من النساء؟

الجواب: لا بل هذا التطهير خاص بهن وحدهن فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكون واقع نساء النبي واقعاً مشتركاً بين سائر النساء فإذا كان سائر النساء ممكن أن يأتين فاحشةً ما.. فإن نساءه ﷺ أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيراً، وإنني أقسم لأنكم تعلمون ذلك، ولكن من يجري في العروق مجرى الدم، هو الذي يهمس في آذانكم، أن لا تقرون بالحق لاعتباراتٍ أدخلها الشيطان عليكم اسأل الله تعالى أن يحرركم منها وان يقيكم من همزه ونفخه ونفثه إنه سميع مجيب الدعاء ونسأله تعالى ان يجنبنا هذه الهمزات والنفخات والنفثات، لا يجنبنا إياها إلا هو سبحانه، عليه توكلنا واليه ننيب وهو رب العرش العظيم.

٢ ـ قالوا:

إن نساء النبي لسن من أهل بيته، بدليل قوله ﷺ لزوجته أم سملة، حين سألته أن يضمها إلى كسائه، مع فاطمة وعلي والحسن والحسين، وقال: «ان هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنه وطهرهم تطهيراً» فلم يدخلها في الكساء وقال: «إنك إلى خير»

نفهم أنها ليست مقصودة في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ ولو كانت مشمولة هي وسائر الزوجات لأدخلها في الكساء معهم وقال: «هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ففهم أنها ليست من أهل البيت، وليست لها العصمة من الفاحشة، كما فهمتم أنتم ذلك من الآية بينما فهمنا نحن، ان الآية ليست خطاباً لهن فضلاً عن دلالتها على عصمتهم من الفاحشة، لأننا لا نعتقد ان هذه الآية فيها دلالة على العصمة من الفاحشة، إن كن هن المقصودات منها أو كان غيرهن هو المقصود. والارادة هنا شرعية لا كونية، على كلا الحالين.

قلت: سبق أن ذكرنا آنفاً في الصفحات رقم ٦٣ - ٦٥ الردَّ ولكي أوفر على القارىء المسلم الكريم عناء الرجوع إلى تلك الصفحات، وَدَدْتُ أن أنقل أهم ما جاء فيها من التفاسير لهذه الآية الكريمة:

مما لا شك فيه ولا ريب أن آية ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ نزلت خطاباً لنساء النبي ﷺ ورضي الله عنهن وأرضاهن وليس ادل على ذلك من خطابه تعالى لهنَّ ﴿**يا نساء النبي...**﴾.

ثم بعد نزول هذه الآية بتطهير نسائه ﷺ استحضر الرسول ﷺ فاطمةً وعلياً والحسن والحسين ولفهم في كسائه وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرم تطهيراً» وهو ولا شك حديث صحيح رواه مسلم عن عائشة، ورواه أحمد والترمذي عن أم سلمة.

قال ابن كثير في تفسيره ج ٥/ ص ٤٥٢ الطبعة البيروتية

... ثم الذي لا شك فيه من تدبر القرآن ان نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾.

وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وقال عكرمة: من شاء باهلته.

قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهن كنَّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح وإن أريد أنهن المراد دون غيرهن ففي هذا نظر... فانه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك.

وقال الشوكاني في فتح القدير ج ٤ ص ٢٧١

وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله. وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما. اهـ

قال القرطبي في تفسيره سورة الأحزاب:

﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ قيل يراد به نساء النبي ﷺ. وقيل: يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته ﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾ مصدر فيه معنى التوكيد. (ثم قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾) هذه الألفاظ تعطي أن أهل البيت نساؤه وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت، من هم؟

قال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة لا رجل معهن، وذهبوا إلى ان البيت أريد به مساكن النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن**﴾. وقالت فرقةٌ، منهم[1] الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين وخاصة، وفي هذا أحاديث عن النبي ﷺ، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم**﴾ بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان ﴿**عنكن ويطهركن**﴾ إلاَّ انه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك، أي امرأتك ونساؤك؛ فيقول:

(١) هم الشيعة.

هم بخير، قال الله تعالى: ﴿أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وانما قال: ﴿ويطهركم﴾ لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم، واذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر[1] فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام. والله أعلم. وقال القشيري: وقالت أم سلمة: أدْخلتُ رأسي في الكساء وقلت: أنا منهم يا رسول الله؟ قال «نعم».

ولا اعتبار بقول الكلبي واشباهه؛ فانه توجد له أشياء في هذا التفسير[2] ما لو كان في زمن السلف الصالح، لمنعوه من ذلك وحجروا عليه. فالآيات كلها من قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ - إلى قوله - ﴿ان الله كان لطيفاً خبيراً﴾ منسوقٌ بعضها على بعض، فكيف صار في الوسط كلاماً منفصلاً لغيرهن! وإنما هذا شيء جرى في الأخبار: أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبي ﷺ، إلى كساءٍ فلفها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج. فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة! وهي دعوة لهم خارجة من التزيل. اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره:

ولا شك أن الآية نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا... لأنهن سبب النزول، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً. اهـ

وقال الزمخشري في الكشاف ج٣ ص ٢٣٦

... وفي هذا دليل بيّن على ان نساء النبي ﷺ من أهل بيته... اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ج ٤ ص ٢٢:

ونحن نعلم أن الله أذهب عن أولئك السادة الشرك والخبائث والمقصود نساء النبي

(١) ولماذا نحمل الآية ما لا تحتمل... ليس في الأمر سوى أن الآية في أزواج النبي حتمًا، أما علي وفاطمة والحسن والحسين دخلوا فيها بدعاء النبي ﷺ لا سيما وأن القرطبي قال ذلك بعد أسطر...

(٢) إن تفسير الكلبي مشهور برواية الموضوعات والمكذوبات وقيل إنه شيعي...

وفاطمة وعلي والحسن والحسين اهـ.

قلـت: وهكذا... فقد وضح لك يا أخي القارىء المسلم الكريم من مراجعة التفسيرات آنفاً... أن المفسرين من الصحابة والتابعين، والأئمة الأعلام مجمعون، على أن المراد من الآية... هن نساء النبي ﷺ، ودخل فيها بدعائه ﷺ، كل من عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضـي الله عنهم أجمعين.

وإن قولهم ـ هداهم الله ـ أن نساء النبي لسن من اهله... !!! هذا كلام لا يستند إلا إلى الجهـل... إن لم نقـل الى الغرض... !!؟؟ لأن الآية صريحة واضحة، لا غموض فيها ألبتة. ولا تحتمل أي معنى آخر، ما دام الخطاب موجهاً بصراحة إلى نساء النبي: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ ـ إلى قوله ﴿**ويطهرهم تطهيراً**﴾ فلم يبق قول لأحد...؟ إلا اذا ارادوا أن ينكروا ضحى الشمس، ويقولوا: هذا ظلام دامس!!! إذاً فعلى الأبصار والبصائر العفاء.

اما قولهم واستدلالهم، بان الرسول ﷺ، لم يدخل ام سلمة رضـي الله عنها في كسـائه وقال لها: «انك إلى خير» مما يدل ـ في زعمهم ـ على أن نساء الأنبياء لسن المقصودات في الآية الكريمة... فهذا من الجهل أو الغرض... ـ أو من كليهما معاً ـ اللذين إذا دخلا نفساً ما، جعلاها ترى الحق باطلاً، والباطل حقاً، والنور ظلاماً والظلام نوراً، والهدى ضلالاً، والضلال هدى!!! والعياذ بالله من الخذلان وسوء الخاتمة.

ومما لا شك فيه، أن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، هي إحدى من عناهن الله تعالى في الآية الكريمة... ولما رأت رضـي الله عنها علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضـي الله عنهم في بيتها، ويدعو لهم الرسول ﷺ، أحبت أن تستزيد من الخير، فطلبت أن يضمها إلى كسائه، ولما كان يعلم رسول الله ﷺ أنها قد نالت الخير الذي خصها الله به وسائر زوجاته، ويرغب أن يصيب مثل هذا الخير فاطمة وعلياً والحسن والحسين، ويكونوا مشمولين أيضاً بحكم الآية التي خصت نساءه دون غيرهن لذلك لم يدخل أم سلمة في الكساء، وقال لها: «انك الى خير»، أي ان الخير الذي تبغين حصل لك مع سائـر أمهات المؤمنين، وذلك مفهوم من حديث أم سلمة قالت: (أدخلت رأسي في

الكساء، وقلت: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: «نعم») أي نعم من أهل البيت. ولو ان الآية كانت شاملة فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً مع نسائه، لما كان من داعٍ لدعائه بادخالهم في حكم الآية، ولكان دعاؤه لهم من تحصيل الحاصل... ولذلك لم يدخل أم سلمة في الكساء ولم يدع لها لأن ذلك من تحصيل الحاصل أيضاً. لذا فقد كان الدعاء لفاطمة وعلي والحسن والحسين... فلفهم بكسائه ولوى يده ﷺ الى السماء داعياً، «اللهم هؤلاء، أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فدخلوا بدعائه بحكم الآية. إذن فالآية الكريمة خاطبت نساءه ﷺ ونادتهن: ﴿**أهل البيت**﴾ فثبت أنهن المقصودات بالآية الكريمة لا سيما وان الآية نزلت بسببهن، فأيُّ دليل بقي للقائلين بأن نساء النبي لسن المقصودات من الآية...؟

ولدينا دليل من السنة المطهرة بأن نساءه ﷺ من أهل بيته نضعه أمام أبصارهم لعلهم يرجعون الى الحق الذي أنكروه.

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش.. ـ إلى ان قال: ـ فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته» قالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك يا رسول الله؟ بارك الله لك. فتقرَّى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما قال لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة».

فهل بقي عند المخالفين ـ هداهم الله ـ شك بأن نساءه من أهل بيته؟ أجل إن نساء النبي من اهل بيته، ونساء كل نبي كذلك من أهله أيضاً.

ألا يا للعجب من هؤلاء «الأطفال الكبار» أو «الرجال الصغار» من هذا الفهم...!!؟ سبحانك يا رب، تخلق من تشاء، وتهدي من تشاء، وتضل من تشاء، إنك على كل شيء قدير آمنت بكتابك الذي أنزلت، إنك قلت فيه وقولك الحق: ﴿**ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾ اللهم اهدهم الى الصراط المستقيم لا يهديهم إليه إلا أنت، واهدنا جميعاً صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

أما الإرادة في قوله تعالى: ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**

ويطهركم تطهيراً﴾ أهي إرادة شرعية أم ارادة كونية فهذا بحث قد فرغنا منه، وليرجعوا إليه قبل صفحات خلت. . . . إن كانوا يرغبون الحق واتباع الحق. ولا شك أن عصمة نساء الأنبياء كانت بإرادة كونية، إذ هنَّ وسائر أمهات وازواج الأنبياء في حكم واحد. لأن ما يجوز لنبي جاز لغيره. وما يستحيل عليه استحال على غيره لزوماً. فإذا كنَّ نساء رسول الله ﷺ معصوماتٍ من الفاحشة لأن أزواجهن معصومون من أن يكونوا أزواج بغايا بعصمة كونية، فلزم أن يكنَّ معصومات من الفاحشة بعصمة كونية، لأن عصمتهم من ذلك تبعاً لعصمة أزواجهن الكونية لا تنفك عنها أبداً لا قدراً ولا شرعاً.

اما حديث المجبوب!!

فقد روى مسلم في صحيحه «باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة» «أن رجلاً كان يُتهم بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلّي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركيٍ يتبرد فيها، فقال له علّي أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب فكف علي عنه ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه لمجبوب ما له ذكر». رواه عن أنس.

استدل المخالفون بهذا الحديث، على امكان وقوع الفاحشة من نساء الأنبياء. . .؟!!: وليت شعري. . أي دليل لهم على صحة مدعاهم. . .؟ وهل يفهم من هذا الحديث شيء يساعدهم. . على ما يدعون، في قليل او كثير. . .؟ أم هو على العكس تماماً ويفهم منه استحالة الوقوع؟ لأن الرجل المتهم بريء لأنه مجبوب ليس له ذكر، فكفَّ عليٌّ عن قتله من أجل ذلك.

إذاً ثبت من هذا الحديث عدم وقوع الفعل، فكيف يجيزون لأنفسهم اتخاذ هذا الحديث حجة لهم على ما يدعون. . .!!!؟ هداهم الله.

على أن شيئاً واضحاً من الحديث هو أن مسلمًا رحمه الله عقد له باباً سماه (باب برآة حرم النبي ﷺ من الريبة) فمن يعمل الفكر في هذا العنوان يفهم ان الامام مسلمًا رحمه الله يبري حرم الرسول عليه الصلاة والسلام لا من الوقوع الفعلي فحسب. . . بل ومن الريبة في سيرتها، ويأتي بهذا الحديث دليلاً على براءتها من الريبة، فضلاً عن

الوقوع بالفعل والعياذ بالله من الظن بشيء من هذا، في حرم رسول الله ﷺ.

وهذه صفعة اخرى للمنافقين الذي يحبون أن تشيع الفاحشة عن بيت رسول الله ﷺ، لا من أجل حرم رسول الله عليه الصلاة والسلام، إنما المقصود هو عليه الصلاة والسلام، لأن الزوج هو الهدف.

ولعل سائلاً يسأل كيف يمكن لرسول الله ﷺ أن يأمر بقتله قبل أن يتحقق من الأمر، فلو حقق لوجده مجبوباً فتحسم القضية من أساسها فالجواب: لا شك أن القضية قد قُضي فيها، وعلم أن التهمة الموجهة الى بيت رسول الله ﷺ باطلة نهائياً... وهذا هو المقصود من معالجتنا لها، إذ المهم أولاً... ان نبرىء الرسول الأعظم ونبرىء بيته الكريم الطاهر المطهر وهذا قد حصل والحمد لله.

ثانياً: إن النبي عليه الصلاة والسلام، لما أمر علياً بقتله، لم يقصد إقامة حد الزنى فيه، لأن حد الزنى ليس ضربة بالسيف إنما هو جلد او رجم، وهذا مما يدل على ان مقصد الرسول ليس منصرفاً إلى اقامة الحد عليه... وان كان يفهم من سياق رواية أنس ان الأمر بالقتل من اجل التهمة ولكن بعد أن تبين ان الرجل مجبوب، وظهرت بذلك براءته مما نسب إليه.. لزم ان ينصرف الفهم، إلى امر آخر يستوجب القتل؛ طالما الأمر الأول بُتَّ فيه نهائياً. إذ لو كان الأمر المظنون به هو المقصود... لكان النبي ﷺ أمر علياً ان يقتل الاثنين أعني المظنون به والمظنون بها؛ فلما لم يأمر بقتلها أيضاً علم أن الأمر مقصود به غير ذلك. كما أن الظن لا يفيد اليقين. ولعل مقصد النبي ﷺ من أمره علياً بقتل الرجل... هو اظهار البراءة للناس بأن القضية منفيةً من اساسها، ليعلم لديهم ان الرجل مجبوب ويكشف للناس حاله، فتخرس ألسنة السوء، وتتراجع منكفئةً عن الباطل الذي يروجونه عن بيت رسول الله ﷺ، وهذا مقصد عظيم حتى تنتفي القضية، وتبرىء نفسها بنفسها. واسلوب مسكت في الرد على مزاعم المنافقين.

وإلّا.. فحاشا رسول الله ﷺ من أن يأمر بقتل شخص لم تتحقق بعد إدانته، فان رسول الله ﷺ أعلى وأجل وأبعد عن أن يدفعه هواه المجرد الى قتل نفس برئية حرم الله قتلها إلا بالحق. وهذا امر بدهي بالنسبة إلى السجايا المثالية الكاملة والصفات النبوية التامة، التي ما ينطق صاحبها عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهذا يشبه حكم سليمان عليه السلام لما ادعت امرأتان بأمومتها لوليد واحد!! وكل تدعي ان الوليد وليدها! فابتكر عليه السلام مخرجا للأمر يدل على كياسةٍ وحسن تدبير: فامر الجلاد ان يشق الطفل شقين ويعطي كل واحدة منهما شقاً.. ! فصاحت امه الحقيقة: لا لا.. لا تفعل.. إنه وليدها فأبقه على حياته واعطه اياها...

وهكذا ترى ان الأم الحقيقية فضلت: ان تأخذ وليدها المرأة الثانية على قتله نهائياً فيبقى حياً يرزق ويكفيها ذلك... باعتبار أنها ضمنت بقاء حياته، وسلامته من القتل...

بهذه الحيلة الكيسة، التي تدل على حكمة ودراية من سليمان عليه السلام، استطاع ان يعلم من هي الأمُّ الحقيقية لهذا الوليد، ولقد علم فأمر ان يعطى الوليد لها.. !!!

إنها النبوة الكاملة التامة تظهر جلية واضحة بهذا الأسلوب... فسليمان لما أمر بشق الوليد شقتين ليس مراده ان يقتل الطفل انما ليعلم أيَّ الامرأتين هي الأم الحقيقية له...

وكذلك لما أمر رسول الله ﷺ علياً أن يقتل الرجل، ما كان مراده القتل... إنما ليظهر الرجل عريانا، ويعلم أنه مجبوب... فتثبت براءة حرمه، لكل ذي عينين.. أمَّا أصحابُ الأغراض المشبوهة، نسأل الله ان يهديهم سواء السبيل.

قالوا هداهم الله ـ: إن قولنا بان نساء الأنبياء وامهاتهم غير معصومات من الزنى ويمكن ان يقعن فيه، كسائر النساء العاديات.. ومع ذلك نشهد انهن ما زنين قط ـ هو ولا شك ـ رفع عظيم لمقامهن، باعتبار أنهن ما عففن إلا مجاهدة منهن لأنفسهن، ومغالبةً لها، وكبحاً لجماحها، وبالمثابرة على ضبطها، والصبر عن الشهوات ـ رغم الدوافع ـ خوفاً من الله تعالى، فكان اقناعهن عن جهاد قوي مستمر... فضبطن انفسهن وعشن طاهرات ومتن كذلك.

أما قولكم أنتم بعصمتهن من الفاحشة عصمة من الله تعالى وربطاً منه على قلوبهن... فلم يبق فيهن من دواع للفاحشة، وكان عدم وقوع الفعل منهن متأت من عدم القدرة على الفعل، لا من المجاهدة والمصابرة... فأي الحالين أعظم درجة، وأحق بالتقدير؟... ولا شك ان قولنا ظاهر الرجحان...

قلـت: أرأيت يا أخي المسلم، كيف يدخل الشيطان، ويجري في عروق ابن آدم مجرى الدم..؟ أرأيت يا اخي كيف يستولي ابليس اللعين على العقول فتعمى الأبصار والبصائر..؟!! أرأيت يا اخي كيف يولد الشيطان في النفوس التي استحوذ عليها قدراً كبيراً من الغرور الفتاك، ويسول لها الحق باطلاً... والباطل حقاً... حتى تظن الحسن ليس حسناً والقبيح الشنيع غاية في الحسن..؟!! اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وثبتنا على صراطك المستقيم.

هل أمعنت يا أخي النـظر في مقالتهم هذه..؟ وهل ادركت مدى ما اجتالتهم الشياطين...؟ والى اي مدى سحيق هوت بهم... حتى أوصلتهم الى احط دركات في التفكير...؟ اللهم انا نعوذ بك ان نَضِلَّ أو نُضِلَّ، وثبتنا بالقول الثابت، إنك على كل شيء قدير.

أيقول مقالتهم هذه عاقل فضلاً عن مسلم..؟! كيف يكون غير المعصوم أعلا درجة من المعصوم...؟ إذن فنحن الاشخاص العاديين، إذا جاهدنا انفسنا، ومنعناها عن المعـاصي... نكون أعلا درجة عند الله واسمى مقاماً من المعصومين!!!؟ ومن المعصومون؟ أليسوا الأنبياء والمرسلين الذين عصمهم الله تعالى عن المعاصي والذنوب، فلم يقـترفوا ما نهوا عنه قط، وخاصة في الرسالات التي بعثوا بها، ولا شك ان الله عصمهم منها جميعاً فلا يليق بنبي أن يعصى الله فهل الذين هم اشخاص عاديون أعظم مرتبة واعلا مقاماً من الأنبياء؟ لأنهم جاهدوا أنفسهم! وكبحوا شهواتهم! ولم يذنبوا خوفاً من الله تعالى مع وجود الدواعي في نفوسهم والدوافع؟ أما الانبياء فهم معصومون اي مجبورن على فعل الخير ولا يمكنهم ان يفعلوا شراً، لأن الله نزههم منه، فلا مجاهدة لهم، ولا مصابرة، ولا كبح شهوات، ولا ما إلى ذلك!! إذا فمعنى هذا... أننا نحن خير منهم واعظم... مكانة واجراً وثواباً. نعم يلزمهم هذا حتمًا لأنهم هم الذين قالوا هذا القول... وهل يقوله من عنده مسكةٌ من عقلٍ فضلاً عن انه مسلم وداعيةٌ إلى الإسلام..!؟

نعم انه الغرور القاتل الفاتك... الذي وسوس به الشيطان الى نفوسهم، فجعلها هكذا... عُريانةً من كل ما يتحلّى الإنسان به من عقل ودين... ومن قال هذه المقالة

من الأولين والآخرين!!؟ والله ان الانسان ليحار في امر هؤلاء المأفونين... وفيما وصلوا اليه من تدنٍ في كل شيء، وفيما عطلوه من نعمة العقل، نعم اضاعوها فاضاعوا معها كل ما يعتز به الانسان من فضائل... هكذا الغرور والحمق، والغرض... وانها كافية لتدفع اصحابها للوقوع في الشرك الذي نصبه الشيطان، ليستدرجهم بغيه إلى هذا الدرك الأسفل من الفهم... اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، اللهم جنبنا مزالق الزلل، ومواطن الخطل ومن همزات الشياطين، واعوذ بك رب ان يحضرون.

قَبُولٌ، فَنُكُول!!؟

يحسن إثبات نقاشٍ حصل بيننا سابقاً أقروا فيه بصحة ما نذهب إليه ثم نكلوا عنه وها هو ذا:

قلت: إنكم تقولون بإمكانية وقوع أمهات وأزواج الأنبياء في الزنى.

قالوا: نعم، ممكن ذلك، لأن شأنهن شأن سائر النساء تماماً، فيمكن وقوعهن، وممكن ألاّ يقعن.

قلت: وهل وقع منهن ذلك؟

قالوا: لا.. لم يقع منهن ذلك قط.

قلت: أراكم تجزمون...؟!!

قالوا: نعم نجزم بأنهن ما زنين قط ولكن كان ممكناً ذلك منهن.

قلت: وهل جزمكم هذا... يقينيٌّ، ومطمئنون إليه تماما.

قالوا: نعم.. جازمون مطمئنون إلى أنه لم تقع منهن الفاحشة، ولكن كان ممكنا أن تقع منهن!

قلت: هذا تناقض ظاهر..!!!

قالوا: وما وجه هذا التناقض...؟

قلت: ليس تناقضكم من وجه واحد.. بل من وجوه:

الوجه الأول:

لو قلتم: قد يقع منهن ذلك... وقد لا يقع، من غير استعمالكم صيغة الجزم اليقيني... المستند إلى الاطمئنان القلبي، لكان هذا توافقاً مع ما ذهبتم إليه من الامكانية.. اما إنكم جزمتم يقيناً واطمئناناً، بعدم وقوعهن طوال حياتهن في الفاحشة... ومُتْنَ وهنَّ طاهرات منه، مع اعتقادكم بإمكانية وقوع ذلك... فهذا هو تناقض، لأن وجود امكانية الوقوع بالفعل، لا يعدم احتمال الوقوع فيه وما دام الوقوع محتملاً، كيف تجزمون بعدم الوقوع ألبتة بلا دليل...؟ وما يدريكم انه لم يقع...؟

الوجه الثاني:

الجزم اليقيني الاطمئناني بعدم وقوع الفعل، يلزم من يشهد هذه الشهادة... أن يكون محيطاً إحاطة تامة عامة، بظاهر حياتهن وباطنها، سرها وعلانتيها، وهذه الاحاطة مستحيل على كل مخلوق إدراكها استحالة تامة... وهذا مستحيل إداركه - حتى - بنسائكم اللائي في حجوركم، وتحت رعايتكم، وسمعكم وبصركم، وهن على مقربة منكم، وضمن فراشكم، لأن الاحاطة التامة، يلزمكم ان لا تأخذكم سنة ولا نوم في المراقبة والحراسة وهذا لله تعالى وحده، أو أنه سبحانه أخبركم بذلك...؟

فإذا كان هذا شأنكم من نسائكم اللائي في حجوركم... فكيف بمن لسن في بيوتكم ولسن في زمنكم، فلم تروهن في ظاهرهن فضلاً عن باطنهن، وبينكم وبينهن مئات الألوف من السنين، فكيف تجزمون قاطعين مطمئنين إلى أنهم لم يقعن بالفعل قط. مع اعتقادكم بأن هذا النوع من الناس، ممكن وقوعهن فيه.. لانكم تساوونهن بسائر النساء.. فإن انتم سئلتم عن أية امرأة سواهن، لأجبتم بلا تردد: بأنكم فيما تعلمون أنها طاهرة... وقد تكون في الواقع غير ذلك، ولا تنكرون أنها قد تكون كذلك، وتكلون باطن الأمر إلى الله لأنه خافٍ على كل مخلوق... فلماذا جزمتم مطمئنين بعدم وقوع نساء الأنبياء طوال حياتهن... وتحفظتم بالنسبة لسائر النساء، مع انكم تساوونهن بهن، وتقولون أن شأن نساء الأنبياء، كشأن سائر نساء البشر من حيث الإمكانية واحتمال الوقوع...؟ ألا ترون هذا تناقضاً... أجل هو التناقض، لأنكم تحملون وتعتقدون بفكرتين متناقضتين في آن واحد، وهذا هو التناقض.

الوجه الثالث:

نحن كما تعلمون... نقول: بعصمة نساء الأنبياء عموماً من الفاحشة، لاستحالة ان يكون النبي زوجاً لزانية، لأنه معصوم، فانتفى نفياً باتاً وقوع الزنى من زوجة النبي، أي انعصمت بعصمته، فكانت معصومة من وقوعها بالفاحشة... أما أنتم كما أقررتم، تقولون بإمكانية وقوعها منهن، ولكن ما وقعن فعلاً... فنحن اذاً متفقون معكم أنهن ما وقعن... انما أنتم تقولون: ولكن كان ممكناً وقوعهن... ونحن نقول لا يمكن وقوعهن ألبتة لعصمة النبي من أن يكون زوج زانية ولما تقدم من أدلة...

إنما نريد هاهنا أن نسألكم:

إنكم تقولون بأنهن ما زنين قط... ومِتْنَ وهنَّ طاهرات أليس كذلك؟

قالوا: نعم... ونحن على ما نحن عليه من الاعتقاد من هذه الناحية...

قلت: إن خروجهن من الدنيا وهن طاهرات أهذا شيء علمه الله أم لا؟!!

قالوا: نعم... إنه بكل شيء عليم.

قلت: علمه تعالى هذا... هو شيء حدث بعد وفاتهن أم أنه من قبل؟

قالوا: علم الله صفة من صفاته... بل عَلِمَ بذلك قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام.

قلت: حسن... وهل قدر ذلك عليهن؟

قالوا: نعم.

قلت: وهل كتبه عليهن في أم الكتاب...؟

قالوا: نعم.. وما من شيء كان وسيكون إلا هو في أم الكتاب.

قلت: هل من كان في أم الكتاب مكتوب عليه أنه لن يزني فهل يمكن ان يزني في الدنيا...؟

قالوا: لا لا يمكن....

قلت: إذا كان هذا عاما في الخلق جميعا، فكون ذلك مقدراً ومكتوباً على نساء الأنبياء... فمن باب أولى... واذا قدر الله على نساء الأنبياء، أنهن لن يزنين، فهل من الممكن أن يقع منهن هذا الفعل؟

قالوا: لا يمكن.

قلت: الحمد لله وهذا هو المطلوب... وهو الحق. فاذا كان هذا هو الحق... أفلا يكون سواه هو الباطل؟

قالوا: نعم.

قلت: فاذا كنتم تعتقدون شيئاً... وفي نفس الوقت تعتقدون عكسه، أفلا يكون هذا تناقضاً...؟

قالوا: نعم، وقد اقتنعنا تماما بصحة وجهة نظرك.

قلت: يا إخوان: أخشى ان لا تكون هذا القناعة صادرة عن القلب إنما هي موافقة فحسب... من اجل العودة الى الصفاء، فلا صفاء مع وجود أقل كدر ينقضه...

قالوا: لا والله، لم تكن قناعتنا مجرد موافقة سطحية، بل هي من أعماقنا، وقد اتضح لنا الأمر تماماً، واطمأنت قلوبنا إلى أنهن عليهن الرضوان والرحمة، لا يمكن قط ان يقترفن الفاحشة، ولا يجوز بحقهن ذلك.

قلت: والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

وكان حاضراً هذا النقاش كل من الأخ الكريم الشيخ نافع الشامي، والشيخ صبحي المرتيني كان هذ الاجتماع في داره فقد عز عليه ان يحصل هذا الجفاء في صفوف اخوان الدعوة!!! فاستدعى محمد ناصر ترمانيني - بدون علمي منتهزاً فرصة وجود الأستاذ الشيخ نافع الشامي ليكون حكمًا مصلحاً، ودار النقاش مع الترمانيني على الشكل المتقدم الذكر، وادعى انه اقتنع بصحة عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة ورجع عن اقواله السابقة التي كان يقولها بجواز وقوع ذلك منهن، وإلّا لكانت عصمة الأنبياء ناقصة أو منتقضة.

واتفقنا جميعاً على صيغة الاتفاق وأنشأتها أنا بنفسي كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آل محمد

[لما كان حال أمهات ونساء الأنبياء حال طهر وبراءة من الزنى تماماً ومِتْنَ على ذلك... دلَّ على أن هذا الحال كان موافقاً لما كتب الله عليهن في اللوح المحفوظ. ومن كانت كتابته في اللوح المحفوظ انه لن يزني، ومات على ذلك، فُهِمَ ان كتابة اللوح المحفوظ الموافق لقدر الله تعالى، تقضي بعدم امكانية زناهن حال حياتهن إلى ان فارقنها وهنَّ على ذلك.

ومن ذلك نعتقد اعتقاداً جازماً أن نساء وأمهات الأنبياء عموماً ما قدر الله عليهن الزنى، ومن لم يقدر عليه ذلك، فمستحيل عليه ان تقع منه الفاحشة، ولهذا... فإن أمهات ونساء الأنبياء لا يمكن قطعاً أن تقع منهن الفاحشة أبداً. على ذلك نوقع].

محمد نسيب الرفاعي	محمد صبحي المرتيني	محمد نافع الشامي	محمد ناصر ترمانيني
التوقيع	التوقيع	التوقيع	التوقيع

شكرنا جميعاً للأخ الشيخ صبحي مرتيني صنيعه، وخرجت أنا والأخ الترمانيني من دار المرتيني وأنا أشد ما اكون حباً له... حتى واكثر من ذي قبل. ثم التفت إليه مستوثقاً وقلت: يا أخ محمد، أعود فأقول لك: إذا لم تكن مطمئناً قلبياً لما اتفقنا عليه، ومخلصاً تماماً في رجوعك عن قولك السابق، فلا شك ان الفرقة ستعود إلى اشد من ذي قبل، لأنني من غير الممكن.... أن أتعاون، أو أعمل مع أي إنسان يقول بإمكان زنى نساء الأنبياء، والعياذ بالله تعالى.

قال: إنني والله مخلص من أعماقي لما اتفقنا عليه، وان الذي زادني يقيناً بصحة وجهة نظرك: هو أنه لو كان ممكناً وقوع الفاحشة منهن، لأخبر الله نبيه بواسطة جبريل، إذا همت إحداهن بفعل ذلك، وإنه تعالى لا يدع امرأة نبي ما... أن تقع في الفاحشة.

قلـت: والله إنك الآن.. لأحب أخ لي في الله. وإنني لما أحببتك ما أحببتك إلا في الله، ولما أبغضتك، ما أبغضتك إلا في الله، ولما زالت أسباب الجفوة برجوعك إلى الحق... عاد حبي لك إلى أصله... حباً في الله.

وسرنا في الطريق... وهو يعتذر ويقول: لعن الله الشيطان الذي فرق بيننا... وإن لك علي حقوقاً كذا وكذا... قلت: لا فضل إلا لله وحده وهكذا سرنا... ونحن في غمرة من الأخوة والحبة والفرح بالوفاق... ثم جاء في اليوم التالي الى داري... فتـلاقينـا.. والبشر يطفـح من محيينا وقال: لقد أيقظتُ أمي فور وصولي إلى البيت وبشرتها... بالوفاق الذي حصل، فهبت فرحةً... وحمدتِ الله تعالى على ذلك. وبينما نحن كذلك.. إذ فاجأنا أحد الأخوان من النيرب بزيارته فوجده عندي ففرح أيضاً بهذا التلاقي، وبما أفاء الله علينا من نعمة الوفاق والتآخي.

أجل عادت المياه إلى مجاريها... وعادت المحبة في الله... وانتهت الجفوة وذهبت الى غير رجعة إن شاء الله، وأرسلنا إلى الأخ الكبير الاستاذ الألباني بالنتيجة السارة.. وبصورة عن الاتفاق، وذلك بواسطة أحد الأخوان الذاهبين الى دمشق... ولكن...!!!؟

ولكن حصل النكول الذي كنت أتخوف منه بعد أيام.. **وذلك لأن الأخ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لم يقتنع!!!؟** فنتج عن ذلك ارتداد الأخ الترمانيني ونكوله عن الاتفاق... فور ما علم ان الشيخ الألباني لم يقتنع... ولا أدري إلى اين ذهب ذلك الاطمئنان، والقناعة بما أبديت له من الحجج!!؟ ولا أدري إلى اين ذهب القسم الذي أقسم على قناعته بصحة وجهة نظري، وان قناعته هذه لم تكن إلا من صميمه..!! كل ذلك قد تلاشى!!! لماذا...؟ **لأن الشيخ الألباني لم يقتنع...!!!**

وهكـذا... فقـد أطلَّت «الإمَّعيَّة...» برأسها، فتبخرت من الرؤوس قاعدةُ: «اعرف الرجال الحق، لا الحق بالرجال... واعرف الحق تعرف أهله».

إن دعـوة الحق... ما أسسناها، إلا للحؤول دون التمسك بأقوال الرجال بلا دليل... وإن من الإساءة إلى الدعوة... والتنكر إلى ما جاءت به من الحق.. اتباع أقـوال الرجال بلا دليل من الكتاب والسنة!! وكنا جميعاً، ننعي على الذين يتخذون رؤوساءهم أربابا من دون الله ـ عمداً أو عفواً ـ يطيعونهم في غير ما أنزل الله...!!!

فإذا كنا . . سنعيد نحن سيرتهم الأولى . . . فعلى الدعوة السلام . .

إن الدعوة التي شقت طريقها الى الاصلاح . . . فقطعت بذلك شوطاً بعيداً الى الهدف . . . رغم العقبات والعثرات، وانتهجت خطوات موفقة في هذا السبيل . . . لا تنكر لمبادئها، لأول امتحان تمتحنون به، في اوضح قواعد الدعوة.

أجل . . . لقد امتحن الله قلوب انصار دعوته الحقة . . . - وهو أعلم بهم - ليميز الخبيث من الطيب، وليوضح لأنفسهم من أنفسهم . . . هل هم على الحق سائرون، وعلى الدليل من الكتاب والسنة صامدون . . . ؟ ام مع آراء الرجال متقلبون . . . !!!؟؟

ألا إن عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . . . فلقد سقط في الاختبار من سقط . . . !!! وقد أفلح من أفلح . . . **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**.

نقولها صريحة مدوية: نحن سائرون وراء الحق . . . لا وراء الرجال . . ! ولو أحببناه لمجرد الهوى . . . إذا لوجدنا بين الرجال . . . خيرا من «رجلنا».

ولكننا أحببناه في الله، أحببناه في الحق، أحببناه دليلاً إلى الدليل، ورائداً للخير، بالحجة والبرهان. إننا لم نتعرف عليه أخاً كبيراً . . . ولم نرض به مرشداً خبيراً . . إلّا على هذا الأساس الركين من الحق، والعماد الثابت من الصدق. ولكننا . . . عندما نترك الدليل، تعصباً لرأيه المجرد . . !؟ **نكون قد عدنا الى الضلال وتركنا الحق إلى الباطل عن علم** . . . نعم، ولئن فعلنا، نكون قد رضينا بكل ذلك . . وتنكبنا عن الصواب، فاتخذنا آراء الرجال عن انفاس الرسول بديلاً، وجعلنا الرجال حجة ودليلاً، وأذعانا للهوى . . . واتبعنا السبل . . . وهجرنا الصراط المستقيم إذا فيا ضيعة الأمل . . ! ويا خيبة الرجاء، ويا خسارة العمل، ويا سوء المنقلب في العقل والدين.

ألا إن العيون التي تفتحت على النور . . . محال ان تألف الظلمة . . . وحلكة الليل، وتتقهقر مخذولة الى السراديب العفنة المدلهمة . . . لتعيش عيشة الخفافيش هروباً من النور والسناء والضياء . . !؟

ألا إن من ذاق حلاوة العسل . . . لن يعود إلى استمراء مرارة الحنظل قدرت

وقتئذ.. أنه يمكن أن خطر ببال أحد منهم خاطر... فقال:

إذا كان كل من لم يقدّر الله عليه الزنى، ولا يكتبه عليه، لا يمكن أن يزني... فهذا قدر مشترك... يشمل النساء عامةً... فلعل امرأة عادية، ما يقدر الله عليها الزنى... فلا يمكن ان تزني في حياتها أبداً... فتكون هي وزوجات الأنبياء سواء... ولا فرق بينهما فلماذا تسمي هذه المرأة معصومة أيضاً؟...

الجواب: هذه حجة لنا... ولا ترد علينا ألبتة.. فإذا قدر الله على امرأة عادية أن لا تزني، ففي اعتقادكم انها لا يمكن ان تزني في حياتها قط... وهذا صحيح.. فمن قدر الله عليه شيئاً، لا بد ان يقع له تماما، فاننا ندعوكم على الأقل أن تعتبروا أزواج الأنبياء والرسل... كتلك الامرأة العادية، فهل يمكن أن تزني...؟ الجواب: لا، إذاً فعدم زنى نساء الأنبياء من باب أولى واحرى فلماذ تقولون عن أزواج الأنبياء أنهن يمكن ان يقعن في الفاحشة...؟ أمّا أننا لا نسمي المرأة العادية التي ما قدر الله عليها الزنى معصومة من الزنى... فلأنها ليست زوج نبي معصوم فلو كانت... لكانت معصومة بعصمة زوجها الذي عصمه الله من أن يكون زوج زانية، فلن تكون زوجته اذاً... زانية أبداً... لا قبل زواجه منها، ولا في اثنائه، ولا بعده، لأن الله قدَّر عصمتها.

ولكن المرأة العادية مخيرة، وعلم الله منها منذ الأمر الأول.. أنها ستختار العفة فقدّرها عليها وكتبها... وقد علم من غيرها انها ستختار الفجور فقدّره عليها وكتبه، فهذه عندها قدرة على العفة والفجور، وتلك كذلك...

اما زوجة الرسول فانها ليست مختارة في هذه القضية، بل قدَّر الله عليها العصمة من الزنى... كما قدَّر على زوجها النبي العصمة من الزنى، فلا يليق بها ان تكون إلا مثله من هذه الناحية: ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات...**﴾ فما الذي يزعجكم من ذلك...؟ وتحاولون المستحيل لجعل نساء الأنبياء كسائر النساء... والله يقول: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء...**﴾؟ فإذا اراد الله ان يجعل من عباده امرأة معصومة واخرى غير ذلك... فما الذي يغيظكم من هذه الإرادة..؟!!

﴿قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٧٣) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٧٤)﴾ آل عمران.

القول بإمكانية زنى نساء الأنبياء... مسٌّ لشهادة أن محمداً رسول الله:

عصمة الأنبياء... شيء متفق عليه بين المسلمين... وبخاصة عند أهل السنّة والجماعة... وما إخال - فيما أعلم - فرقةً تقول بعدم عصمتهم إنما الخلاف: هل العصمة قبل النبوة... وبعدها...؟ أم بعدها فقط...؟ القول بعصمة الأنبياء عقيدة، لا تنفك عن شهادة: ان محمداً رسول الله وإذا انتفت العصمة عنهم، فكأنما النافي مسٌّ الشهادة بأن محمداً رسول الله... لأن الشهادة بأن محمداً رسول الله، ليست مجرَّد قول يلوكه اللسان فحسب... إنما لها معان معروفة، يجب ان يلتزمها كل مسلم، وينفذها حرفياً... وإلا... لكانت لقلقة لسان، لا تنفع صاحبها شيئاً، أما إذا عرف معانيها، والتزمها في حياته كلها... فإنها تزحزحه عن النار وتدخله الجنة.

ان الشهادة بأن محمداً رسول الله تلزم قائلها بطاعة من أرسله للعاملين بشيراً ونذيراً، وبطاعته عليه الصلاة والسلام في جميع ما أمر وما نهى وبمحبته واتباعه، والبراءة من كل شرع إلاَّ من شرعه الذي نزل عليه وعدم الزيادة فيه، أو النقص منه، والاعتقاد فيما يجب له وما يستحيل عليه، وأن يفضله على الأهل والمال والولد والنفس، وكل إنقاصٍ لهذه المعاني أو لآحادها... يمس شهادته بأن محمداً رسول الله بقدر ما أنقص منها...

والنبي معصوم من الخطأ فيما نزل عليه من الوحي، ومعصوم من كل الخبائث والدنايا لأنها منفّرات عن الدعوة، فلا يمكن أن يفعل منها شيئاً أبداً. ومن جملة هذه العصمة... أن لا يكون زانياً، ولا زوج زانية، ولا ابناً لزانية ولا أن يكون مولوداً من الزنى.

فعلم مما تقدم أن هذا الخبائث مستحيلاتٌ عليه، بمعنى ان الله تعالى قد عصمه منها جميعاً...، ففهم من ذلك انه لا يمكن ان تكون أمُّه زانيةً، لا به ولا بغيره أي مستحيل عليها ذلك... أي معصومة من ذلك.

وكذلك فهم أن لا تكون زوجته زانية قط، فلو كانت... لكان زوجاً لزانية وهو معصوم من ذلك... إذاً مستحيل عليها فعله، أي معصومة منه، تبعاً لعصمة زوجها لأن ذلك لازم وملزوم. كل ذلك لأنه رسول الله ونبيه الذي اختاره لتبليغ دعوته، وهذه الرسالة فيها كل هذه المعاني.

فإذا أنقص المؤمن منها شيئاً.. يكون قد أنقص بقدرها من شهادته برسالته. لأن هذا الإنقاص إنكارٌ... ولو يعترف للرسول بذلك لما أنقص من شهادته شيئاً ولا مسَّها بشيء فإذا أنكر شيئاً كان ذلك مسَّاً لهذه الشهادة، ولو ردَّدُوها... فلا قيمة لترداد ذلك على لسانه، لأنه بشهادة الزور أشبه...

فإذا فهم كل ما تقدم... اتضح معنى قولنا: القول بإمكانية زنى نساء الأنبياء مسٌّ لشهادة أن محمداً رسول الله. وهو نقص من الإيمان برسالة محمد ﷺ... ولا نخال مسلمًا يرضى لنفسه أن يمسَّ شهادته بأن محمداً رسول الله بشيء من النقص، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وهو الموفق للصواب، لا إله غيره.. ولا رب سواه.

أمَّا بشأن المفارقة

قال بعض الأخوان: إنا وإن كنا معك في أساس النزاع أي: إننا نؤيدك في قولك بعدم إمكانية زنى نساء الأنبياء وأمهاتهم... لكننا لا نؤيدك في مفارقة إخوانك وقولك:

«إنني لا اتعاون ولا أعمل مع أي انسان يقول بإمكانية زنى امهات وزوجات الأنبياء»، فمن رأينا ان تبقى على رأيك في عصمة نساء الأنبياء من الزنى، مع بقاء التعاون والعمل مع إخوانك الذين اختلفت معهم في الرأي، اما المفارقة فليس لك فيه عذر ولا نؤيدك فيها.

قلت: تعلمون أن قصة الخلاف يعود زمنها الى عام ١٣٨٧ هجرية الموافق ١٩٦٧ ميلادية وقد بدأت على الشكل الذي رويته في قسم المناقشة والرد في الصفحة ١٢٨ من هذه الرسالة الى الصحفة ١٣١.

وبقيت زهاء سنتين بين أخذ ورد، ونصح، وتقديم الحجج والبراهين، وكلّي أمل ان اقنع المخالفين بالحق. **وكنت عبثاً أحاول اقناع من تولّى كبر هذه البدعة بخطئه،** والعودة الى القول الحق... والذي زاده إمعاناً في بدعته.، . **تأييد «الأخ الكبير» له فيما ذهب إليه**.. فبينما كان منتظراً أن يكون حكمًا... إذا به شاء لنفسه أن يكون طرفاً في الموضوع، وتولى هو بنفسه تبني هذه البدعة!!! وما كنت أدري الباعث الحقيقي على تبنيه هذا... بأسلوب ما عهدته فيه سابقا، **مما يدل ان وراء الأكمة ما وراءها**... !!! وأنا خالي الذهن، من كل ما يمكن وراء موقفه من أسباب اجهلها تماما... وقد آنست فيه شيئاً غريباً... وهو أنه حفظه الله بدأ يجعل لنفسه حظاً... بينما كان سابقاً لا يجعل في نفسه حظاً إلا للحق والحق وحده.

اختلفنا قبل ذلك اختلافات ما اظن انها ذات اهمية... وكثيراً ما يختلف في مثلها، ولا يكون بين الطرفين اي جفاء شخصي. أن الذي كنت ألاحظه في الشيخ... وخاصة في الأشهر القريبة من المفارقة ـ تغيراً نحوي في خلقه، وتصرفاته، وقسمات وجهه، ونبرات صوتـه... فكنت اعـزو كل ذلـك الى طوارىء نفسية شخصية تتعلق في حياتـه الخاصة.... التي كنت أعلم انها تزعجه احياناً... وقد كنت اشترك احيانا في تقديم بعض الحلول لها... فلعل مظهره المتغير متأتٍ من تلك العوامل الخاصة... فلم أقم لها أيَّ وزن في ميزان صداقتنا، بل وأخوتنا في الله... واكتفي بالدعاء له من اعماق قلبي... بأن ييسر الله له أمره ويحل عقده الشخصية على ما يحب ويرضى.

على أن هذا التغير، بات أراه موجهاً لي شخصياً... فاستغربت!! وطفقت أذكر نفسي... لعلي أسأت إليه إساءة عن غير قصد... ولعلّي ولعلّي... ولكن، لم أنجح في تحديد الأسباب... ولا تعيينها... وأقول: لعلها ما تزال أسباباً خاصة... على أن من خلقي المسامحة، والتساهل مع الإخوان والأحباء في الله، فلا أتأثر من أيّ بادرة تبدر منهم وأعتبرها طبيعية، ليس فيها أي معنى من معاني أخرى...

وما أدري اذا كان مثل هذا الخلق يُعد غفلة... او بلاهة.. فإنني ما كنت متحفظاً مع أي أخ من الأخوان، ولا حذراً... ولا «نبيهاً..» من تغير التصرفات... وكم كنت توكلياً في مثل هذه الأمور. علمًا مني أن الحذر بين الأخوان لا معنى له، لانهم

ليسوا موضع حذر ولا تخوف، وليس بيننا علاقات مادية، أو اي علاقة اخرى تستدعي ذلك.

على أن ذاك التغير ما زال ملحوظاً على وجه الشيخ... في أي مواجهة!!! إلى أن جاء دوره في الخلاف القائم بشأن عصمة نساء الرسول من الزنى... فكان موقفه مؤيداً للقائلين بجواز وقوع الفاحشة منهن وإن لم تكن قد وقعت بالفعل...

ورغم ادعـائه بأنه تلميذ للترمانيني في هذا الخلاف، إلا أنه مثيره ومنشئه **فكان متحمساً له أكثر من الذي تولى كبره**... وحماسه ذاك لم يتأثر بكل حجة أقدمها بين يدي البحث في اثبات عصمة نساء الرسول من الفاحشة حتى انتهى به النقاش الى سؤالي:

قال: ماذا تقول بأبي بكر الصديق هل يكذب...؟
قلت: سماه الرسول صديقا فلم نعلم عليه من كذب قط... ولكن ليس معصوماً.

قال: حسن.. وما تقول بأبي بكر الصديق... هل يزني...؟
قلت: وما علمت عليه من سوء... وفيما أعلم أنه لم يزن ولكنه ليس معصوماً.
قال: وابنته عائشة مثله!!

هنا لم أتمالك نفسي.. رغم انني تحملت الشيخ في كثير من مواقفه أثناء النقاش... أما في هذا النقاش الأخير، فلم استطع ان اتمالك نفسي لما قال: وابنته عائشة مثله!!! فثرت في وجهه قائلاً:

يخسأ من يقول هذا عن عائشة...
قال: أنا أقول هذا...
قلت: يخسأ من يقول هذا... يخسأ من يقول هذا.. وانني لمفارقك!!!؟
وتمت فوراً وانسحبت من المجلس وأنا أقول: حاشا عائشة من هذا القول وحاشا رسول الله ﷺ منه.
فقال: هذه عواطف... لا أدلة شرعية..

قلت: تبرأتي للطاهرة عائشة زوج رسول الله ﷺ، من إمكانية وقوعها بالزنى كانت بأدلة نقلية وعقلية، وقد كلَّ لساني من تكرارها أمامك... فكل ذلك تعدّه عواطف...؟!! في الوقت الذي لم تستطع انت ان تأتي ولا بدليل واحد على صدق مدّعاك... حتى ولا بالعواطف التي تنكرها عليَّ... اجل والله... انها العواطف الطيبة الكريمة، نحو بيت طيب لكريم، ونبي طيب كريم، وزوجة طيبة كريمة... وهل تطمع يا سيدي الشيخ ان تكون عواطفي مع فضيلتك أنت... نعم نعم، إن عقلي وعاطفتي ودمي ولحمي وعظمي وعصبي وكل ما أملك من شعور وحس.. مع رسول الله ﷺ، وبيت رسول الله وأمهات رسل الله وزوجاتهم وآل بيوتهم جميعاً.

ثم خرجت من المجلس... وكلي أعصاب تضطرب.. وانفاس تحترق... غضباً لله، ولرسوله ورسله وآلهم جميهاً صلوات الله عليهم وسلامه وتحياته.

وإنني لأسأل من يلومني على المفارقة.. هل يرون «الرجل» ومن معه على الحق...؟ فإن كان بنظهرم على الحق... إذاً فإنهم مؤيدو القول بامكانية وقوع الفاحشة من نساء أشرف الخلق، فان قالوا: نعم فانني مفارقهم ايضا لنفس السبب.. وإن قالوا لا... نحن لا نعتقد إلا بعصمتهن من الزنى لأنهن ازواج خير الخلق فلماذا يلومونني في مفارقة جماعة يرون امكانية تلوث بيوت الانبياء المعصومين باقذر ما يلوث البيوت في شرفها وكرامتها.

ثم انكم تعلمون أن «احدهم» وهو الذي تولى كبر اشاعة هذه البدعة الضالة! حاول بعض الأخوان تقريب وجهات النظر فدعانا إلى بيته وعرضنا ما نعتقده في ذلك وحجتنا ودليلنا امام الأخ الشيخ نافع الشامي وأقرّ بها، ورجع عن قوله وبدعته، ولعن الشيطان الذي ادخل عليه هذه البدعة... وخرجنا متفقين على ما أذهب إليه من عصمتهن من الفاحشة، عليهن الرحمة والرضوان. وبدأ هو يأتي بدليل من عنده على عدم إمكان وقوعهن بالفاحشة، ثم لما علم أن «الشيخ» لم يرض بالاتفاق كان سريعاً الى النكول عنه.. وبقي مصراً على بدعته رغم رجوعه عنها ثم حاول بعض الأخوان من النيرب... واستأذنوني بالمجيء به إلى داري لعله يذّكر أو يخشى او تنفعه الذكرى فوافقت فحضر في أول يوم من ايام عيد الفطر.. بعد صلاتنا صلاة العيد في المصلَّى،

ودخـل وإياهم داري فأهلت به ورحبت. . . ثم قال احد الأخوان نحن اتينا بالأخ الترمانيني للتفاهم ولازالة هذه الجفوة بينكم فقلت متجاهلاً نكوله إن الأخ الترمانيني. . . اتفقنا معه وان الرجل رجع عن قوله بامكانية وقوع الفاحشة من نساء الأنبياء. . . قال: بل يمكن ان تقع منهن قلت: إذاً نكلت عن اتفاقك الخطي الذي اتفقنا عليه. . .؟!! فبدأ يراوغ. . . ويظهر نفسه أنه لم ينكل. . .

قلت: حسنـاً فإنني اسألك من جديد: هل يمكن في اعتقادك ان تكون زوجة الرسول زانية وان يكون الرسول زوج زانية؟

قال: نعم ممكن ذلك. . .

قلت: وقد حاولت ضبط اعصابي ـ فكررت عليه ولكن بقول اصرح: هل ممكن ان يكون رسول الله «زوج قحبة»؟!!!

قال: بهدوء. . . نعم ممكن وما المانع. . .؟

عندها لم أتمالك نفسي وصحت في وجهه: قم يا عدو الله واخرج من داري لا ألقاك فيه بعد اليوم. . . قم واخرج. . . والله انك لتعلم انك تكذب. . قم واخرج من داري. . .

قال اخوان النيرب: يا استاذ. . نحن الذين جئنا به وانَّ طرده طردٌ لنا. . . قلت: لَم لَم تغضبوا لـمَّا قال: يمكن أن يكون الرسول زوج زانية. . !!؟ وغضبتم لأنفسكم، لأنه جاء معكم؟! كنت انتظر ان تطردوه أنتم. . قبل أن أطرده أنا. , . ثم خرج هو وخرجوا معه. . ورطَّبوا خاطره، ولم يفارقوه. . بل أخذوه إلى قريتهم، وأضافوه. . . !!؟

أليس معنى هذا أنهم مؤيدوه فيما يقول. . . من المسبة في حق الرسول وزوج الرسول. . .؟!!

يا أيها اللائمون. . . ماذا يكون موقفكم لو كان الأمر واقعاً معكم؟ انني لأصرُّ على موقفي إصراراً قوياً بالمفارقة. . لأنها أقل ما يجب نحو أمثال هؤلاء. . . أيدتموني. . أو لم تؤيدوني. . لأنني اعلم علم اليقين ان ما أفعله هو الذي يجب عليَّ أن أفعله. . . وإلاَّ فإنني اخشى وقوع غضبِ الله علـيَّ. . . إذا لم أغضب لله ورسوله ولبيوت رسله.

المفارقة يا ناس: هي دواء... وإن لم ينجح هذا الدواء... فلا أملك دواء غيره، ولو أملك... إذاً لفعلت، وغيرتُ المنكر بيديّ... وأرجو الله تعالى أن يعينني على ذلك... ويقويني على تغيير المنكر باليد عاجلاً أو آجلا... وليس ذلك على الله بعزيز.

على أن دواء المفارقة، ليس بدعاً في معالجة بعض الادواء من النفوس... والهجران في الله شيء معروف عند الصحابة والتابعين، فان انا فارقت او هجرت جماعة حاولت المستحيل لاقناعهم بالعدول عن بدعتهم، فلم اصل معهم الى نتجية ترجعهم عما هم فيه، فلا حيلة لي إذا... إلا المفارقة؟ ولو ان هناك املاً، لما تأخرت عن متابعة اية محاولة للحصول على ذلك الأمل، وقد حاولت وحاولت، وحاولت... وما زلت أحاول... ولكن دون جدوى!!!؟ وإذا عدنا الى الكتاب والسنة والمراجع الاسلامية الأخرى لوجدنا المفارقة والهجر شيئاً معروفاً، قديمًا وحديثاً... وكثيراً ما كان يستعمله في محله الأنبياء والمصلحون، في بعض الحالات.. التي تستوجب المفارقة، وحتى ان الله تعالى أمر بها في بعض الأحوال أيضاً... إذا فالمفارقة والهجر كانا دوائين... وكان يستعملهما السلف الصالح من كل عصر... ويحسن بنا ان نأتي ببعض الأمثلة القرآنية والسنية وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة ومن سار على نهجهم قديمًا وحديثاً، حتى نثبت للائمين أننا لم نأت شيئاً منكراً... فإن نجح دواء المفارقة، وعاد المخطئون الى الصواب، فهذا ما نبغي.. والا فمعذرة الى الله تعالى: أننا نشكرُهُ ولا نكفرُه، ونخلع ونترك من يفجره... اللهم نرجو رحمتك ونخشى عذابك.

١ - قوله تعالى: ﴿... **فلا تصاحبني**...﴾ ٧٦ وقوله تعالى ﴿**هذا فراق بيني وبينك**﴾ ١٨/٧٨ لقد أمر الله نبيه ورسوله موسى عليه السلام، أن يرحل إلى زيار الخضر عليه السلام ليعلم أن هناك من عباد الله من هو أعلم منه، فلا ينبغي أن يجيب سائله: أنا أعلم من في الأرض وكان الاتفاق بينهما إلّا يعترض موسى على الخضر عليهما السلام فيما يراه منه، وكان موسى يرى من الخضر من الأعمال المخالفة لشريعته...، ما ينسيه ما اتفقا عليه... فيعترض... وكلما اعترض موسى يذكره الخضر باتفاقهما... إلى ان قال موسى عليه السلام:

﴿**قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً**﴾ لاقتناع

موسى عليه السلام واعترافه، بأن اعتراضه، يوجب المفارقة وعدم الصحبة... فإن عاد الى مخالفة الاتفاق، فيقتضي الأمر أن يفارقه. ثم لما اعترضه في المرة الثالثة: ﴿**قال هذا فراق بين وبينك**﴾ ففارقه لأسباب قد لا تكون شيئاً مهمًا... إذ لم يكن الفراق من اجل اختلافٍ على عقيدة، أو ما شابه ذلك، انما كان من اجل المعارضة في شيء، لا يعلمه موسى من شرعه، والاثنان نبيان من أنبياء الله تعالى، وكل له شريعة مستقلة إنزلها الله عليه لا يعرف أحكامها النبي الآخر... قال الخضر عليه السلام: أنت على شريعة لا أعرفها أنا... وأنا على شريعةٍ لا تعرفها أنت...

وعلى هذا... فقد كان تصرف كل منهما على حق.. وكان عمل كلٍ غير مخالف فيه لشريعته، ومع ذلك حصلت المفارقة... فهل نقول للخضر مثلاً لقد أخطأت في هذه المفارقة...؟ وكان عليك ان تظل على صحبة أخيك، ولو اختلفتما فيما اختلفتما فيه ولا تجوز المفارقة بينكما أبداً..!!؟ لا.. هذا لا يقال... لأن اختلاف الشرع بينهما سوف يوجد أسباباً جديدة للاختلاف، وبقدر هذا التباين في الشريعة بينهما سوف يكون الاختلاف إذاً فالمفارقة هنا لا بد منها فإذا جازت المفارقة بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام مع تباين شرعيهما فالمفارقة لوجود الاختلاف في الشرع الواحد أحرى وأولى... لأن هناك عذراً واضحاً في الاختلاف، لوجود التباين بين الشرعين... أما هنا فأي عذر فالاختلاف في الشرع الواحد المعروف فيه الحلال والحرام؟ والطرفان المختلفان يعلمان حدود هذا الشرع، ومكلفان فيه تكليفاً تاماً متساوياً. فحصول المفارقة بين المختلفين في الشرع الواحد... شيءٌ وارد، إنما يبحث هنا أيُّ الطرفين كان مخالفاً للشرع المتفق عليه بينهما؛ فاذا كان الواحد منهما على حق فيما يذهب إليه، ومؤيدا بالشرع المتفق عليه بينهما على اتباع أحكامه، لزم أن يكون الثاني على باطل فيما يذهب إليه... هذا لا شك فيه ولا ريب. فإذا التزم صاحب الحق حدود حقه، وأمعن المبطل في باطله ولم يتفقا، كانت المفارقة نتيجةً طبيعيةً في الموضوع، ولا مندوحة عنها البتة انما كان يجب وجوباً على اللائمين على المفارقة، أن ينظروا اين الحق في هذا الاختلاف... ثم ينصروه ويؤازروه وأهله... أيا كان هذا الحق، ثم ينظروا الى الباطل أين هو... فيخذلوه ويقاطعوه وأهلهُ... هذا إذا لم يوفقوا إلى تقريب وجهات النظر، فعلى الحكم هنا ان ينظر الى أحكام الشرع، ويحكم بموجبها.. لا أن يسرع باللوم بمجرد حصول المفارقة،

إنما عليه ان يبحث عن الاسباب ويحدد الحق أين هو، والباطل أين هو، مع سماع وجهات النظر والحجج والبراهين لكل منهما، ثم يصدر حكمه على أساس ما يعلم من الشرع رضي هذا أم سخط... لأنَّ إرضاء الخصمين كاد أن يكون مستحيلاً... إلاَّ إذا اقتنع المبطل أنه مبطل فيعود عن باطله الى الحق الذي كان خافيا عليه.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿**واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا، فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾ ٦٨ ـ الأنعام.

هذه آية كريمة يأمر بها رسوله ﷺ إذا رأى من يتكلم بآيات الله بشيء ان يعرض عنهم ويفارق مجلسهم، حتى يتكلموا في حديث آخر غير الذي كانوا يتكلمون به، وإذا أنساك الشيطان مفارقتهم، فبعد أن تتذكر يجب عليك ان لا تقعد مع القوم الذين ظلموا أنفسهم بالتكلم بآيات الله بغير علم!! ولا يجوز ذلك ان تقعد معه وهم على ما هم عليه من الخوض.

لعلَّ أحداً يقول: يا سبحان الله...!!! أتأتي بهذه الآية التي نزلت بالكفار وتحتج بها على إخوانك المؤمنين؟ هذا لا يجوز أبداً، عدا عن أنه مثل معه الفارق...

قلـت: صحيح.. ان هذه الآية نزلت في الكفار الذين تكلموا بآيات الله... ونحن لم نأت بهذه الآية إلا لأن المخالفين ـ هداهم الله ـ ركبوا رؤوسهم في امر خطير، لا يقره الإسلام، ويجب وجوباً ان يقلعوا عنه، لأن ما يقولونه لا يجوز أن يتكلم به في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اصروا عليه فان قولهم سيؤدي بهم الى شيء أعظم منه **وقد وصلوا إليه فعلاً!!** والعياذ بالله تعالى ودليلنا على ذلك: اعتقادهم بأنه وقع فعلاً فعل الزنى من قبل رجل من الناس في أم ولد لرسول الله ﷺ وان الرسول أمر بقتله، فالذين قالوا بالإمكانية... ولم يرجعوا عن قولهم، بل امعنوا فيه.. وتدرجوا بعد ذلك إلى القول: بوقوع الفعل نفسه والعياذ بالله تعالى فقولهم هذا في أم ولد الرسول ﷺ اعتقاد منهم بوقوع الفاحشة منها بعد أن برأ الله نساء نبيه من ذلك، وأذهب عنه الرجس وطهرهن تطهيراً... ثم ان الموافقة في المثل لا تقتضي ان تكون من جميع الوجوه... كقولك مثلاً: «رأيت الأسد في الحمام» فلا ينبغي ان يكون المشبه حائزاً على

كل صفات المشبه به الخلْقية والخُلُقية، فيكفي ان تكون فيه صفة الشجاعة مثلاً المماثلة لشجاعة الأسد حتى يصح ضرب المثل به لا ان يكون المشبه يمشي على أربع وله ذنب ولبدة وما إلى ذلك. . .

فنحن جئنا بالآية على جواز المفارقة في شيء لا يرضي الله تعالى فقولهم الذي قالوه، وإن لم يكن كفراً بحد ذاته. . . إنما ان ظلوا عليه فسيصلون لشيء يشبه الكفر إن لم يكن هو ذلك، وهو قولهم بوقوع ام ولده عليه الصلاة والسلام بالفاحشة مع أن الله تعالى اذهب الرجس عنها وعن نساء الرسول ﷺ وطهرهن تطهيراً كما تقدم. . .

فموافقة الشيء بشيء آخر في بعض صفاته، يجوز التشبيه به، والقوم قد وافقوا في عنادهم، وقولهم على رسول الله وأهل بيته بلا علم، بعض صفات أولئك، فإذا استعملنا الآية لهذا الغرض فليس هناك من بأس، وان المحذور الذي زعمتموه كان ولا شك في غير محله.

خذ مثلاً: أن رسول الله ﷺ ثبت أنه قال: «ما بين الرجل والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر» بينما قال في حديث آخر: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» والذي ترك الصلاة من غير جحود لفرضيتها يقول (لا إله إلا الله) وسوف يدخل الجنة بعد العذاب أو المغفرة لأن معه (لا إله إلا الله) فكيف يصفه رسول الله ﷺ. . بأنه كافر. . !؟ فالجواب ـ كما تعلمون ـ ان النبي ﷺ يقول بكفر تارك الصلاة، لا الكفر الذي يخلده في النار، إنما هو كفر دون كفر. . . ولأن عمل تارك الصلاة يشبه عمل الكفار من ناحية أنهم لا يصلون؛ لا سيما والله تعالى يقول: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ فتبين أن كل ذنب يمكن غفرانه إلا الشرك، وترك الصلاة مع وجود لا إله إلا الله. . . ليس كفراً حقيقياً. . . بينما وصفه الرسول بالكفر فتبين أن مشاركةً في صفة بين شخصين، مدعاةٌ لجواز تشبيه أحدهما بالآخر، أي ان حال تارك الصلاة يشبه حال الكافر من جهة انه لا يصلي، فاطلق على الذي لا يصلي اسم الكافر، بينما هو في الواقع ليس كافراً كفراً نهائياً. . . فانه يقول لا إله إلا الله وغير جاحد لفرضية الصلاة.

فإذا فهم هذا. . تبين أن استشهادنا بالآية. . . انما هو استشهاد صحيح. . وإن

من يقول بإمكانية زنى نساء الأنبياء.. بل وبقوعه في ام ولد رسول الله... قول يشابه قول من خاض في حديث الإفك بعائشة رضي الله عنها من المنافقين.. فليزم على كل مسلم أن يفارقهم حتى يرجعوا عن قولهم الخبيث الداعر... إلى التبرئة، واعتقاد العصمة من ذلك في نساء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات واتم التسليمات وأزكى التحيات.

وإننا نقول لمن لامنا على المفارقة.. هل بعد ما قدمنا من توضيح نكون ملومين في مفارقة من يقول ذلك القول؟ أم يجب على الجميع ـ وحتى على من يلومنا ـ ان يوجه اللوم بل المفارقة والمقاطعة لهؤلاء الذين لم يراعوا في رسول الله، ولا في رسل الله ولا في نسائهم إلاًّ ولا ذمة؟ هدانا الله واياهم سواء السبيل وجنبنا واياهم مزالق الشيطان ومن همزه ونفخه ونفثه، انه سميع قريب مجيب.

لقد أتينا لك يا أخي القارىء الكريم، امثلة من القرآن الكريم حث فيها على الأمر بالمفارقة، إما دعت الضرورة إلى ذلك وكما تعلم أن المفارقة لا تجوز إلاًّ لأسباب موجبة، ولا موجب أوجب في المفارقة من بدعتهم النكراء. وما المفارقة إلا دواء لداء... وعندما يزول الداء... لا يبقى لزوما للدواء، ونرجو الله تعالى ان يرجع الجميع الى الحق ويجتمع الشمل على ما يحب الله ويرضى، ويزول الداء، والدواء معا.

وهاك يا أخي امثلة من سيرة السلف الصالح، على مقاطعات حصلت في الزمن الأول، وقد لا تكون من الأهمية... بالدرجة التي قاطعنا البعض بسببها:

١ ـ أخرج الشيخان عن عبدالله بن بريد «ان عبدالله بن مغفل رأى رجلاً يخذف فنهاه فقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال: «إنه لا يرد الصيد، ولا ينكأ العدو ولكنه قد يكسر السن، ويفقأ العينة قال فرأه بعد ذلك يخذف، فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ، ثم تخذف..؟ والله لا أكلمك أبداً».

٢ ـ واخرج الشيخان عن عمران بن حصين انه قال: قال رسول الله ﷺ «الحياء خير كله» فقال بشير بن كعب إنا نجد في بعض الكتاب أن منه سكينة ووقاراً، ومنه ضعفاً، فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ،

وتعارض فيه ـ وفي رواية ـ وتحدثنا عن صحفك.

٣ ـ وأخرج البيهقي عن عطار بن يسار «ان معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال له ابوالدرداء: سمعت رسول الله ﷺ: «نهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل» فقال معاوية: ما أر بأساً فقال أبوالدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه!!! لا أساكنك بأرض أنت بها» قال الشافعي: فرأى أبوالدرداء الحجة تقوم على معاوية بخبره، فلما لم يرَ معاويةُ ذلك. فارق أبوالدرداء الأرض التي هو بها اعظاماً لأنه ترك خبر ثقة عن رسول الله ﷺ.

٤ ـ قال الشافعي: أُخبرنا أنَّ ابا سعيد الخدري لقي رجلاً فأخبره عن رسول الله ﷺ شيئاً فخالفه؛ فقال ابوسعيد والله لا أواني واياك سقف ابداً.

٥ ـ روى ابن وهب: أخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد أخي سفيان بن سعيد الثوري عن ابيه عن عبابة قال: ذكر قتل ابن الأشرف عند معاوية فقال ابن يامين كان قتله غدراً فقال محمد بن مسلمة: يا معاوية: أيغدر عندك رسول الله ﷺ ثم لا تنكر؟ والله لا يظلني واياك سقف بيت أبداً، ولا يخلو لي دم هذا إلا قتلته.

وقال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه، قال: قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري: كيف قتل ابن الأشرف؟ قال ابن يامين: كان غدراً ومحمد بن سلمة جالس شيخ كبير، فقال: ايغدر رسول الله ﷺ عندك؟ والله ما قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ. والله لا يؤويني واياك سقف بيت إلَّا المسجد. وأما انت يا ابن يامين فلله على إن أفلت وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك، فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة حتى يبعث له رسولاً ينظر ابن مسلمة، فإن كان في بعض ضياء نزل فقضى حاجته ثم صدر، وإلا لم ينزل، فبينما محمد في جنازة وابن يامين في البقيع فرأى محمداً يغشى عليه جرائد يظنه لا يراه، فعاجله، فقام إليه الناس فقالوا: يا أباعبدالرحمن ما تصنع؟ نحن نكفيك، فقام إليه فلم يزل يضربه جريدة جريدة حتى كسر ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مصحاً، ثم أرسله ولا طباخ به، ثم قال والله لو قدرت على السيف لضربتك به.

وهكذا فقد وضعت يا أخي بين يديك شذراتٍ مما كان عليه السلف الصالح من الغضب لله ولرسوله والمفارقة حتى للأمراء... في امور قد لا تكون مهمة... ولكن إن ما نحن فيه مختلفون لأهم بكثير مما فارق عليه عبدالله بن مغفل للرجل الذي كان يخذف... ومما فارق عليه ابو الدرداء معاوية بن ابي سفيان، ومما فارق عليه ابوسعيد الخدري ذلك الرجل... ومما فارق عليه محمد بن مسلمة معاوية ابن أبي سفيان.. أو مروان بن الحكم...

كل هذه الأسباب في المفارقة والهجر ليست شيئاً مذكورا، بجانب الاسباب التي فارقت من اجلها هؤلاء الذين يقولون بإمكانية زنى نساء الأنبياء عليه الصلاة والسلام والذين قالوا بالتالي بوقوع ذلك من ام ولد رسول الله ﷺ...!!!؟

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب﴾.

وهناك مقاطعات كثيرة في الله تحصل في زمننا الحاضر وهي كذلك اقل خطراً من المفارقة التي حصلت مع الذين يقولون بما يقولون والعياذ بالله تعالى من الخذلان وسوء المنقلب في الدارين.

اذكر ان الأخ الحبيب في الله الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة حدثني منذ سنوات انه خالف الشيخ حامد الفقي رئيس انصار السنة المحمدية بمصر فيما ذهب إليه من القول (بان الملائكة غير عقلاء) ولما لم يقتنع الشيخ حامد رحمه الله بما ادلاه الشيخ عبدالعزيز بن باز من الحجج المخالفة لقول الشيخ حامد أعلن الشيخ عبدالعزيز في ملأ من الأخوان مفارقته للشيخ حامد... وظل الشيخ عبدالعزيز مفارقاً للشيخ حامد حتى توفاه الله رحمه الله وغفر له.

إنني لأذكر أن الأخ الكبير الشيخ ناصر الألباني **فارق بعض اخوانه لأسباب شخصية بحتة.. فلماذا يرى نفسه محقاً في مفارقة اخوانه لأسباب شخصية... ولا يراني محقاً في مفارقته هو ومن معه لأسباب يعلم الله انها مفارقة في الله وغضبا له وغضباً لرسوله ﷺ وان الشيخ الألباني ليعلم ذلك تماما وينكره.. فاين من يقر بالحق ولو على نفسه...؟؟**

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
إثبات عصمة السيدة مريم بنت عمران	٨
إثبات عصمة أمهات الأنبياء من الفاحشة	١٣
أدلة قرآنية على عصمة أزواج الأنبياء من الزنى	١٧
إثبات عصمة زوجات الأنبياء من الزنى بالأدلة السنيّة الصحيحة	٧٤
أدلتهم من القرآن والحديث على ما يزعمون	١٠٠
المناقشة والرد	١٠٤
الخاتمة	١٤٥

ثناء الله خان
فني تصوير